جامعة صنعاء

نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي

كلية الآداب

قسم التاريخ

(شعبة التاريخ القديم)





الأنباط وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية

(٣٠ق.م - ١٠٦م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالب :

شعبـان علي أبـــو راس

إشـــراف :

أ. د / واثق إسماعيل الصالحي

أستاذ التاريخ القديم بكلية الآداب – جامعة صنعاء

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م


بسم الله الرحمن الرحيم

"قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا

إنك أنت العليم الحكيم"

[البقرة /آية:٣٢]

REPUBLIC OF YEMEN
SANA'A UNIVERSITY
OFFICE OF THE VICE PRESIDENT FOR
GRADUATE STUDIES &
SCIENTIFIC RESEARCH

Date:..............................
Our Ref:..........................



الجمهورية اليمنية
جامعة صنعاء
مكتب نائب رئيس الجامعة
للدراسات العليا والبحث العلمي
التاريخ:..........................
مرجعنا:..........................

قرار لجنة المناقشة والحكم رقم(٤٥) لسنة ٢٠٠٤ م

في يوم الأربعاء ١٤٢٥/٣/٣٠هـ الموافق ٢٠٠٤/٥/١٩م اجتمعت لجنة المناقشة والحكم على رسالة الماجستير المقدمة من الطالب / **شعبان علي عبد الله أبو راس** والمسجل بكلية / الآداب قسم / التاريخ
المشكلة بقرار من مجلس الدراسات العليا والبحث العلمي في محضره (السادس) بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٢٥م .
وتتشكل لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة:-

أ.د/ واثق إسماعيل الصالحي	المشرف الرئيس على الرسالة	رئيساً
أ.د/ صباح جاسم الشكري	ممتحناً خارجياً - جامعة الحديده	عضواً
أ.د/ عبد الله حسن الشيبة	ممتحناً داخلياً - جامعة صنعاء	عضواً

لرسالته الموسومة بـ **(الأنباط وعلاقتهم بالإمبراطورية الرومانية " من ٣٠ ق م - ١٠٦م ")**

قام الطالب بعرض موضوع رسالته بشكل .... ممتاز ....

ثم ناقشت اللجنة الطالب . وبناءً على ما تقدم توصي اللجنة بالآتي:-

يمنح الطالب/ شعبان علي عبد الله أبو راس درجة الماجستير في الآداب قسم التاريخ
تخصص . التاريخ القديم بتقدير ممتاز

على الطالب إجراء التعديلات المطلوبة منه (إن وجدت)..............................

توقيعات أعضاء لجنة المناقشة والحكم على القرار:-

١. أ.د/ واثق إسماعيل الصالحي
٢. أ.د/ صباح جاسم الشكري
٣. أ.د/ عبد الله حسن الشيبة

مندوب الدراسات العليا

يعتمد
نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي
أ.د/ توفيق سفيان

الإهـــداء

إلى روح **والدي** الطاهرة الذي تمنى أن يرى غرسه قد أثمر .

إلى **والدتي** : التي أولتني رعايتها بكل عطف وحنان

إلى **زوجتي العزيزة** التي شاركتني هذه المرحلة بما فيها من مشاق ومتاعب .

إلى أخي "**محمد**" الذي تمثلت فيه معاني الأخوة والصداقة والأبوة في أصدق صورها .

إلى بقية **إخواني** .

أهدي هذا البحث المتواضع

شكر وتقدير

أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي الفاضل / الأستاذ الدكتور / واثق الصالحي الذي يعجز البيان عن وصف أياديه البيضاء على البحث والباحث وإلى مدى ساهم إشرافه على الرسالة في إزالة الكثير من العقبات والمصاعب التي واجهتني خلال إعداد هذا البحث وكانت تحول دون إخراجه بالصورة المطلوبة والمرضى عنها من أساتذة التخصص الأجلاء والذين غمروني بفضلهم ولم يبخلوا على بتوجيه النصح ووضع مكتباتهم العلمية الخاصة تحت تصرفي وأخص بالذكر هنا – أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور / عبد الله حسن الشيبة الذي أمدني ببعض المصادر والدراسات العلمية التي كنت في أمس الحاجة إليها وكان الوصول إليها يمثل عبئاً إضافياً يستغرق الوقت والجهد .

كما لا يفوتني توجيه عميق الامتنان لكل من الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن الشجاع والأستاذ الدكتور / سيد مصطفى سالم اللذين لم يبخلا في تقديم الدعم لي وكانا مثالاً للأستاذية الحقه . ولكي لا يفوتني ذكر بعض الأسماء فإنني أجمل الشكر لكافة أساتذة قسم التاريخ الأجلاء وكذا الزملاء الذين خصوني بالرعاية وتقديم العون إلى طيلة المرحلة التي أستغرقها إعداد هذا البحث .

المقـــدمة

المقــدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، أحمده وأشكره حمداً كثيراً علــى فضــله وتكريمه وعظيم منته وأصلي وأسلم على سيدنا محمد بن عبد الله خاتم الأنبيــاء والمرسلين أما بعد :

إن الكتابات التي تطرقت إلى تاريخ وحضــارة الأنبــاط كثيــرة ويصــعب إحصاؤها غير أنه يمكن القول من ناحية أخرى إن هذه الكثرة ما كانــت لتقــف حائلاً دون دراسة علاقة الأنباط بالرومان ، منذ بداية العصر الإمبراطوري وإلى سقوط الدولة النبطية في بداية القرن الميلادي الثاني ولاسيما أن الجزء الأكبــر من الكتابات السابقة – حسب تقديري المتواضع- يتسم إما بالعمومية في التناول أو التركيز على آثار وحضارة الأنباط معاً .

وعلى فرض أن هناك كتابات متخصصة سبق لها التطــرق إلــى بعــض جوانب هذا الموضوع، فلا يمكن منطقياً القول بأن أصحاب هــذه الكتابــات قــد انتهوا في تناولهم إلى نتائج قطعية ونهائية، ويمكن القــول أن المجهــول مــن تاريخ الأنباط يفوق كثيراً ما هو معروف عنه وبما في ذلك تحديداً علاقة الأنباط بالقوى السياسية المختلفة . وقد كانت هذه القناعة من بين العوامل الرئيسة التي دفعتني لدراسة موضوع العلاقات النبطية الرومانية في الحقبة الإمبراطورية .

وقد اقتضت الدراسة تقسيم هذا الموضوع إلى أربعــة فصــول، وخاتمــة وتدعيمه بملاحق وخرائط ولوحات تاريخية .

الفصل الأول – وهو فصل تمهيدي – وعنوانه " تاريخ ونشاط الأنبــاط الاقتصادي قبيل قيام الإمبراطورية الرومانية" فهو يتناول العوامل التــي دعــت الأنباط إلى استيطان البتراء، واتخاذ أغلبهم التجارة حرفة رئيسة ، وعلاقة هــذا الأمر بمحاولة القائد المقدوني انتيجنوس إخضاع الأنباط لســيطرته بعــد وفــاة الإسكندر الأكبر ، ودلالة نجاح الأنباط في مقاومة الحملتــين الحــربيتين اللتــين أرسلهما هذا القائد المقدوني إلى عمق بلادهم . وإضافة إلى تناوله علاقة الأنباط بكل من البطالمة والسلوقيين والمكابيين ؛ قبيل التدخل الروماني في سورية فقد

خُصّص جزءٌ كبيرٌ من هذا الفصل لدراسة العلاقات النبطية الرومانية في الحقبة السابقة لإعلان أوكتافيوس أغسطس التحول إلى نظام الحكم الإمبراطوري .

وأما الفصل الثاني الموسوم بـ" علاقة الأنباط بالرومان في عهد الإمبراطور أغسطس" فهو يشمل بالدراسة أثر الأنباط في الحملة العسكرية الرومانية التي استهدفت بلاد العرب السعيدة، بأمر من الإمبراطور أغسطس وقد جرى التركيز بشكل خاص على توضيح مسئولية الوزير النبطي سيلايوس عن دفع الأنباط إلى الإسهام في هذه الحملة وتقديم المصالح الرومانية على مصالح المملكة النبطية التجارية .

وقد استدعى هذا الأمر تتبع خطى الحملة الرومانية في مختلف مراحلها ، ومناقشة الاتهامات التي ألصقها سترابو بالوزير سيلايوس والأنباط، ومحاولة هذا الكاتب الإغريقي تحميل هذا الوزير النبطي مسئولية الإخفاق الذريع الذي انتهت إليه محاولة الرومان غزو جنوب شبه الجزيرة العربية ويتضمن الفصل أيضاً مناقشة جملة من الإشكالات المتعلقة بأحداث هذه الحملة ، بما في ذلك حقيقة وصولها إلى مأرب عاصمة السبئيين الشهيرة .

وفيما يتعلق بطبيعة العلاقات النبطية الرومانية بعد هذه الحملة ، يتناول الفصل التأثير السلبي الذي خلفه دخول سيلايوس في صراع مصالح مع الملك هيرود "الكبير" ، ومحاولة هذا الوزير النبطي الوصول إلى عرش المملكة النبطية بعد وفاة الملك عبادة ، وعلاقة هذا الأمر باتخاذ أغسطس قراره بالتخلص من سيلايوس ، والموافقة على تولي حارثة الرابع مقاليد العرش النبطي. ويختم الفصل بتناول دور الأنباط في إخماد الثورة اليهودية التي تعرض لها الرومان عقب وفاة هيرود "الكبير" ، والتأثير الإيجابي الذي خلفته هذه المشاركة في العلاقات النبطية الرومانية في سنوات حكم أغسطس الأخيرة .

أما الفصل الثالث وهو بعنوان " علاقة الأنباط بالرومان حتى سنة ٧٠ ميلادية"،فيتناول علاقة الأنباط بالرومان في عهود حكم الأباطرة : تبيريوس ، جايوس قيصر، كلاوديوس ، نيرون . وهو يركز على إظهار جوانب السياسة التي أتبعها الملك حارثة الرابع في تعامله مع الرومان، ومحاولته تأمين كيان

المملكة النبطية من تقلبات السياسة الرومانية وإمكانية تحول علاقة التحالف إلى علاقة عداء ومحاولة سيطرة من جانب الرومان .

وقد أقتضى الأمر التطرق إلى تفاصيل سياسة هذا الملك النبطي ، ابتداء من محاولة إيجاد طرق تجارية بديلة للطرق التي توقّع تعرضها لخطر السيطرة الرومانية ، والاعتماد على الزراعة مورداً إضافياً وانتهاءً بمحاولة إعداد منطقة الحجر (مدائن صالح) ، لتكون مقراً بديلاً للحكم إذا تعرضت البتراء لأية مخاطر.

وقد ركز الفصل أيضاً على إبراز الوسيلة التي أعتمدها حارثة الرابع على إبقاء السلام قائماً بين الأنباط واليهود ، وعدم إعطاء أي ذريعة للرومان للتدخل في شئون بلاده ، وعلاقة فشل المصاهرة التي كانت بينه وبين الملك هيرود انتيباس بانحياز الرومان إلى جانب هذا الأخير ، في نهاية عهد الإمبراطور تيبريوس . وقد جرى التركيز على توضيح الظروف التي مكنت الأنباط من استعادة مدينة دمشق مرة أخرى ، والتأثير الإيجابي الذي خلفه تمسك مالك الثاني بسياسة والده حارثة الرابع ، ومساهمته في ازدهار أحوال الأنباط ، واستمرار علاقة التحالف بين الأنباط والرومان وتوثقها أكثر وأكثر بعد مشاركة الأنباط في إخماد الثورة اليهودية التي شهدتها فلسطين في أواخر عهد الإمبراطور نيرون ، واستمرت إلى ما بعد سنة ٧٠ميلادية .

أما الفصل الرابع الموسوم بـ" علاقة الأنباط بالرومان إلى نهاية عهد الملك رب إيل الثاني" ، فهو يتناول بدايةَ التمرد الداخلي الذي قام به أهالي الحجر على الأسرة المالكة النبطية عقب وفاة الملك مالك الثاني ، وعلاقة هذا التمرد بقيام الملك رب إيل الثاني بنقل مقر الحكم من البتراء إلى مدينة بصرى . وإهمال منطقة الحجر وإخراجها من حساباته في أن تكون مقراً بديلاً للحكم كما كان مرسوماً لها .

وقد اقتضى الأمر مناقشة العوامل والأسباب التي يرى المؤرخون المحدثون أن لها صلة بعملية نقل مقر الحكم إلى بصرى وليس إلى أي مكان آخر . كما تناول الفصل وضع العلاقات النبطية – الرومانية في زمن حكم أباطرة أسرة فسباسيان ، وطبيعة أحوال المملكة النبطية في سنوات حكم رب أيل الثاني

الأخيرة، وعلاقة هذه الأوضاع ، وحالة الضعف التي لحقت البتراء والحجر من جراء نقل مقر الحكم إلى بصرى ، وإهمال منطقة الحجر ، بتبدل سياسة الرومان تجاه الأنباط ، وإجبارهم رب إيل الثاني على الموافقة بتسليم بلاده إليهم ، مقابل موافقتهم على بقائه في سدة الحكم إلى حين وفاته . ويتضمن هذا الفصل محاولة لإزالة الغموض المحيط بكيفية سقوط الدولة النبطية ، وإبراز الأسباب التي مكنت الرومان من الاستيلاء على البتراء وبصرى دون الدخول في مواجهة عسكرية كبرى مع القوات النبطية .

وقد اقتضت الدراسة توضيح الظروف التي دعت الإمبراطور تراجان إلى تأجيل إعلان ضم ممتلكات الدولة النبطية إلى ما بعد سنة ١١١ ميلادية وعلاقة هذا الأمر بالحرب الفرثية وعدم تمكن قواته من بسط سيطرتها إلا على الأجزاء الشمالية من بلاد الأنباط وبقاء الحجر وبقية المناطق تحت سيطرة أحد أفراد الأسرة النبطية وقد ختم هذا الفصل بالإشارة إلى الترتيبات التي اتخذها الرومان بعد سيطرتهم على الأجزاء الشمالية من بلاد الأنباط .

وقد تضمنت الخاتمة أبرز النتائج التي انتهت إليها دراسة هذا الموضوع.

جديد الدراسة :

برغم أن أولية المرحلة العملية تجعل الباحث المبتدئ يكتفي فقط بجمع أطراف الموضوع في دراسة شاملة أظهرت لي دراسة هذا الموضوع إمكانية الإتيان بجديد ولو على المستوى الجزئي ، وتصويب بعض الأخطاء الواردة في الكتابات العامة وشبه المتخصصة . ونظراً لأن المجال لا يتسع لذكر كثير من التفاصيل سوف نكتفي هنا بالإشارة إلى الأمثال الآتية :

أولاً : الجديد على المستوى الجزئي : ويمكن أن نلمسه بوضوح في الأجزاء المخصصة لدراسة دور الأنباط في الحملة الرومانية التي قام بها أيلوس جالوس على جنوب الجزيرة ، والعوامل الفعلية التي أدت إلى سقوط الدولة النبطية ، وكيفية هذا السقوط .

ثانياً : الجديد من ناحية تصويب الأخطاء :

وأبرز مثل لهذه الحالة يتمثل في وصف بعض الكتابــات العامـــة وشـــبه المتخصصة الحملتين اللتين أرسلهما القائد المقدوني انتيجنوس نحو بلاد الأنباط في أواخر القرن الرابع ق.م على أنهما حملتان سلوقيتان ، والثابت أن الأنباط لم يتعرضوا لهجوم هاتين الحملتين ، إلا لأنهم كانوا محالفين للسلوقيين والبطالمة. والراجح أن أصحاب هذه الكتابات خلطوا بين هاتين الحملتين والحملتين اللتـــين قام بهما الملك السلوقي انطيوخوس الثاني عشر – ضد بلاد الأنباط – في أوائل القرن الأول ق.م . وليس ذلك وحسب بل إنه يمكن القول إن حملة انطيوخــوس الثاني عشر الثانية ، والتي انتهت بمقتله على أيدي الأنباط في موقعة موتـــو ، من بين الأحداث التي اهتمت هذه الدراسة بتصويب بعض الكتابات التي تناولتها ، ولاسيما تلك التي تحدثت عنها وكأنها حملتان مختلفتان وليس حملة واحـــدة لا غير .

قائمة المختصرات

-A J = Antiquities Jewish

- CAH= Cambridge Ancaint History

- PCC = Petra and Cravan Cities .

- SHAJ = Studies in History and Archaeology of Jordan

- The Biblical = The Biblical Archaeologist.

- The Periplus = The Periplus of the Erythraean Sea

- Trans = Translated .

- Vol = Volume.

ـ ط . ك = الطبعة الكاثوليكية .

ـ ط . ب = الطبعة البروتستانتية .

عرض لأهم مصادر ومراجع الدراسة

على الرغم من أن قيام الأنباط بمراسلة القائد انتيجنوس المقدوني في أواخر القرن الرابع ق.م يؤكد حقيقة إجادتهم للكتابة ، وإمكانية بروز مؤرخين وكتاب أنباط أسوة بالإغريق أو الرومان والأمم الأخرى التي كانوا على صلة وثيقة بها ، إلا أنهم لسبب غير معروف لم يتركوا وراءهم مواد كتابية تتحدث عن منجزاتهم ، والأحداث التي مرت بها المملكة النبطية طوال تاريخها ونظراً لافتقارنا لمثل هذه المصادر جرى الاعتماد في هذه الدراسة بشكل أساسي على كتابات المؤرخين والكتاب الأغريق واللاتين الذين عاصروا أحداث الحقبة المحددة للدراسة ، أو الذين تقدموا هؤلاء أو لحقوا بهم . ولا يعني ذلك أننا لم نستعن بالنقوش النبطية المتوفرة في كتابة بعض أجزاء هذه الدراسة ، أو أن الدراسات والمراجع الأجنبية والعربية لم تكن ذات فائدة حقيقية في معالجة الموضوع . وفيما يلي عرض لأهم مصادر ومراجع الدراسة .

أولاً : المصادر الكلاسيكية الأجنبية :

يتقدم هذه المصادر زمنياً مُؤلَّف ديودور الصقلي (٨٠-٢١ ق.م) **Diodorus of Sicilus** المدون بالأغريقية والمعروف باسم " **Biblotheca Historica**" [١] ومما يذكر عن زمن تدوينه هو أنه كان في الوقت الذي كان ما يزال فيه أغسطس صبياً وقد كُتب بشكل مكثف عن الأنباط في الموضعين التاليين : ٢-٤٨-٤٩، ١٩-٩٤-١٠٠. وقد اعتمد فيما زودنا به من معلومات عن الأنباط وطبيعة بلادهم وتفاصيل حملتي انتيجنوس المقدوني ضد بلاد الأنباط في أواخر القرن الرابع ق.م على مصدر تاريخي سابق دوّنه أحد ضباط الإسكندر المقدوني ويدعى هيرانيموس القارديائي **Hieranymus of Cardia** .

١- وقد اعتمدنا على الترجمة الإنجليزية الآتية:
Diodorus : **Diodorus of Sicily** – Book XIX -Trans. C.H Old Father , London 1951.

أما كتـــاب ســـترابو الأماســـي (٤٠ ق.م- ٢٥م) **Strabo of Amasia** المدون بالإغريقية والمعروف باسم **Geography of Strabo** [(١)] فقد زودنـــا بقدر لا بأس به من المعلومات عن الأنباط، سواء فيما يخـــص طبيعـــة بلادهـــم وعاداتهم والأنشطة التي كانوا يمارسونها آنذاك ، أم طبيعة علاقتهم بالرومـــان في عهد الإمبراطور أغسطس ، ولاسيما مشاركتهم فـــي الحملـــة التـــي قادهـــا إيليوس جالوس نحو جنوب الجزيرة والتي انفرد بروايـــة تفاصـــيلها وتحميـــل الأنباط عموماً والوزير سيلايوس النبطي خصوصاً الوزر الأكبر في الفشل الـــذي لحق بها وبرغم معاصرته لهذه الحملة وما يقال عن صداقته لقائدها جالوس إلا أن ما دونه عنها يمكن اتخاذه نموذجاً للكتابة غير الدقيقة ولاسيما إذا ما قارنـــا معلوماته الشخصية عن جنوب الجزيرة بتلك التي نقلها عن سابقيه .

وفيما يخص مؤلفـــات فيلافيـــوس يوســـفوس (٣٧-١٠٠م) **Flavius Josephus** فقد جرى الاعتماد بشكل أساسي على كتابه الموسوم "آثار اليهود **Antiquities of the Jewish**" [(٢)] ويتميز عن سابقيه بتغطية مرحلة أطول من تاريخ العلاقات النبطية الرومانية ، ولاسيما الأحداث التي ربطت اليهود بالأنباط، وكان لها تأثير في علاقة الجانبين بروما ، وبما في ذلك الأحداث التي تمت في أوائل التدخل الروماني في سورية . غير أنه ينبغي الإشارة إلى أن يهوديته كان لها قدر من التأثير في حياديته فيما كتبه عن الأنباط ، ولاســـيما فيمـــا يتعلـــق بحقيقة الانتصارات التي حققوها على الملوك المكابيين والهيروديين .

١- وقد اعتمدنا على الترجمة الإنجليزية الآتية :

The Geography of Strabo - Books –XV-XVI-Trans.by . H.Leonard Jones . London 2000.

وقد اقتضت المقارنة استخدام الطبعة الفرنسية :

Geographie de Strabon. Trad Amedee Tardieu. Paris 1880

٢- اعتمدنا بشكل أساسي على الترجمة الإنجليزية الآتية:

Josephus. **Antiquities of the Jewish** -Books IX-XVIII- Trans by . Ralph Marcus. London 1966.

وقد استخدمنا بشكل ثانوي كتابه المعروف باسم :

The Life **(Against Apion)** – Trans. by . H. Thackeray. London 1976.

أما كتابه المعروف باسم "الحروب اليهودية" فلا توجد فروق كبيرة بين مادته التاريخية وتلك التي أوردها في كتابه" آثار اليهود " . ونظراً لذلك فلم يكن هناك داع لاستخدامه في هذه الدراسة .

وقد جرى الاعتماد بشكل ثانوي على مجموعة أخرى من المصادر الكلاسكية ككتاب دليل البحر الارتيري The Periplus of The Erythraen Sea [1] ويتضمن هذا الكتاب إشارات مهمة عن نشاط الأنباط التجاري في عهد الملك مالك الثاني ويستنتج منه أن تجارة الأنباط لم تكن قد تأثرت باكتشاف الرياح الموسمية من قبل هيبالوس Hippalus .

وقد كان للدراسة العلمية الرصينة التي أعدها أستاذنا الدكتور عبد الله حسن الشيبة عن زمن كتابة مؤلف الدليل أثر إيجابي في تسهيل عملية استخدام هذا المصدر الكلاسيكي[2] .

ومن المصادر الكلاسيكية التي جرى الاعتماد عليها أيضاً في هذه الدراسة كتاب ديوكاسيوس (حوالي ٢٠٠م) Dio Cassius وعنوانه Dio's Roman History [3] وهو يتضمن إشارات مهمة عن طبيعة العلاقات الرومانية النبطية في بعض المراحل . وإشارات أخرى عن الحملة الرومانية التي قادها جالوس نحو جنوب الجزيرة .

وفيما يخص كتاب بليني الكبير (٢٤-٧٩م) Pliny of Elder المعروف باسم التاريخ الطبيعي Natural History [4] جرى استخدامه بشكل أساسي في معالجة حملة أيلوس جالوس على جنوب الجزيرة ومما يذكر عن هذه الحملة أنها مكنت الرومان من إقامة علاقة مباشرة مع أمراء وملوك جنوب شبه الجزيرة العربية .

---

[1] - اعتمدنا على الترجمة الإنجليزية الآتية :
The Periplus of The Erythraean Sea. Trans by : G.W.B. Huntingford. London 1980
وقد زودنا بها مشكوراً الأستاذ الدكتور عبد الله الشيبة .

[2] - أنظر كتابه : دراسات في تاريخ اليمن القديم – الطبعة الأولى- دار الوعي التوري- تعز ١٩٩٩-٢٠٠٠م، ص٢٠٧-٢٢٣.

[3] - أعتمد على الترجمة الإنجليزية الآتية :
Dio Cassius. Dio's Roman History-Books LVI-LX. LLXIII, Trans. by .cary. London 1968.

[4] - وقد أعتمدنا على الترجمة الإنجليزية الآتية:
Pliny of Elder. Natural History – Books. 5-6- Trans. by .H.Rackam- London 1999.

ونختم حديثنا عن المصادر الكلاسيكية بالإشارة إلى نوع مختلف من المصادر الكلاسيكية وهو الكتاب المقدس ، والذي تضمن إشارات متفرقة عن الأنباط ؛ ولا سيما كتابي المكابيين الأول والثاني ، واللذين تضمنا إشارات مهمة عن طبيعة العلاقات النبطية - المكابية في أولى مراحلها ، إلى جانب تفاصيل أوسع عن جذور علاقة المكابيين بالرومان . وفيما يخص العهد الجديد جرت الاستفادة من رسالة بولس الثانية إلى أهالي كورنثي في تأكيد حقيقة سيطرة الأنباط على دمشق في أواخر عهد الملك حارثة الرابع [١] .

ثانياً : النقوش :

وهي تحتل المرتبة الثانية من حيث استخدام المصادر الأصلية القدمى زمناً وتتضمن نقوشاً نبطية ، صفائية ،وقد تم استخدامها في المواضع التي اقتضت الدراسة الاستفادة منها وقد كان لبعضها أهمية مضاعفة في هذا البحث . ويعد النقش الصفائي التي يتحدث عن تمرد الأنباط على السيطرة الرومانية أبرز مثال لهذه النوعية من النقوش . وفيما يتعلق بالنقوش التي جرى استخدامها بشكل استثنائي يمكننا الإشارة هنا إلى نقش الوزير سيلايوس المدون بالنبطية والأغريقية . والنقش اللاتيني الأغريقي الذي نشره باولوكوستا ، وحدد مكان العثور عليه بأنه في إحدى مناطق الجوف باليمن .

ثالثاً : الدراسات والمراجع الحديثة :

أ- الدراسات والمراجع الأجنبية [٢] :

نوردها على النحو الآتي :

Studies in The History and Archaeology of Jordan-I-IV

دراسات في تاريخ وآثار الأردن - القسم الأول والرابع- وتتضمن دراسات في تاريخ وحضارة الأنباط . منها على سبيل المثال البحث المعد من ديفيد جراف D.Graf وعنوانه :

Nabataean Settlements and Roman Occupation in Arabia Petraea

---

١ - وقد اقتضت ظروف الدراسة والحاجة إلى مقارنة بعض النصوص استخدام الكتاب المقدس بطبعتيه الكاثوليكية والبروتستانتية.

٢- لتفاصيل إضافية عن هذه المراجع والدراسات أنظر الصفحات التالية من هذا البحث.

وقد زودتنا مجموعة كامبردج العلمية الخاصة بالتاريخ القديم، The Cambridg Ancient History بقدر أكبر من الأبحاث المتخصصة في التاريخ الروماني خلال العهد الإمبراطوري .

وقد جرى استخدام مجموعة لا بأس بها من المراجع الأجنبية نذكر منها هنا كتابي روستوفتزيف الآتيين:-

- Cravan cities.
- Social and Economic History The Roman Empire.

وكتاب باورساك Bowersock : Roman Arabia

ب- الدراسات والمراجع العربية والمعربة :

ومن الدراسات والمراجع العربية والمعربة التي جرى استخدامها في هذه الدراسة نذكر ما يأتي:-

- ارنولد جونز: مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية .
- لانكستر هاردنج : آثار الأردن .
- أحمد عجلوني : حضارة الأنباط من خلال نقوشهم (اطروحة دكتوراه غير منشورة).
- فوزي زيادين : تدمر ، البتراء ، البحر الأحمر . وطريق الحرير.
- عبد الله الشيبة : محاضرات في تاريخ العرب القديم .
  - دراسات في تاريخ اليمن القديم .
- إحسان عباس : تاريخ دولة الأنباط .

الفصل الأول

تاريخ ونشاط الأنباط الاقتصادي قبل قيام الإمبراطورية الرومانية

الفصل الأول

تاريخ ونشاط الأنباط الاقتصادي قبل قيام الإمبراطورية الرومانية

كان لموقع وطبيعة البلاد التي اتخذها الأنباط مواطن لاستقرارهم الأثر الكبير في تحديد نوعية الأنشطة التي كان عليهم ممارستها ، وطبيعة علاقتهم بجيرانهم ، والقوى الكبرى التي كانت تتنازع السيطرة على أقاليم الشرق القديم وتنبغي الإشارة إلى أن بداية استقرارهم الفعلي كان فيما يسمى حالياً بشرق الأردن . وهي المنطقة التي كانت منذ بداية القرن الثالث عشر ق.م مقراً لأربع كيانات سياسية صغيرة ، هي مملكتا جلعاد وعمون (في الأجزاء الشمالية) ومملكتا مؤاب وأدوم (في الأجزاء الجنوبية) لكنهم (أي الأنباط) ما لبثوا أن انتزعوا(في حوالي القرن الخامس ق.م) من مملكة أدوم المنطقة السهلية المعروفة حالياً بوادي موسى والتي كانت تشرف على ملجأ صخري وكان الأدوميون قد انتزعوه من أيدي الحوريين **Horits** (ومعناها سكان الجبال) ، واتخذوه ملجأ يلوذون به عند الشدائد ، قبل أن ينتزعه الأنباط منهم ويتخذونه حاضرة لمملكتهم المستقرة[١].

لم يكن هذا الملجأ الصخري سوى المدينة الحصينة التي عرفت باسم البتراء **Patra** وهي لفظة يونانية معناها (الصخرة)[٢]وتقابل في العربية الفصحى كلمة (الرقيم)[٣] التي يذكر المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسفوس في كتابه (آثار اليهود) أنها كانت التسمية السائدة لدى سكان مدينة البتراء وأن

---

[١] – لانكستر هاردنج : آثار الأردن – ترجمة سليمان موسى – ط٢– نشر دائرة الآثار العامةالأردنية– عمان ١٩٧١م، ص١٣٧. فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين –ج١– ترجمة/جورج حداد وعبد الكريم رافق – بيروت ١٩٥٨م ، ص٤١٦، ٤١٧ . إحسان عباس : تاريخ الأنباط – الطبعة الأولى – الأردن ١٩٨٧م، ص٢٣ .

Bowersock . G . W: **Roman Arabia** . Princeton 1982. p 11.15.

[2]- **Strabo: Geography** .16.4.20.21.cf : Bowersock op.cit.p.17.

ارنولد جونز : مدن بلاد الشام (سورية) حين كانت ولاية رومانية – ترجمة إحسان عباس – ط١ – عمان ١٩٨٧م، ص١٩. هاردنج ، آثار الأردن ، ص١٣٧.

[٣] – خالد إسماعيل علي : الرقيم : البتراء (بطرا) – كلية الآداب – جامعة بغداد – (د.ت) ص١–٧.

كلمة (ركيمي) مشتقة في الأصل من اسم الملك (ركموس) باني المدينة ومؤسسها الأول(١).

ومن اللافت أنه (أي يوسفوس) ، لم يشر في هذا الموضع إلى أن اسم المدينة في العبرية هو سلع والتي تعني أيضاً الشق في الصخر(٢).

وفيما ذكره الكاتب اليوناني سترابو نقلاً عن صديقه أثينودورس Athenodorsعن طبيعة موقع البتراء والتضاريس المحيطة بها ما يفسر الأهمية الاستراتيجية التي كانت لهذه المدينة سواء من الناحية الحربية أو التجارية فهي حسب وصفه "تقع على أرض مستوية ومنبسطة بشكل عام ولكنها محمية بالجبال الصخرية من جميع الجوانب . وهذه الجبال سحيقة الانحدار من الخارج ويعتريها الجفاف ، ولكنها من الداخل كثيرة الينابيع ومن مياها يشرب الناس ويروون البساتين".(٣).

ويمكن القول أنه لم يكن من المتيسر لأي كان دخولها إلا من ممر ضيق عبارة عن أخدود يعرف اليوم باسم السيق (٤).

وزيادة على ما كانت تتسم به البتراء من حصانة ومناعة وكونها المدينة الوحيدة الواقعة بين الأردن والحجاز التي كان يوجد بها مياه غزيرة ونقية . كانت تحتل موقعاً مهماً على الخط التجاري الذي كان يصل بين جنوب شبه الجزيرة العربية و الموانئ السورية (٥).

أما عن طبيعة المناطق الأخرى التي كانت قد أصبحت منذ أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ضمن الأراضي النبطية ، فقد اتسمت بكونها جبلية جدباء .

1- Josephus . **A.J**. 4 . 161.

٢ – جونز ، مدن بلاد الشام . ص٩٠. هاردنج ، :آثار الأردن ، ص١٣٧. خالد إسماعيل ، الرقيم، ص٧.

3- Strabo, **Geography**. 16.4 . 21-22.

٤ – هاردنج ، آثار الأردن . ص١٣٩. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط . ص٨٧.

5- Bowersock, **Roman** .p.7.13. فيليب حتي ، تاريخ سورية . ج١، ص٤١٨.

قليلة المياه . وتكثر فيها المرتفعات الصخرية الوعرة ، والشعاب[1]. وهـذا مـا نجد تأكيده لدى المؤرخ الروماني ديودور الصقلي الذي يصـف بـلاد الأنبـاط– خلال تلك المرحلة – بأنها "قفرة قليلة المياه والقسـم المنبـت منهـا ضـئيل" . وينسب إلى أحد القادة المقدونيين (ديمتريوس) الذي حاول غزو بلاد الأنباط في تلك الحقبة قوله أنه "لم يكن من السهل عليهم ممارسة الزراعة"[2].

غير أن ديودور الصقلي نفسه يؤكد أن الأنباط كانوا أكثر ثراء من القبائل العربية التي اتخذت الصحراء مراعي لقطعانها[3]. وبما أن تربية بعضهم الإبـل والماشية لا تعد سبباً وجيهاً لتفسير هذا الثراء ، فلا ريب أنهم كانوا قـد بـدأوا باستثمار موقع البتراء في ممارسة النشاط التجاري الذي يرجح أنهم لم يكونـوا في بداية انخراطهم فيه أكثر من أصحاب قوافل ينقلون السلع لحساب غيرهم ثـم تطور بهم الحال بعد ذلك ليصبحوا هم أنفسهم تجـاراً أو شـركاء فـي عمليـة الصفقات التجارية[4].

وذلك ما يبدو واضحاً من قول ديودور" وقد تعود عدد غير قليل منهم على أن يجلبوا إلى الساحل البخور والمر وأغلى ضروب الأفاويه يحصـلون عليهـا ممن ينقلونها إليهم، مما يسمى بالعربية السعيدة"[5].

وهناك من المؤرخين من يرجح قيام الأنباط خلال هذه المرحلـة المبكـرة بمزاولة حرف أخرى ، كاستخراج القار (الإسفلت) من البحـر الميـت وبيعـه للمصريين ، والمتاجرة بنبات البلسم الذي كان من النباتات النادرة وكان أطبـاء

1- أحمد عجلوني : حضارة الأنباط من خلال نقوشهم – أطروحة دكتورة غير منشورة– كلية اللغات – بغداد ١٤٢٣هـ /٢٠٠١م، ص٣. سيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام – مؤسسة شباب الجامعة – الاسكندرية (د.ت)،ص١٥٨.

2- Diodorus. 19.94.4.

3- Ibid.19.94.4-5

4 – جونز ، مدن بلاد الشام ، ص١٩. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ص٣٣.

5 - Diodorus,19.94.5.

ذاك الزمان يستخدمونه عقاراً[1]. أما فيما يخص طبيعة علاقات الأنباط بجيرانهم ، فقد كانت الإمبراطورية المقدونية قد وصلت قبل وفاة الاسكندر المقدوني في (٣٢٣ ق.م) إلى أقصى ما يمكن أن تصله قوة كبرى من اتساع ، ونظراً لأنه لم يكن بين أفراد أسرته من يصلح لتولي عرش الإمبراطورية المترامية الأطراف فقد شهدت السنوات التي تلت هذا الحدث (أي وفاة الاسكندر) نشوب صدام دام بين قادة الاسكندر ، سواء الذين كانوا يطمحون إلى انتزاع العرش الامبراطوري، أو الذين كانوا يأملون في توسيع حدود الولايات والأقاليم التي كانوا يحكمونها ، على حساب الولاة الآخرين[2].

وسيجري التركيز هنا على ذكر الآثار السلبية التي لحقت بالأنباط . من جراء الصراع الذي نشب بين كل من انتيجنوس الأعور (٣٢٠-٣٠١ ق.م) Antigonus the one-Eyed حاكم ولايات أسيا الصغرى ، وبطليموس الأول (٣٢٣-٢٧٥ ق.م) Ptolemus I حاكم مصر ، وسلوقس نيكاتور (٣١٢-٢٨٠ ق.م) Seleucus Nicator حاكم ولاية بابل والمعروف بسلوقس الأول (مؤسس الدولة السلوقية)[3].

ويرتبط هذا الأمر بداية بالمؤتمر الذي عقده كبار قادة الجيش المقدوني في مدينة تريباراديسوس Triparadeisos سنة ٣٢٠ ق.م ، والذي كان من أهم قراراته إسناد حكم ولاية بابل إلى سلوقس الأول . وتأكيد شرعية حكم بطليموس الأول لولاية مصر . إضافة إلى تكليف انتيجنوس الأعور بنقل كنوز

1- Bowersock, **Roman** .p16.

إحسان عباس ، **تاريخ دولة الأنباط** ، ص٣٤ ، ١١٠ ، ١١١.

2- Josephus . **A J**. 12.2-4 - **The Life** . p.239.

جونز، **مدن بلاد الشام** ، ص٢٦. فيليب حتي ، **تاريخ سورية** ،ج١،ص٢٥٩ . فرج الله يوسف : مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام – مجلة أدوماتو – العدد الخامس-١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م،ص٤٠.

3- Josephus . **A J**. 12.2. cf: Bowersock. **Roman** p.13.Rostovtzeff.M.: **Caravan cities**. - Oxford.1932, p.56.

جونز، المرجع السابق ، ص٢٦. فيليب حتي، المرجع السابق ، ج١،ص٢٥٩.

مدينة سوسا إلى مدينة كليكيه ، وهو الأمر الذي منح هذا الأخير ما كان يحتاجه من أموال كي يحقق أطماعه التوسعية على حساب منافسيه الآخرين ؛ ولاسيما سلوقس الأول الذي أضطره انتيجنوس إلى مغادرة بابل ، واللجوء إلى بلاط بطليموس الأول الذي كان يعلم أنه لن يكون بمنأى عن طموحات انتيجنوس التوسعية ، وأن عليه المبادرة إلى حشد قواه وقوى مناصريه استعداداً لمواجهة غريمه[١].

ومع أنه لا يوجد في المصادر والمراجع المتوفرة ما يشير إلى قيام الأنباط بنشاط ما في المواجهات التي دارت بين الجانبين بعد ذلك ، يتضح أن علاقة الولاء التي ربطت الأنباط بالبطالمة منذ وقت مبكر ، وما ذكره ديودور الصقلي عن مقدار الثروة النبطية العائدة من ممارسة التجارة ، كان في مقدمة العوامل التي دفعت انتيجنوس إلى مهاجمة " أرض العرب الذين يدعون الأنباط"[٢]. حيث يذكر ديودور نفسه أن انتيجنوس هذا قام سنة ٣١٢ ق.م بارسال قائده اثينايوس **Athenaeus** إلى بلاد الأنباط على رأس جيش مكون من ست مئة فارس وأربعة آلاف مقاتل مشاة . وكان من بين الأوامر التي طلب انتيجنوس من قائده تنفيذها في هذه الحملة . أن يحرص على مفاجئة الأنباط ويقوم بسلب ما يمكنه من ممتلكاتهم الثمينة ، فعمل هذا القائد على قطع الطريق المؤدية – عبر مقاطعة أدوم – إلى البتراء . بسرية كاملة ولم يعط الأنباط مجالاً لكشف أمر حملته[٣].

---

١ - جونز ، مدن بلاد الشام ،ص٣٦.

2-Diodorus . 19.94.1.cf: Bowersock.**Roman**.p.13. Cary.M: **The Geographic Back Ground of Greek and Roman History** – Oxford 1949.p.186..

هاردنج ، آثار الأردن . ص٤٩. جونز ، مدن بلاد الشام ،ص١٩.

3- Diodorus.19.96.1. cf: Bowersock.op.cit.p.13.

هاردنج، المرجع السابق ، ص ١٤٢.

ومن بين الأسباب التي ساهمت في نجاحه في هذا الأمر، وتأدية المرحلة الأولى من مهمته ، من دون أن يلقى أي مصاعب ؛ أنه كان يعلم أن من عـــادة الأنباط السنوية الذهاب إلى أحد الأسواق القريبة من بلادهم ، وترك ممتلكـــاتهم سوية مع شيوخهم ونسائهم وأطفالهم ، في موقع حصين أطلق ديـــودور عليـــه اسم "الصخرة" . ووصفها بأنها "غاية في المناعة على الرغم من أنها لـــم تكـــن مسوّرة"[١] و يرجح هاردنج أن يكون هذا الموقـــع هـــو أم البيـــارة[٢]. ويـــذكر باورساك أن هذا الوصف يتطابق بشكل كبير مع خصائص موقع البتراء[٣].

أما عن توقيت الهجوم فقد وجد أثينايوس أن منتصف الليـــل يعـــد أكثـــر الأوقات مناسبة لأخذ من في هذا الموقع على حين غـــرة. ونظـــراً لأن غالبيـــة القادرين على القتال من الأنباط كانوا في عداد الذين ذهبوا إلى السوق المجـــاور لبلادهم فلم يكن في وسع الشيوخ والنساء مقاومة هذا الهجوم المباغت. فكـــان القتل والأسر مصير غالبيتهم وبما في ذلك الأطفال. وبعد أن تمكن رجالـــه مـــن الاستيلاء على كميات كبيرة من اللبان والبخور والمر ، وما مقـــداره خمســـمائة وزنه من الفضة ؛ سارع اثينايوس إلى مغادرة الصخرة قبل طلوع الفجر . لكـــن الإعياء الذي لحق برجاله بعد قطعهم مسافة ٢٠٠ استاديون[٤] ما لبث أن أضطره إلى التوقف وإقامة معسكر لإراحة قواته.

وفي الوقت الذي خلد فيه اثينايوس ورجاله إلى النوم ، تمكن فريق مـــن الأنباط الذين كانوا قد وقعوا في الأسر من الفرار نحو بلادهم ، وإخبار اخـــوانهم الذين كانوا قد عادوا من السوق بعد ساعة أو ساعتين من بلوغهم أنباء حملـــة اثينايوس ، بأن المقدونيين الذين ألحقوا بالصخرة وأهلها الـــدمار والتقتيـــل لـــم

1- Diodorus.19.95.96.1.

٢- هاردنج ، آثار الأردن ، ص١٤٣.

3- Bowersock. **Roman** . p.13.

٤- الاستاديون : هو مقياس طول اغريقي يساوي ٦٠٦/٧٥قدم أي حوالي ١٨٢متر . رضا الهاشـــمي:آثـــار الخليج العربي والجزيرة العربية - بغداد ١٩٨٤، ص٦٥.

يبتعدوا كثيراً ، وأن بإمكانهم اللحاق بهم ومهاجمة المعسكر الذي كانوا فيــه[1]. فجمع الأنباط من أنفسهم ما لا يقل عن ثمانيــة آلاف مقاتــل ، وانطلقــوا نحــو المعسكر المقدوني الذي يذكر ديودور الصقلي أن المعسكرين فيــه لــم يكونــوا يتوقعون عودة الأنباط إلى الصخرة بتلك السرعة ، وكانوا يظنون أنهم أصــبحوا في مأمن من وقوع هجوم عليهم ، فتراخوا في أمر الحراسة وتعيــين الرقبــاء حول الموقع الذي عسكروا فيه ، الأمر الذي مكن الأنباط من إبادة الجزء الأكبــر من جيش اثينايوس. فلم ينجو من مجموع أربعة آلاف المقاتل المشاة وست مئة فارس الذين قادهم نحو الصخرة ؛ سوى خمسين فارساً تمكنوا رغم ما لحقهــم من جراح من تفادي الموت أو الوقوع بين يدي الأنباط ، الذين قاموا علــى أثــر ذلك بالاستيلاء على جميع ما كان في المعسكر المقدوني بما في ذلك الممتلكــات التي كانت قد نهبت من البتراء[2].

ويبدو من رواية ديودور الصقلي أنهم كانوا على قدر لا بــأس بــه مــن الثقافة والحنكة السياسية ، فما كادوا يعودون إلى الصخرة حتــى بــادروا إلــى مكاتبة الملك انتيجنوس ، موضحين في الكتاب الذي أرسلوه إليه والــذي خــط بالآرامية "السريانية" أن المسؤولية فيما حدث بين الجانبين تقــع علــى قائــده أثينايوس . أنهم مع ذلك يعتذرون عما بدر منهم نتيجة لذلك غيــر أن محاولــة الأنباط تفادي تعميق هوة العداء بني الجانبين لم تلق قبولاً لدى انتيجنوس الــذي كان حريصاً على الانتقام منهم بأي طريقة فتظاهر في الكتاب الــذي أرســله رداً عليهم ، بأنه يوافقهم على تحميل اثينايوس وزر مسئولية الصدام الذي وقع بين

1- Diodorus.19.96.1.cf: Bowersock, **Roman**, p.13

هاردنج، **آثار الأردن** ، ص١٤٢.

2 - Diodorus.19.96.1.cf: Bowersock. **Roman** .p.13.Cary**. The Geograbhic** .p.186

هاردنج ، **آثار الأردن** ، ص١٤٢، إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٣٠، ٣١.

الجانبين ، وأن هذا الأمر لم يكن بعلمه أو رضاه ، وأنه يأمل في أن تسود الصداقة بينه وبينهم[1].

وعندما قدر أن الوقت أضحى مناسباً للانتقام ، أعطى أوامره إلى ابنه ديمتريوس **Demetrius** (الذي عرف بلقب المحاصر) بالمسير إلى بلاد الأنباط، والانتقام ممن دحروا اثينايوس وقد تألفت الحملة التي أعدها انتيجنوس لتأدية هذه المهمة من أربعة آلاف فارس وعدد مماثل من المشاة ، غير أن اعتقاد انتيجنوس بأن الحيلة قد انطلت على الأنباط لم يكن صحيحاً ، بل إن الأمر كان على العكس من ذلك تماماً ، فقد صاروا بعد الهجوم الذي شنه اثينايوس أكثر حذراً وحيطة من ذي قبل . وكان من جملة التدابير التي لجأوا إليها . الاحتفاظ بمخافر أمامية (على قمم الجبال) وظيفتها الأولى إرسال إشارات تحذيريه إليهم عن تقدم قوات الأعداء نحو الصخرة . وقد اعتمدوا في ذلك على إيقاد النيران في المواضع الأكثر ارتفاعاً ، حتى يتسنى رؤية دخانها بوضوح كامل.

فما إن بدأت حملة ديمتريوس بالتوغل داخل الأراضي النبطية ، حتى بادر من في تلك المخافر الجبلية إلى إشعال سلسلة من الإشارات النارية المتواصلة. فسارع الأنباط فور تلقيهم هذه الإشارات التحذيرية ، إلى وضع جزء من قواتهم داخل مدينتهم (الصخرة) التي يبدو- من وصف ديودور الصقلي – أنها كانت قد أصبحت مسورة وبعد أن تركوا بداخلها ما لم يستطيعوا حمله . قسموا ماشيتهم إلى قطعان متفرقة . دفعوا بعضها نحو الصحراء وبعضها الآخر نحو أماكن بعيدة يصعب على قوات ديمتريوس الوصول إليها[2].

وقد تمكنوا بهذه الإجراءات من إفشال المهمة التي كلف ديمتريوس بتنفيذها. فبالرغم من عنف وشراسة الهجوم الذي شنه هذا الأخير على صخرة

1- Diodorus.19.96.97.I.Cf: Bowersock, **Roman**. p.13.14.

هارندنج ، المرجع السابق ، ص١٤٢.

2- Diodorus. 19.98.1. Cf: Bowersock **Roman** .p.14. Cary.**The Geographic** ,p.186.

هارندنج ، آثار الأردن ، ص١٤٢. إحسان عباس، تاريخ الأنباط ،ص٣١، ٣٢.

الأنباط إلا أنه لم يتمكن من اقتحامها ، ونظراً لأنه كان يخشى أيضاً عواقب مطاردة الأنباط الذين توغلوا في أنحاء الصحراء اضطر في نهاية الأمر إلى قبول عرض الصلح الذي تقدم به الأنباط ، والذين راسلوه قائلين :" ليس من الحكمة في شيء أن يعلن الإغريق حرباً على شعب لا يملك ماء أو خمراً أو حبا فنحن لا نعيش كما يعيش أبناء الإغريق ولا نرغب في أن نصبح عبيداً لهم" وكان من بين الأمور التي عقد بموجبها الصلح بين الجانبين أن يقدم الأنباط عدداً من الرهائن وبعض الرقيق والأموال والهدايا[1].

وبالنظر إلى النتيجة السلبية التي انتهت إليها حملة ديمتريوس فقد حاول هذا القائد المقدوني الانتقام من الأنباط بوسيلة أخرى ، فمن المعروف أنهم كانوا يقومون خلال تلك المدة بالمتاجرة في مادة القار(الاسفلت) . فقاده تفكيره إلى إمكانية تعويض ذلك الإخفاق عن طريق الاستيلاء على أكبر قدر من هذه المادة من على سطح البحر الميت فأمر رجاله بركوب القوارب وجمع تلك المادة ولكنهم ما كادوا يفعلون حتى تعرضوا لهجوم من ستة آلاف عربي (نبطي) من رماة السهام كانوا في ذلك الموقع ، ولم ينج من أمطار السهام التي أطلقها هؤلاء على من كانوا في تلك القوارب سوى فئة قليلة ، من مجموع العدد الذين كلفهم ديمتريوس بهذه المهمة . الأمر الذي انتهى بهذا الأخير إلى فشل أكبر من سابقه[2]. وكان من الطبيعي أن يلقى التوبيخ من أبيه انتيجنوس الذي يذكر ديودورالصقلي أنه لم يكن راضياً حتى عن الصلح الذي عقده ابنه مع الأنباط . وأفهم ديمتريوس بأن " ذلك قد يجعل أولئك البرابرة (الأنباط) أكثر جسارة وجراءة بعد أن تركهم دون عقاب ، ولأنهم قد يظنون أن عفوه عنهم لم يكن إلا نتيجة لعجزه عن الظهور والغلبة ، وليس لسماحة ولطف في نفسه "[3].

1- Diodorus. 19.98.1. cf: Boworsock, **Roman** .p.14. Cary . The **Geographic**. p.186.
هاردنج ، آثار الأردن ، ص١٤٢. محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم – الاسكندرية ١٩٩٣م ،ص٥٠٤.

2- Bowersock. **Roman**. p. 16.

3- Diodorus. 19.99.1

وأيا كان الأمر يمكن القول إن هاتين الحملتين لم تؤديا إلى انفكاك عرى التحالف النبطي – البطلمي خلال تلك الحقبة والسنوات التي استمر فيها انتيجنوس في الحكم . غير أن ضخامة المكاسب المادية التي كان الأنباط يجنونها من وراء احتكارهم لتجارة الجزيرة العربية البرية والبحرية ، ما لبث أن آثار نقمة حلفائهم البطالمة الذين كانوا يرون أنهم أحق بهذا الأمر منهم . ولما كان من المتعذر عليهم الاستيلاء على مدينة البتراء الحصينة ، ووضع بلاد الأنباط تحت نفوذهم الفعلي حاول ملكهم بطليموس الثاني فلادلفيوس (٢٨٥-٢٤٧ ق.م) Ptolemus II Philadlphus تحقيق هذه الغاية بوسائل أخرى ، تمثلت في محاولته إعادة فتح القناة القديمة التي كانت تصل النيل بالبحر الأحمر ، وإقامة موانئ ومستوطنات على سواحل البحر الأحمر الشرقية ، بعد أن كلف بعثات استكشافية بتحديد أنسب المواضع لبناء هذه المواني والمستوطنات ، والتي يعد ميناء امبيلوني Ampelone الذي أقامه سكان مدينة ميليتوس اليونانية بالقرب من ميناء جدة الحالي ، أبرز مثال لها وإكمالاً لتلك الخطوات قام بطليموس بالسيطرة على المدن والمراكز السورية التي كانت تنتهي إليها قوافل الأنباط التجارية ؛ مما أدى في نهاية الأمر إلى تحويل تجارة البخور عن الطريق الذي كان يمر ببلاد الأنباط إلى مدينة ددان (العلا) الحجازية القريبة من ميناء أمبيلوني سابق الذكر(١).

وبالنظر إلى ما أحدثته هذه الخطوات من آثار سلبية في معيشة ورخاء الأنباط ، الذين كانوا يعتمدون كلياً على الأرباح التي كانوا يحصلون عليها من مرور القوافل ببلادهم وممارستهم للتجارة عبر البحر الأحمر كان من الطبيعي أن

1- Rostovtzeff, **Caravan**. p.56.57. Bowersock, **Roman**. p.21.

سيد الناصري : **الرومان والبحر الأحمر** – القسم الأول من كتاب البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة – القاهرة ١٩٨٠م ص٣٩، ٤٠. عبد الله حسن الشيبه : **محاضرات في تاريخ العرب القديم** – ط٢– مكتبة دار الآفاق – صنعاء ١٩٩٥م ،ص٩٣، ٩٤.

يردوا للبطالمة الضربة في الموضع نفسه ، فما لبثوا أن أخذوا في مهاجمة السفن البطليمة التجارية ، ونهب محتويات السفن المتجهة إلى مصر ، أو القادمة منها . حيث يذكر ديودور الصقلي أنهم لم يكتفوا بمهاجمة من تحطمت بهم سفنهم ، وأنهم "أنزلوا إلى الماء سفن قرصنة تطارد التجار والمسافرين"[١] . ونجد آثار هذا النشاط النبطي عند سترابو أيضاً ، الذي يشير إلى هذا الأمر قائلاً " هؤلاء الأنباط عاشوا في السابق حياة مسالمة ولكنهم تعودوا بعد ذلك – بواسطة الطوف – على نهب سفن الغير التي تبحر من مصر" [٢] .

كانت ردة فعل بطليموس الثاني تجاه ما قام به الأنباط ذات شقين رئيسين فبإضافة إلى قيامه بإنشاء قوة بحرية لحماية السفن التجارية (جعل مركزها في مدينة برنيقه Berenice القريبة من خليج أيلة) ، فقد حاول الاستيلاء على مدينة البتراء نفسها ، لكنه لم يوفق في ذلك . فاستولى على الساحل الشرقي للبحر الميت، وحرم الأنباط من استثمار مادة القار[٣].

ومع أن الجهود التي بذلها هذا الملك البطلمي قد أسفرت عن إلحاق خسائر فادحة بأسطول الأنباط (حوالي سنة ٢٧٨-٢٧٧ ق.م) ، ووقف العمليات التي كانوا يقومون بها ضد السفن البطلمية لبعض الوقت ، إلا أن انشغال البطالمة بأعدائهم السلوقيين غالباً ما كان يتيح الفرصة للأنباط لمعاودة الإغارة على السفن البطلمية والسفن الذاهبة أو الآيبة من مصر . ويبدو أن استمرارهم في مهاجمة سفن البطالمة كان بتشجيع من السلوقيين، الذين استمالوا الأنباط

1- Diodorus. 3.43.5. cf : Bowersock. **Roman**. p. 20

الشيبة ، محاضرات ، ص ٩٤. سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر ، ص٤٠.

2- **Geography** of Strabo. 16.4.18.

الشيبة ، محاضرات ، ص٩٤.

٣- جونز، مدن بلاد الشام ، ص٥٩، مصطفى عبد العليم : دور البحر الأحمر في تاريخ مصر على عهد البطالمة – القسم الأول من كتاب البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة – القاهرة ١٩٨٠م، ص١٤. عبد الرحمن الأنصاري ، حسين بن علي أبو الحسين : العلا ومدائن صالح (حضارة مدينتين) – دار القوافل – الرياض ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م، ص ٥٩.

إليهم وحرضوهم على مقاومة نفوذ البطالمة في البحر الأحمر نيابة عنهم . الأمر الذي دفع بطليموس الثاني إلى إقامة تحالفات مماثلة مع حكام مدينة ددان، والعرب اللحيانيين الذين وجدوا في الأسطول البطلمي حماية لهم من التوسع النبطي[1].

وقد استمر الصراع بينهم وبين البطالمة على هذا المنوال إلى أن تمكن حلفاؤهم السلوقيون (١٩٧ ق.م) من استرداد سورية المجوفة من البطالمة . وهو الحدث الذي سمح لهم بمعاودة نشاطهم التجاري مع المراكز التجارية السورية ، التي كان البطالمة يقفون حائلاً دون وصول قوافلهم إليها. وليس ذلك وحسب بل أدرك الأنباط أن استعادتهم المكانة التجارية التي كانت لهم قبل نشوب الصراع بينهم والبطالمة يتطلب بسط نفوذهم السياسي على هذه الطرق والمراكز التجارية . فبادروا إلى التوسع نحو مدائن صالح وشمال غرب النقب ، وتمكنوا من خلال ذلك من تحقيق هدفهم . ففي كل منطقة من هذه المناطق كانت هناك طريق تجارية كبرى أو فرعية، كالطريق البري المؤدي إلى مصر عبر غزة – العريش – سيناء، أو تلك المنطلقة من الحجر (مدائن صالح) نحو بلاد العرب الجنوبية والخليج العربي[2]. وقد تم لهم ذلك بعد أن بدأ البطالمة يفقدون اهتمامهم بالساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية ، وأخذوا يركزون جهدهم على الساحل الأفريقي الأثيوبي ، ويبدو ذلك بوضوح من ضعف ردة فعلهم عندما أخذ الأنباط بالتوسع على طول الساحل الشرقي . فبالرغم من الدعم الذي قدموه لحلفائهم اللحيانيين إلا أن هؤلاء لم يتمكنوا من منع الأنباط من استيعاب القبائل العربية التي كانت على ساحل الحجاز ، والاستيلاء على الحجر (مدائن صالح) التي اتخذوها قاعدة للانطلاق والتوسع . وهناك من يرجح أنهم (أي الأنباط)

1- Bowersock . **Roman** . p. 20-21

الشيبة . محاضرات . ص٩٣. سيد الناصري ، الرومان والبحر الأحمر . ص ٣٩-٤١ . إحسان عباس.تاريخ الأنباط ، ص٣٣-٣٤ . مصطفى عبد العليم ، دور البحر الأحمر ، ص٤١.

2-Josephus, **A J**. 12.128,cf: Bowersock, **Roman**, p.11, Rostovtzeff, **Caravan** . p.28

اندريه دوبون وآخرون : مقدمة مخطوطات قمران – ج١– ترجمة موسى ديب الخوري – ط١– دمشق ١٩٩٨م ص ١٣. جونز، مدن بلاد الشام، ص ١١٧، ١١٨. إحسان عباس، تاريخ الأنباط ، ص ١٠٨.

وصلوا إلى ميناء امبيلوني بالفعل ، وأنهم خربوه ، وبنوا بجواره ميناءً جديداً لهم اسموه ليوكي كومي Leuke Kome . وأنهم ربطوا هذا الميناء بمدينة يثرب التجارية ، بطريق قوافل وبذلك حولوا التجارة عن مدينة ددان حليفة البطالمة ، الذين أدت هذه الخطوة إلى تقلص نفوذهم في البحر الأحمر[١].

ولم تتوقف سياسة الأنباط عند هذا الحد إذ ما لبثوا أن استغلوا حالة الضعف التي بدأت تدب في أوصال الدولة السلوقية في التوسع على حساب حلفاء الأمس (السلوقيين) ويرجح بعض المؤرخين أن هذا التوسع كان في عهد الملك النبطي حارثة الثاني(حوالي ١٠٠ق.م) الذي يوصف بأنه زعيم قوم من العرب كانوا مخلدين إلى السلم ولكنهم صاروا يهددون بجيوشهم كلاً من مصر وسورية ويذكر أنه كان يعتمد في هذا الأمر على أبنائه البالغ عددهم سبعين فرداً[٢].

وإذا ما صح هذا الرقم الأخير فإنه يفيد بأن قوة الأنباط العددية كانت قد أصبحت كبيرة مقارنة بما كانت عليه أحوالهم زمن صراعهم مع انتيجنوس المقدوني وفيما يخص وصف الملك حارثة بأنه سيد العرب وعدم الإشارة إلى أنه ملك الأنباط فذلك يتماثل بشكل كبير مع ترجيحات المؤرخين بأن ارتاس (الحارثة) الموصوف بأنه زعيم العرب والذي يشير كتاب المكابيين الثاني إلى أنه قام بطرد جاسون (كاهن اليهود الأكبر) من بلاده ليس إلا أول ملوك الأنباط المعروفين باسم حارثة [٣] .

---

١ – الأنصاري، العلا ومدائن صالح، ص٥٢. سيد الناصري، الرومان والبحر الأحمر، ص ٤٠. مصطفى عبدالعليم ، دور البحر الأحمر، ص١٤.

2- Rostovtzeff. **Caravan**. p64.65. Bowersock **Roman**. p13.22.23.

إحسان عباس ، تاريخ الأنباط، ص٤٠. جونز ، مدن بلاد الشام ، ص٥٩.

٣ – الكتاب المقدس – [ط.ك] – دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط – بيروت ١٩٩٢م كتاب المكابيين الثاني، ف٥ / أية ٦-٩/ ص ٨٣٣. أنظر أيضاً : إحسان عباس، تاريخ الأنباط، ص٣٧ ٣٨

-Bowersock. **Roman**. p.18.

ويرى باورساك أن وصف حارثة هذا على أنه زعيم العرب لا يقف عائقاً أمام إمكانية أن يكـون هـو حارثـة المـذكور فـي نقـش الخلصـة Elusa (موضع في النقب) والذي يقول فيه صاحبه " هذا هو المكان الذي أقامـه عبـد نثيرو لحياة حارثة ملك الأنباط "[1].

ويمكننا أن نستشف من هذا النقش الذي يعيد بعض المؤرخين تأريخه إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد ، التطور الذي كان وصل إليـه نظـام الحكم لدى الأنباط ، وتجاوزهم مرحلة الاستقلال إلى التوسع والسيطرة ، وتقديم العون للقوى المتمردة على الحكم السلوقي[2] .

فقد وجد الأنباط أن مصلحتهم تقتضي محالفتهم يهـود فلسـطين الـذين أعلنوا الثورة على الملـك السـلوقي انطيوخـوس الرابـع (١٧٤-١٦٤ ق.م) Antiochus Epiphane واستطاع قائدهم يهوذا المكابي (١٦١ ق.م) Judas Maccabaeus تحقيق سلسلة من الانتصارات على الفرق السلوقية التي كلفت بإخماد ثورته وتمكن مع نهاية عام ١٦٥ ق.م من بسط سـيطرته علـى بيـت المقدس[3] .

وعندما تعرض اليهود الذين في جلعاد لهجوم الأعداء المحيطين بهم ، قام يهوذا المكابي وأخوه ناتان بعبور الأردن "وسـارا مسـيرة ثلاثـة أيـام فـي البرية.فصادفا النباطيين (الأنباط) فتلقوهما بسلاحهم ، وقصوا عليهما كـل مـا أصاب إخوانهم في أرض جلعاد ، وأن كثيرين منهم قد حصروا في بصره وباصر وعليم و... وفي سائر مدن أرض جلعاد" [4].

---

[1]- Bowersock. .'**Roman**. p.19

[2]- Bowersock. **Roman**.p19.

عجلوني، **حضارة الأنباط**، ص٦٥، ٦٦، إحسان عباس، المرجع السابق، ص٣٩.

[3]- **المكابيين الأول** ، ف ٣/ آية ٣٩-ص٧٧٦-٧٧٨ . انظر أيضاً : اندرية دوبون، **مخطوطات قمران**، ج١، ص١٤.

Josephus. **A J**. 12 . 129 – 131 . Bowersock. **Roman**. p. 19. 20.

[4] – **المكابيين الأول** ، ف ٥ / آية ١٥-٢٨/ ص٧٨٤. انظر أيضاً : .. Josephus. **A J** 12. 335-337.

وقد رجح باورساك أن اللقاء بين الجانبين المتحالفين قد تم في منطقة حوران ، التي كانت قد أصبحت منذ وقت طويل (قرابة قرن من الزمن) ، مركزاً نبطياً رئيساً[١].

وإذا كانت الرواية السابقة لا تتحدث عن تقديم الأنباط أي عون مادي إلى يهوذا المكابي ؛ فلا يعني ذلك أن العلاقات بين الجانبين لم تكن وثيقة ، أو أنها لم تكن قائمة على تعاهد رسمي بالتحالف ، وتقديم الدعم الذي يثبت صدق الموالاة ،ونجد تأكيد ذلك في رواية أخرى من كتاب المكابيين الأول ، إذ يذكر كاتب هذا السفر أن اليهود سارعوا عقب مصرع يهوذا المكابي على أيدي السلوقيين إلى تنصيب أخيه يوناتان قائداً عليهم ، وأن هذا الأخير لم يجد بعد أن أصبح مطارداً من القوات السلوقية من سبيل إلا عبور نهر الأردن ، وطلب الدعم من الأنباط. ويتمثل ذلك في قوله " وأرسل يوناتان يوحنا أخاه بجماعة تحت قيادته يسأل النباطيين أولياءه أن يعيروهم عدتهم الوافرة "[٢].

ومع أنه لم يُكتب ليوحنا هذا الوصول إلى بلاد الأنباط وإنجاز هذه المهمة،نتيجة لوقوعه ومن معه في أسر قبيلة عربية تدعى بنويمري(عمري) . إلا أن هذه الرواية تؤكد قطعياً بأن علاقة الأنباط بالمكابيين كانت قائمة على مواثيق سبق الاتفاق عليها ، وأن الأنباط كانوا إذ ذاك أقوياء أصحاب عدة وعتاد[٣].

وبالرغم من أن كلاً من يوناتان وسمعان المكابيين قاما أثناء تولى كل منهما زمام الأمور في اليهودية بمهاجمة مدينة غزة ، وتمكن سمعان تحديداً من اخضاعها لسيطرته ، وبرغم أن ابن هذا الأخير ويدعى يوحنا هيركانوس "

1- Bowesock. **Roman**. p.19.

٢- المكابيين الأول، ف٩/آية ١٨-٣٦/ ص٧٩٦، ٧٩٧ . أنظر أيضاً :أندريه دوبون. **مخطوطات قمران**، ج١ ص١٤.

Josephus. **A J.**13. 2-11 . Bowersock. **Roman**. p. 20

٣- المكابيين الأول، ف٩ آية ٣٦/ ص ٧٩٧. انظر أيضاً : Josephus. **A J.**13. 11. 12. .

John Herkanus سعى جاهداً للوصول بالقوة اليهودية إلى البحر المتوسط ، والبحر الأحمر ، وتحقيق طموحه للسيطرة على الطرق التجارية ، التي ظهرت أهميتها مع عودة الحروب بين سورية السلوقية والشرق الفرثي[1]. إلا أن العلاقات النبطية المكابية لم تبدأ بالتوتر ويطفو تضارب المصالح إلى السطح ، إلا في عهد الملك المكابي اسكندر جانيوس (١٠٣-٧٦ ق.م) **Alexander Jannaeus** . الذي شهد بداية عهده دخول الدولة السلوقية في مرحلة الضعف والتقهقر ، مما أغراه بانتهاز الفرصة ، للتوسع على حسابها وحساب دويلات المدن الساحلية شبه المستقلة . وفي مقدمتها مدينة غزة ، التي يبدو أن أسلافه لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها طويلاً. فكان من الطبيعي أن يجعلها في مقدمة أهدافه ، وأن يبادر إلى مهاجمتها سنة ١٠١ ق.م[2]. ونظراً لضعف الدولة السلوقية لم يكن أمام أهلها سوى الاستغاثة بالأنباط ، الذين كانوا قد وصلوا في توسعهم إلى النقب ، وكانت غزة إحدى الموانئ المهمة التي تنقل إليها متاجرهم . ومع أن ملك الأنباط الحارثة – الذي يرجح المؤرخون أنه حارثة الثاني نفسه – وعد أهل غزة بالعون ، وشجعهم على المقاومة ، إلا أنه لسبب أو لآخر تلكأ في تقديم الدعم للمدينة المحاصرة ، وأتاح للملك المكابي فرصة اقتحامها ونهبها ، ولولا الثورة التي نشبت في تلك الأثناء في الجزء الشمالي من مملكته لكان بوسعه الاستيلاء عليها بشكل نهائي[3].

وقد استشعر الأنباط بعد هذه الحادثة أن الالتزام ببنود علاقة الموالاة التي تربطهم بالمكابيين سوف ينتهي بهم إلى الإضرار بمصالحهم الحيوية. إلا أنهم لم

---

[1] – المكابيين الأول، ف ١١/آية ٦١، ٦٢ / ص٨٠٧ ، ف ١٣/ آية ٤٣-٤٩/ ص ٨١٣، ٨١٤ . أنظر أيضاً:أندريه دوبون ، مخطوطات قمران، ، ج١، ص١٥. Josephus. **A J.**13.148-152 . 228.

[2]– Josephus. **A J.**13.224.320 . Bowersock. **Roman**, p.22, 24 ، Rostovtzeff. **caravan**. p.64.

جونز ، مدن بلاد الشام، ص٥٩. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٤٠.

[3]- Josephus. **A J.**13. 329. 356- 362.

يدخلوا في صدام فعلي معهم ، إلا في عهد الملك النبطي عبادة الأول (٩٥–٨٨ ق.م) ، الذي لم يتردد في إعلان الحرب على الملك المكابي اسكندر جانيوس الذي قادته طموحاته التوسعية نحو بلاد الأردن . واستطاع بدعم جنود مرتزقة من آسيا الصغرى واليونان ؛ من أن يخضع سكان منطقتي جلعاد ومؤاب العرب لسلطان دولته ، وأجبرهم على دفع الجزية له تأكيداً لذلك الخضوع . الأمر الذي دفع الملك عبادة (حوالي عام ٩٣ ق.م) لأن يبادر بالتصدي له عند منطقة جرادا Garada (أم قيس حالياً) إلى الشرق من بحيرة طبرية ، والتي شهدت تحقيق الأنباط أول انتصار ساحق على القوة المكابية ، ولم يتمكن الملك المكابي من النجاة من هجانة الأنباط الذين أخذوا يطاردونه ، إلا بعد أن ألقى بنفسه في إحدى الوديان العميقة القريبة من ميدان المعركة[1].

ويبدو أن هذه الهزيمة المريرة شجعت خصوم هذا الملك المكابي على اتخاذ تدابير سريعة لعزله. فما لبث أن قامت الجماعة المعارضة لحكمه في القدس باستدعاء شخص يدعى ديمتريوس إيوكاروس الثالث Demetrius Eukarus III وهو من بقايا حكام الدولة السلوقية المتداعية ونصبته ملكاً عليها وحاكماً.

ولما وجد الملك المكابي مركزه حرجاً ، وخصمه قوياً ، وأنه قد يتغلب عليه ، وأن له في الجنوب خصماً آخراً طموحاً ، ويفوق ديمتريوس سابق الذكر قوة وعنفاً ، بادر مضطراً إلى مسالمة الأقوى[2]. فيذكر فلافيوس يوسفوس أن إسكندر جانيوس تنازل لملك العرب (الملك عبادة الأول) عن بعض الأراضي والمعاقل الحصينة التي كان قد استولى عليها في مؤاب وجلعاد ؛ آملاً من وراء ذلك أن يمتنع الملك عبادة عن مساعدة خصومه اليهود المحاربين له[3].

1- Josephus. <u>A J.</u>13. 373- 376. cf : Bevan. E.R.: <u>The jews</u> -C.A.H-vol. IX. Cambridge 1971. p.399. 400. Bowersock. **<u>Roman</u>**. p.23.24.

هاردنج ، <u>آثار الأردن</u> ، ص١٤٦ . إحسان عباس ، <u>تاريخ الأنباط</u> ، ص٤١ .

2- Josephus. **<u>A J.</u>**13. 370. 377-382. cf : Bevan. **<u>The jews.</u>** p.400. Bowersock. **<u>Roman</u>**.p. 24.

جواد علي : <u>المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام</u> – ج٣– ط٣ – دار العلم للملايين– بيروت ١٩٦٩م،ص ٢٧.

3 - Josephus, **<u>A J.</u>** 13.382. cf. Bowersock, op.cit, p.24.

ولقد اتبع الأنباط هذا الانتصار انتصاراً أكبر وأكثر تأثيراً من سابقه ، لكنه هذه المرة كان على حساب السلوقيين ، الذين يبدو أن ملكهم الجديد انطيوخوس الثاني عشر Antiochus XII كان يفتقد الحنكة السياسية والمهارة العسكرية معاً،فلم يحسب هذا الملك السلوقي الطموح أي حساب لحالة الاضطراب وعدم الاستقرار السياسي ، الناجم عن الصراع المتواصل بينه وبين إخوته الآخرين على عرش المملكة . فلم يمض زمن طويل على انتزاعه مدينة دمشق (في حوالي ٨٦ ق.م) من أخيه فيليب ، حتى بدأ يخطط لمهاجمة بلاد الأنباط التي كانت قد أصبحت بعد النصر الذي حققه الملك عبادة الأول في موقعة جرادا -سابقة الذكر - واضطرار الملك المكابي للتنازل عن الأراضي التي سبق أن استولى عليها في شرق الأردن- أكثر قوة واتساعاً من الدولة السلوقية الممزقة[1].

غير أن الحملتين اللتين قام بهما هذا الملك السلوقي ضد المملكة النبطية القوية انتهتا إلى الفشل الذريع . ويتعلق فشله في الحملة الأولى بأمرين أساسين؛تمثل أولهما في أن الأنباط لم يمكنوه من الالتحام بهم لدى محاولته مهاجمة بلادهم من جهة الشمال ، فكانوا يبادرون في كل مرة إلى الانسحاب نحو الجنوب،أما الأمر الثاني فيتعلق بقيام أخيه فيليب باستغلال خروجه لقتال الأنباط في الاستيلاء على مدينة دمشق. وبرغم من أن هذا الأخير لم يتمكن من الاحتفاظ بالمدينة إلا أن انطيوخوس الثاني عشر لم يفكر في مهاجمة بلاد الأنباط مرة أخرى ، إلا بعد أن تأكد أن فيليب قد رفع حصاره عن دمشق ، وعاد إلى مدينة أنطاكية عاصمة ملكه الأولى[2].

وبالرغم من أنه حاول الاستفادة من فشل حملته الأولى ، وقرر مهاجمة بلاد الأنباط من جهة الجنوب ، وليس من جهة الشمال التي سبق أن فشل في أن

1- Josephus. **A.J.** 13. 38. cf : Bowersock. **Roman**.p. 24

عجلوني ، **حضارة الأنباط**،ص ٤٣. إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٤١.

2- Josephus. **A.J.** 13. 387-389. cf : Bowersock. **Roman**. p. 24

ينال من الأنباط من ناحيتها إلا أن تفكيره في مهاجمة المملكة النبطية من الخلف ما لبث أن انتهى إلى نتيجة أكثر فداحةً وخسراناً من محاولته السابقة . فما أن سمع الملك النبطي بأن قوات هذا الملك السلوقي أخذت في التوغل داخل أراضي مملكته ، بعد نجاحها في اجتياز الحواجز الدفاعية التي وضعها الملك المكابي اسكندر جانيوس على الطريق الساحلي المؤدي من فلسطين إلى بلاد شبه الجزيرة العربية ، حتى بادر بالتصدي لها فور وصولها إلى منطقة موتو Motho ، التي شهدت قيام معركة حامية بين الجانبين ؛ دان التفوق في بدايتها للسلوقيين الذين يقال إنهم كانوا قاب قوسين أو أدنى من حسمها لصالحهم ، قبل أن يتمكن الجيش النبطي المؤلَّف من عشرة آلاف فارس ، من قلب الموازين لصالحه . والقضاء على الجزء الأكبر من جيش انطيوخوس الثاني عشر ، الذي كان هو نفسه من بين الذين وقعوا صرعى على أرض المعركة ، ولم يكن أمام البقية الباقية من الجيش السلوقي ، الذي كان في الأساس مؤلفاً من ثمان مئة فارس وثمانية آلاف مقاتل من المشاة ثقيلي التسليح ؛ إلا محاولة الفرار . والنجاة بأنفسهم من المصير الذي لحق بملكهم ورفاقهم . لكنهم لم يتمكنوا من تفادي الأنباط . الذين استمروا في مطاردتهم إلى أن وصلوا ضواحي قرية قانا Cana ، التي يقول يوسفوس إن انتصار الأنباط النهائي على السلوقيين كان في موضع قريب منها[1].

ورغم ما يحمله هذا الحدث من أهمية في تاريخ الأنباط يلفت النظر أن المؤرخين اختلفوا في تحديد تاريخ وقوعه ، واسم الملك النبطي الذي تحقق على يده هذا الانتصار الكبير. فهناك من المؤرخين من يذهب إلى أن الملك هو عبادة الأول ، وأن وفاته كانت نتيجة مباشرة لخوضه هذه المعركة[2]. ويرجح البعض الآخر أنها وقعت في عهد الملك النبطي رب ايل الأول (٨٨-٨٧ ق.م) .ويستندون في ذلك على ما ذكره المؤرخ البيزنطي ستيفانوس Stephanos

[1] - Josephus. **A J**.13. 389 -392.cf. Bowersock. **Roman**. p 24.

جواد علي، **المفصل**، ج٣،ص ٢٨، ٢٩. عجلوني، **حضارة الأنباط**، ص ٤٣، ٦٨. إحسان عباس، **تاريخ الأنباط** ، ص ٤١.

[2] - Bowersock, op. cit. p . 24. 25.

من أن ملك العرب المسمى ربليوس Rabilos قتل الملك المقدوني انطيوخوس[1]. وهناك فريق ثالث ينسب قيادة المعركة إلى الملك النبطي الحارثة الثالث (٨٧-٦٢ ق.م) ذائع الصيت[2]. والذي يقال إنه تولى العرش خلفاً لأخيه رب أيل الأول ، الذي يمكن القول بأن المعركة كانت خلال مدة حكمه القصيرة التي يرجح امتدادها إلى ما بعد عام ٨٦ ق.م[3].

ولا حاجة بنا في هذا الموضع إلى طرح التواريخ المختلفة التي حُددت من المؤرخين إطاراً زمنيا لهذه المعركة ، لما في ذلك من إطالة وتشعب غير ضروريين .وتتمثل أهمية هذا الانتصار النبطي الساحق . في أنه كان إعلاناً صريحاً عن بداية انهيار شمس الامبراطورية السلوقية ، التي أزالت نفوذ البطالمة وسيطرت على بلادهم مدة طويلة ، وكانت ترى في نفسها أنها أهل للوقوف في وجه قوة الرومان العاتية .

أما من ناحية انعكاساته الفعلية المباشرة ؛ فقد ساهم هذا الانتصار في تعاظم قوة ونفوذ الأنباط بشكل غير مسبوق ، ولاسيما بعد أن تمكن الملك حارثة الثالث من الاستيلاء على البلاد التي كانت بيد انطيوخوس الثاني عشر. وقد سنحت هذه الفرصة للملك النبطي عندما عرض عليه أهالي دمشق أن تصبح مدينتهم تابعة له،إذ كانوا قد سئموا النزاعات السلوقية المتواصلة ، وكانوا يخشون في الوقت نفسه أن ينقض عليهم جيرانهم اليطوريون Ituraean[4] .

---

[1] - إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص ٤١. جواد علي ، المفصل ، ج٣، ص٢٨. عجلوني ، حضارة الأنباط ص ٦٨.

[2] - جواد علي ، المفصل ،ج٣، ٢٩، ٣٠.

[3] - إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ٤١، ٤٣.

[4] - ينسب اليطوريون إلى يطور بن إسماعيل (ع) وتسميهم المصادر الكلاسيكية (اللاتينية ، الإغريقية) العرب اليطوريون Ituraean Arabians وكانوا من بين القوى التي تمكنت من الحفاظ على استقلالها في العهدين اليوناني والروماني وقد كان الإطار الجغرافي لإمارتهم يتضمن الجزء الأكبر من أراضي لبنان وتعد هليوبوليس (بلعلبك) وخالكيس (عين جره) وعرقه من أبرز حواضرهم وإذا ما سمينا أشهر حكامها فسوف يتقدمهم اسم بطليموس معن وقد عاصر كل من حارثة الثالثة الثالث وبمبي الكبير . أنظر : سفر التكوين [ط.ك] - ف٢٥/آية ١٥/ص٤٥. جونز . مدن بلاد الشام ، ص٢١، ٥٨.
Strabo . 16.2.10.18. Dio Cassius.59.2

الذين كانوا يتحينون الفرص المناسبة للاستيلاء على المدينة ، والتي لم ينقذها من هذا المصير إلا سرعة وصول قوات حارثة الثالث إليها[١].

ويبدو أن الملك حارثة عد نفسه خليفة للسلوقيين ، فسلسلة السكة النبطية التي ضربها تخليداً لدخوله المدينة كانت باللغة الإغريقية وليس الآرامية/النبطية، وهي أول سكة يظهر عليها اسم وصورة الملك النبطي . وقد ألحق حارثة الثالث باسمه عبارة صديق اليونانية "Basileus Aretas Philhellenos" وظلت تلك النقود تصدر مدة خمسة عشر عاماً (٨٥-٧٠ق.م) [٢].

ولقد شعر الملك النبطي بعد ضم دمشق وسهل البقاع إلى أملاكه أن الوقت قد حان لتوجيه طموحاته التوسعية نحو ممتلكات الدولة المكابية ، فما لبث أن اتجه نحو عدوه القديم الاسكندر جانيوس ، وأنزل به الهزيمة (عام٨٢ ق.م) في موضع يقال له حديدة أو أديدا Addida إلى الشرق من مدينة يافا. وأعقب هذه المعركة عقد صلح بين الجانبين على شروط محددة ، لم يكن أمام الملك المكابي في ظل اختلال موازين القوة بينه وبين خصمه . إلا الالتزام بها والانصياع التام لمطالب الملك النبطي القوي[٣].

وهناك من يقول إن الملك المكابي نجح بعد حين في أن يرد الضربة للأنباط ، وإنه انتزع منهم اثنتي عشرة قرية من قرى شرق الأردن ، إضافة إلى استرداد أحد موانئ البحر المتوسط التي كانت ضمن أملاكه قبل انتزاعها منه[٤].

---

1 - Bowersock. **Roman**. p.25. Bevan. **The Jews**. p. 400

هاردنج ، آثار الأردن ، ص ١٤٦. جونز ، مدن بلاد الشام ، ص ١١٨. إحسان عباس. تاريخ الأنباط ، ص٤٢.

2- Bowersock. **Roman** , p. 25-26.

جونز ، مدن بلاد الشام، ص١٨. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٤٢.

3- Bevan.**The Jews**. p. 400. Bowersock, **Roman**. p.25.

جواد علي ،المفصل، ج٣، ص٣٠ ، ٣١. إحسان عباس، المرجع السابق، ص٤٢.

4- Bowersock. op.cit. p. 25.

عجلوني ، حضارة الأنباط، ص٤٣. إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص٤٢.

وبرغم من أن وفاة الاسكندر جانيوس في حدود عام (٧٦ق.م) فتحت مجالاً للملك حارثة الثالث للتدخل في شؤون الدول المكابية ، التي آلت مقاليد الأمور فيها إلى الكساندرا سالومي Alexandra Salomi امرأة الملك المكابي المتوفي الذي أوصى بتوليها العرش وصية على ابنيهما هيركانوس الثانيHerkanus وارسطو بولس الثاني Aristobulus II اكتفى الملك النبطي من الأمر بدعم القوى اليهودية ، التي كان لها الأثر الأكبر في تحديد سياسة أرملة الملك المكابي نحو مملكة الأنباط . الأمر الذي مكن هذه الأخيرة من ضبط الأمور الداخلية بحزم وكفاية ، رغم خضوعها لتوجيهات المتشددين في تنفيذ الشريعة الموسوية والذين عرفوا باسم الفريسيين Pharisess[1].

ولم تتعرض موازين القوى في سورية للاضطراب إلا في عام ٧٠ق.م. وهو العام الذي شهد اضطرار الأنباط إلى الانسحاب من مدينة دمشق تحت ضغط قوات تغرانس Tigranes ملك أرمينية . الذي كان قد أصبح على قدر كبير من القوة ، بعد نجاحه في الاستيلاء على أعالي وادي الرافدين ، وكافة بلاد ما بين النهرين من الفرثيين ، وضم أنطاكية وسورية الشمالية وكليكيه إلى أملاكه .وقد بادرت الكساندرا إلى إرسال الهدايا إليه بصحبة سفراء يتوسلون إليه ألا يعامل ولايتها بقسوة ، فتقبل تغرانس ما أهدي إليه ووعد أن يكون بالملكة والشعب رفيقاً[2].

غير أن بقاء ملك أرمينية في دمشق لم يدم زمناً طويلاً ، فما أن علم أن القائد الروماني لوكولوس Lacullus بدأ بالزحف نحو أرمينية(عام٦٩ق.م) . حتى سارع إلى الانسحاب من سورية باتجاه الشمال . ويبدو أن الأنباط لم

1- Josephus . **A J** ,13.399.404-411. cf : Bevan, **The Jews**. p. 41. Bowersock, **Roman**. p.25

أندريه دوبون، **مخطوطات قمران**، ج١ ، ص١٦. إحسان عباس، **تاريخ الأنباط** ص ٤٣.

2- Josephus . **A J** ,13.419.420. cf : Bevan, op, cit, p. 401 , Bowersock, op, cit, p, 26.

إحسان عباس، المرجع السابق، ص٤٣.

يقوموا بأية محاولة لاستعادة دمشق ، فقد وقعت المدينة نهباً في يد اليطوريين بقيادة أميرهم بطليموس بن معن Ptolemeus Meneus ولم تتمكن الحملة التي أرسلتها الكساندرا لحماية دمشق ومعاونة أهاليها على الصمود في وجه اليطوريين من تحقيق أهدافها[١].

وفي عام ٦٧ ق.م توفيت الكساندرا ، مما فتح باب الصراع على العرش بين ابنيها هيركانوس وارسطوبولس الثاني ، فالأول كان يرى أنه الأحق بوراثة العرش لأنه الأكبر سناً ، أما الثاني فكان يرى أنه الأجدر بالأمر لأنه كان يفوق أخاه شهامة وقوة ، وقد تمكن هذا الأخير (أي ارسطوبولس) من حسم الصراع لصالحه عقب نجاحه في هزيمة قوات أخيه الأكبر ، بالقرب من أريحا[٢]. وبعد أن تنازل هيركانوس عن السلطة الدينوية والدينية (الكهانة العليا) لأخيه الأصغر،حرضه شخص ادومي يدعى انتيباتر Antipater على أن يلجأ إلى البتراء عاصمة حارثة الثالث فقد كان هذا الأدومي والياً على مقاطعة أدوم القريبة من بلاد الأنباط ، وكان يطمح في تحقيق طموحاته عند طريق توثيق صلاته بهم،بما يسمح له باستغلال قوتهم العسكرية ودعمهم المادي عند احتياجه لهما. وكانت وسيلته في ذلك زواجه بامرأة نبطية نبيلة تدعى كفرة أنجبت له أربعة أبناء وأبرزهم ذكراً هنا هيرود الذي عرف بعد ذلك بالكبير ، وابنه تسمى سالومي[٣].

ولقد بدأت تأثيرات هذه الأسرة الأدومية في علاقات الأنباط بكل من حكام الدولة المكابية والرومان ، بإقناع أنتيباتر الأدومي الملك حارثة الثالث بمساعدة هيركانوس المكابي على استعادة عرش المملكة المكابية من جديد. لكن موافقة حارثة في التدخل في النزاع اليهودي لم تكن لتحدث ، لو لم يتعهد له هيركانوس

---

[1] - Josephus . **A J** 13.418.422. cf : Bowersock. **Roman**. p. 26

إحسان عباس، تاريخ الأنباط ، ص٤٣.

[2] - Josephus . **A J** 13.430/14.451

[3] - Josephus . **A J** 14.8-10.14-18.121. Kammerer . A: **Patra at la Nabatene** - Paris 1929. p161.163. Bevan. **The Jews**. p.402. Bowesock. **Roman**. p. 26.27

إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٤٣-٤٨.

بالمقابل برد المدن والقرى[1] التي يقال إن والده الاسكندر جانيوس كان قد انتزعها من الأنباط قبل خمسة عشر عاماً[2] .

وعلى آثر هذا الاتفاق تقدم في حوالي عام (٦٥ق.م) الملك حارثة مع خمسين ألف مقاتل نحو القدس . وقد حاول أرسطوبولس التصدي له إلا أنه مني بهزيمة نكراء اضطرته إلى الفرار. فبادر ملك الأنباط بالزحف نحو المملكة اليهودية ، وضرب حصاراً على القدس . وفي الوقت الذي كان قد أصبح فيه قاب قوسين أو أدنى من تمكين هيركانوس الثاني من استعادة عرشه من بين يدى أخيه أرسطوبولس ، طرأ تغير جذري كبير ، تمثل في وصول طلائع القوات الرومانية إلى سورية فقد شهدت دمشق في تلك الأثناء وصول القادة الرومان (منهم متيلوس ولوليوس) الذين أرسلهما القائد الروماني الكبير بومبي Pompey إلى هناك،لوضع نهاية للفوضى التي أعقبت انحلال الدولة السلوقية[3].

وكان من بين القادة الذين وصلوا إلى دمشق بعد ذلك قائد يدعى ماركوس سكاوروسM.Scaurus وعندما وجد هذا الأخير أن وضع دمشق أضحى مستقراً،تحرك بقواته نحو المملكة اليهودية عندئذ ذهب ممثلون عن الطرفين المتحاربين (الأنباط واليهود) إلى القائد الروماني وكل فريق منهما يطمح في استمالته إلى جانبه. وعقب سماع شكاوى الطرفين والموازنة بينهما وبين قيمة الرشاوى ، قرر سكاوروس أن يضع روما إلى جانب أرسطوبولس ، فأمر حارثة الثالث بأن يرفع حصاره عن اليهودية ، وأن يرجع بجيشه من حيث أتى ، وإلا يستثير عداوة الرومان ، وهذا يعني بلغة بسيطة أنه إذا لم يتخل عن تأييد

---

1 - القرى المقصودة هي: أغالا، زعر، أرونه، مريسة، رده ، لوسه ، أوربه، ثرابسا، أرونه ، لبياس، نبلو، مادبا، أنظر: Josehus **A J** 14.17.18 - جواد علي ، **المفصل** ، ج٣، ص٣٢. إحسان عباس،**تاريخ الأنباط**، ص ٤٣.

2- Josephus . **A J** 14.17.18. cf: Bowersock. **The Jews**. p.27 kammrer. **Petra at la Nabataean**. p. 163

إحسان عباس، المرجع السابق، ص٤٣. جونز، **مدن بلاد الشام**، ص٦٠

3- Josephus . **A J** 14.19.29 cf : Kammorer, op cit , p. 163. Bowersock, **Roman** , p. 28. Bevan **The Jews** .p. 102.

هيركانوس ، ويعود إلى البتراء ، فإن عليه أن يتوقع زحف جيش بومبي نحو بلاده في مستقبل قريب[1].

وبرغم من أن حارثة امتثل للأمر وبادر من دون نقاش إلى الانسحاب إلا أن ذلك لم يخمد ما كان في نفس ارسطوبولس من رغبة للانتقام من الأنباط فما أن عاد سكاوروس إلى دمشق ؛ حتى سارع الملك المكابي (ارسطوبولس) إلى اللحاق بالملك النبطي ، الذي يبدو أنه لم يكن يتوقع بعد استجابته لمطالب الرومان بأن يكون عرضة لهجوم من قبل قوات أرسطوبولس . الذي يبدو أنه استغل من ناحيته هذا الظرف بشكل جيد. فيذكر يوسفوس أنه بيّت جيشه عند مكان يسمى بابيرون Papyron وهو الموضع الذي شهد انقضاضه على القوات النبطية المتراجعة نحو البتراء . ويقال إنه تمكن في هذا الهجوم من قتل ستة آلاف فرد من أتباع حارثة الثالث[2].

وقبل أن نستطرد في الحديث عن الوقائع التي جرت عقب هذه الحادثة والأسباب التي جعلت قائد بومبي ينحاز إلى ارسطوبولس الثاني . لابد أن نتوقف للحديث عن طبيعة علاقة كل من الأنباط والمكابيين بالدولة الرومانية ، قبل وصول قادة بومبي إلى سورية . وسيطرتهم على مصر البطلمية ، ومع أنه لا يوجد في المصادر والمراجع التي توفرت لنا ما يشير إلى وجود أي علاقات بين الأنباط والرومان قبل عهد الملك حارثة الثالث ، لا يعد ذلك كافياً لنفي إمكانية وجود مثل هذه العلاقة بين الجانبين . ولاسيما أن كلاً منهما كان في نزاع وتصادم مستمر مع كل من البطالمة والسلوقيين فلا يستبعد قيام تحالف ضمني بينهما . تحقيقاً للمصالح التي كان يسعى كل منهما لإنجازها.

أما فيما يخص علاقة المكابيين بالرومان في المدة نفسها فيُرجع كاتب سفر المكابيين الأول ، بدايتها إلى زمن يهوذا المكابي نفسه . حيث يذكر في الفصل الثامن ما نصه " وسمع يهوذا باسم الرومانيين ، وأنهم ذوو اقتدار عظيم ويعزّون كل من ضوى إليهم وكل من جاءهم آثروه بمودتهم ولهم شوكة

1- Josephus . **A. J.** 14.29-32. cf : Cary. M : **Rome and East**.- C.A.H- Vol.IX- Cambridgo1971. p.382. Kammrer. **Petra**. p. 166. Bowersock. Roman. p. 29.
2- Josephus. **A.J.** 14.32-33 cf: kammrer. **Petra**. p . 166. Bowersock, **Roman** . p 29
إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص ٤٤.

شديدة..ومن أرادوا مؤازرته وتمليكه ملكوه ، ومن أرادوا خلعه خلعوه..فاختار يهوذا أوبولمس بن يوحنا بن اكوس وياسون بن العازار وأرسلهما إلى رومية ليعقدا معهم عهد الموالاة والمناصرة "[1].

وفي هذا الفصل من سفر المكابيين الأول حديثٌ مستفيض عن بنود هذا العهد الذي دونه الرومان على ألواح من نحاس ، وأرسلوه إلى القدس تذكاراً للمسالمة والمناصرة التي جرى الاتفاق عليها بين الرومان واليهود. وكان من بين أهم بنودها أنه إذا ما تعرض اليهود للحرب أولاً (أي قبل الرومان) فالرومان يبادرون للمناصرة بما تقتضيه الأحوال[2].

وهناك ما يؤكد قيام اخوة يهوذا المكابي بتجديد هذا العهد أكثر من مرة ، وإرسال الرومان إلى القدس ما يؤيد موافقتهم على استمرار علاقة الموالاة والمناصرة بين الجانبين[3]. ومن غير المستبعد أن يكون هناك ارتباط بين سرعة تحرك القائد الروماني سكاوروس "نحو اليهودية" المحاصرة من الأنباط وإرغام الملك حارثة الثالث على رفع حصاره عنها وبين بنود هذا العهد.

ومع أن مهاجمة أرسطوبولس قوات الملك حارثة الثالث أثناء تراجعه نحو البتراء سوف تكون من بين المآخذ التي جعلت الرومان يغيرون رأيهم في قرار مناصرة هذا المكابي على حساب أخيه هيركانوس الأقل تمرداً إلا أن موقفهم من الأنباط لم يتغير كثيراً ففي عام ٦٤ق.م وصل بومبي إلى دمشق ، وبدأ تنظيمه لسورية كولاية رومانية وبعد أن جال المناطق الريفية في سوريا في العام الثاني (٦٣ق.م) قرر الزحف على بلاد الأنباط أو كما ذكر يوسفوس أنه اقترح أن يتفحص أحوال مملكة الأنباط لا أن يقوم بحملة حربية ضدها[4].

---

[1] - أيات ١، ١٣، ١٧/ ص ٧٩٣، ٧٩٤، انظر أيضاً :

Josephus. **A.J.** 12.415-417.

[2] - أيات ٢٣-٣٣/ص٧٩٤، ٧٩٥، انظر أيضاً : Josephus. **A.J.** 12.416-418.

[3] -المكابيين الأول، ف ١٢/أيات ١-٥ ص٨٠٨، أيات ١٦-٨٠٩/١٧ أنظر أيضاً ف ١٤/أيات ١٦-١٩/ص٨١٥ أنظر أيضاً : Josephus. **A.J.** 13.163.164.

[4] Josephus. **A.J.** 14.37.38 cf. Kammrer. **Petra** . p.199. Bowersock. **Roman**. p. 29-32. Bevan. **The Jews**. P .402.

إحسان عباس : تاريخ الأنباط ، ص٤٤.

ما يزعم بعض المؤرخين القدامي أمثال ديوكاسيوس وأبيان Appian ، حيث يذكر هذا الأخير على سبيل المثال أن بومبي شن حرباً على العرب الأنباط خلال حكم ملكهم حارثة[١].

وبما أنه ليس فيما ذكره يوسفوس عن بومبي كلمة واحدة تفيد نيته غزو بلاد الأنباط فالأرجح أنه كان يريد بزيارته هذه استتباب الأمور هناك ، عبر ترتيبات يتفق عليها مع الأنباط[٢].

غير أن بومبي لم يتمكن من مواصلة مشواره نحو بلاد الأنباط ومرد ذلك أن بومبي بعدما انتهى من الترتيبات التي رأى أنها ضرورية في سورية ،وإخضاع أمراء لبنان ، توجه إلى دمشق . وأثناء مقامه فيها تلقي ثلاثة وفود يهودية ؛ وفداً يمثل الملك المكابي ارسطوبولس الثاني ، وثانياً يمثل هيركانوس الثاني ، وثالثاً يمثل الشعب اليهودي وأظهر هيركانوس شكواه من أخيه الذي انتزع الحكم منه عنوة ، فرد ارسطو بولس عليه بأن ذلك كان أمراً ضرورياً . نظراً لعجز وقلة كفاءة هيركانوس أما الوفد الذي مثل الشعب اليهودي فقد طالب بإلغاء الملكية وإعادة نظام الكاهن الحاكم . لكن بومبي قرر تأجيل الفصل في هذه القضية إلى ما بعد عودته من بلاد الأنباط ، الأمر الذي أثار استياء ارسطوبولس . فآثر الانسحاب بعدما رافق بومبي مسافة في مسيره نحو المملكة النبطية . وكان من الطبيعي أن يثير هذا التصرف غضب بومبي ، الذي خامره الشك في نوايا أرسطوبولس فتراجع عن تنفيذ مخططه وبدأ في ملاحقته وعندما أصبح بومبي بجوار القدس خرج إليه ارسطو بولس خائفاً وقام بتقديم الهدايا له مع وعد منه بتسليم المدينة إليه إذا توقف عن إظهار العداء نحوه . فوافق بومبي على ذلك وأرسل قائده غابينيوس (Gabinius) لتسلمها . إلا أن سكانها

1- Appian: **The History of Roman** –Book2- Newyork , 1912 , p 442.443.

2- Bowersock, op. cit. p.32

إحسان عباس ، المرجع السابق، ص٤٥.

أغلقوا الأبواب في وجهه فما كان من بومبي إلا أن ألقى بارسطوبولس في السجن وتحرك نحو القدس، بمساعدة أنصار هيركانوس الثاني الذين نجحوا في التغلب على مؤيدي ارسطوبولس ، وفتح الأبواب للقوات الرومانية ، ودخل بومبي إلى القدس[1].

إضافة إلى ما ذكره ارنولد جونز عن تمكن حارثة الثالث من الاحتفاظ بالمنطقة التي كان قد استردها من هيركانوس تنفيذاً للوعد سابق الذكر واجهت المملكة المكابية من ترتيبات بومبي أشد مما واجهه سواها . إذ انتزع منها كل المدن التي كان المكابيون قد استولوا عليها منذ أجيال ، وكانت قد تهودت تماماً مثل يافا ويبنا واسدود ومريسه في أيدوميا والسامرة وسكيثوبولوس ورد هذه المملكة إلى نواتها الريفية . أي ولاية اليهودية نفسها والجليل وبيرايا. وعهد بهذه المناطق إلى هيركانوس الثاني الذي استعاد ممارسة وظائفه الكهنوتية ، بعد أن اقتاد بومبي أخاه أرسطوبولس إلى روما أسيراً[2]. كانت هذه آخر مرحلة في جهود بومبي الذاتية لتنظيم أمور الشرق ، فما لبث أن عاد في بداية عام ٦٢ ق.م إلى روما تاركاً أمر تسوية الوضع في بلاد الأنباط للقائد سكاوروس الذي كلف من قبله بإدارة شؤون سورية . ونظراً لأنه لم يكن هناك ما يعيق قيام حاكم سورية الجديد بتنفيذ هذه المهمة توجه على رأس قواته نحو بلاد الأنباط ، وكان الهجوم على بلاد الأنباط أول عمل كبير يقوم به بعد رحيل بومبي بوقت قصير[3].

1- Josephus. **A.J**. 14.37-55. cf : .Kammrer. **Petra** . p. 166. Bowersock, **Roman**. p.33 Bevan. The **Jews**. p. 402.-403. Cary. **Rome**. p. 382. 383.

إحسان عباس، **تاريخ الأنباط**، ص ٤٥، ٤٦.

2 - Josephus. **A.J**. 14.74-79. cf: Bevan. The **Jews**. p. 403.

مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ص٦٣، ٦٤. أنظر أيضاً. أندريه دوبون. **مخطوطات قمران** ، ج١، ص١٧.

3- Josephus. **A.J**. 14.80. cf : Kammre, **Petra** . p . 167. Bowersock , **Roman** . p. 32.33; Cary. **Rome**. p. 383.

ويبدو واضحاً من رواية يوسفوس أن سكاوروس لم يعد لهذه الحملة ، وأن خطة الأنباط قامت على التحصن ، والدفاع من خلف تحصينات البتراء المنيعة،وهو ما يذكرنا بما سبق ما قام به أسلافهم ، عندما داهمهم خطر الحملة التي قادها ديمتريوس ابن انتيجنوس المقدوني ، في أواخر القرن الرابع ق .م. وقد انتهت محاولة سكاوروس إلى النتيجة التي انتهى إليها ديمترويوس سابق الذكر ، فرغم سهولة وصول قوات حملته إلى محيط مدينة البتراء فقد وجد أن الوصول إلى البتراء نفسها أمر غير ممكن ، فاتجه تحت ضغط الشعور بالعجز إلى إحراق المناطق المحيطة بها. ومما زاد من سوء موقفه ؛ أنه لم يأخذ في حسبانه أن إنجاز مهمة حملته العسكرية قد يستغرق وقتاً طويلاً ، فيذكر يوسفوس نفسه أن المجاعة لحقت بجيشه ، وأن انتيباتر الايدومي قام بتزويده بالقمح وبكل ما يحتاجه بأمر من هيركانوس وبعد ذلك أرسل سكاوروس انتيباتر سفيراً إلى الملك حارثة لأن انتيباتر كان قد عاش في حمى حارثة من قبل ، وتمكن من إقناع حارثة أن يدفع إلى سكاوروس قدراً من المال ليتوقف عن حرق أراضيه ومنحه كفالته مقابل ثلاث مئة تالنت ووفق هذا الشرط توقف سكاوروس عن محاربة الأنباط وكانت هذه رغبة كل من سكاوروس وحارثة[1].

ومع أن حديث يوسفوس يؤكد قطعياً أن الرومان بقيادة سكاوروس كانوا في تلك الأثناء في وضع حرج للغاية ، وأنهم الطرف الذي بادر إلى فتح باب المفاوضات مع الأنباط ، وليس العكس . فقد عد الرومان وفي مقدمتهم سكاوروس موافقة الملك حارثة على دفع المال دليلاً على قبوله التبعية للرومان ، واستند سكاوروس إلى إدعاء سيده بومبي ؛ بأن العربية كانت من بين البلاد التي أخضعها، فقام في عام ٥٨ق.م (في روما) بإصدار نقد يخلد حملته ضد

---

[1]- Josephus, **A J**, 14. 80-81 cf : Kammrer, **Petra**, p. 167, Bowesock, **Roman** p. 33. Cary, **Rome**, p 383

جونز ، مدن بلاد الشام ، ص ٦٤، ٦٥ . هاردنج ، آثار الأردن، ص ١٤٦. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٤٦.

الأنباط ، وملكهم حارثة ، الذي جرى تصويره في هذه النقود راكعاً على ركبتيه ، إلى جانب جمل ، يقدم غصناً في دلالة على الخضوع للقائد الروماني[١].

أما بالنسبة للأنباط فلعلهم وجدوا في ظل قوة موقفهم أن دفع بعض المال لا يؤثر في سيادتهم واستقلالهم الذاتي ، لاسيما وأن استيلاء الرومان على كل سورية قد وضح لهم مدى قدرتهم على المبادرة بالتحدي[٢].

وليس في المصادر المتوفرة ما يفيد عن طبيعة علاقة الأنباط بالرومان بين عامي ٦١-٥٨ق.م وهي المدة التي فيها حكم سورية على التوالي كل من مارشيوس فيليبوس Marcius Philippus ولينتولس مارسيلينوس Lentulas Marcellinus . وهناك أسباب مستقاة من دلائل المسكوكات تدعو إلى الاعتقاد أن وفاة الملك حارثة الثالث كانت قبل نهاية هذه المدة أو في بدايتها[٣].

غير أن الأوضاع ما لبث أن تغيرت بعد إسناد حكم سورية إلى القائد أولوس جابينوس A.Gabinius ، الذي يبدو أنه سعى إلى محاكاة سكاوروس فيما قام به ضد بلاد الأنباط وأن ثراء الشعب النبطي كان في مقدمة العوامل التي دفعته عام ٥٥ق.م إلى مهاجمة أراضي المملكة النبطية. وكل ما يقال عن هذه الحملة الغامضة التفاصيل : إن جابينوس هذا قاد قواته نحو " مدينة الأنباط" التي من المفروض أنها البتراء ، وأنه تمكن من دحر الجيش النبطي في معركة دارت بين الجانبين ، جنوبي المملكة النبطية ومن الملاحظ أن يوسفوس لم يشر إلى اسم الملك النبطي الذي جرت في عهده هذه المعركة[٤] وقد رجح باورساك حدود

1- De Morgan: **Manuel de Numisme Orientale** – 2- 1924. p.237 . Kammrer. **Petra**. p. 168. Bowersock**, Roman** p. 34. 35. Cary , **Rome**. p. 383.

٢ -هاردنج ، **آثار الأردن** ، ص١٤٦. إحسان عباس، **تاريخ الأنباط**، ص ٤٧، ٤٨.

3 - Bowersock. **Roman** . p. 33.34

4- Josephus. **AJ**. 14.103 cf : Bowersock , **Roman**. p. 35

جواد علي ، **المفصل** ، ج٣،ص٣٤ . عجلوني ، **حضارة الأنباط** ، ص٦٢ . إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ص ٤٨.

هذه المعركة في بدايات حكم الملك النبطي المعروف باسم مالـك الأول ، الـذي يقال أن حكمه امتد حتى عام ٣٠ق.م[١].

والأحداث التي شهدها عهد حكم هذا الملك النبطي متداخلة مـع أحـداث اليهودية من ناحية ، ومع الأحداث والتحولات التي شهدها التاريخ الروماني في الحقبة المضطربة ، قبل قيام الإمبراطورية الرومانية من ناحية أخرى . وكانـت تلك التحولات والتغيرات ، تفرض على حكام الدول الصغيرة تحويل ولائهم مـن طرف إلى آخر . وقد كان لانتيباتر الأدومي الأثر الأكبر في توجيه نشاط الملـك مالك الأول ، بما في ذلك تحديد الطرف الذي ينبغي الانحياز إليه[٢].

كان انتيباتر الأدومي قد وثق علاقته بيوليوس قيصر ابتـداء مـن عـام ٤٩ق.م وعندما تغيرت علاقة بومبي ، بيوليوس قيصر وبدأ الصراع بينهما ، لم يجد هذا الأخير (أي يوليوس) مجالاً آخر سوى طلب النجدة من انتيباتر الأدومي ، الذي تمكن من إقناع مالك الأول النبطي بإرسـال قـوة نبطيـة مؤلفـه مـن ١٠٠٠فارس إلى مصر لنجدة يوليوس قيصر . وكان لهذه القوة والقوات العربية واليهودية التي يبدو أن انتيباتر نفسه كان له دور في إقناع هيركانوس الثاني ، وبطليموس بن خايمس (سحيم) اليطوري ، وبعض شيوخ قبائل طور سيناء في إرسالها إلى الإسكندرية،كان لهذه القوات وفي مقدمتها النبطية الفضل في قلـب الموازين لصالح يوليوس قيصر، الذي كان قاب قوسين أو أدنى مـن الهزيمـة على يد خصمه لكن قدوم هذه القوات مكنه من الصمود والتغلب على أعدائه[٣].

وبالرغم من أن الانتصار قد قوّى من موقف الأنباط والمكابيين والقـوى العربية الأخرى التي ساهمت في تحقيقه إلا أن انتيباتر كان أكبر المستفيدين من انتصار يوليوس قيصر الذي جعله مواطنـاً رومانيـاً ومنحـه حـق الوصـاية

---

1 - Bowersock . **Roman**. p.. 35

2- Bowersock. op. cit. p. 37.38

إحسان عباس ، المرجع السابق، ص ٤٨.

3- Josephus. **AJ**. 14.127-136 cf : Adcock. F.E : **The Civil War**.-C.A.H- vol-IX. Cambridge 1971. p. 671. Bevan, **The Jews**, p404 . Bowerscock, **Roman**, p . 38.

جونز، مدن بلاد الشام، ص ٦٥ . جواد علي، المفصل ، ج٣، ص٣٤، ٣٥.

Prokurator على عرش "اليهودية" ، وأصبح ابنه البكـر فسـائيل **Phasael** حاكم **Strategie** على القدس وابنه الأصغر هيرودوس **Herodus** الذي عرف فيها فيما بعد باسم هيرود الكبير حاكم على الجليل[1].

غير أنه ما لبث أن اغتيل يوليوس قيصر في عام ٤٤ق.م ، ولقى انتيباتر المصير نفسه في العام التالي . مما أعاد الفوضى والاضطراب إلى أنحاء الدولة الرومانية . ويبدو أن الأنباط كانوا غير راضين عن اسـتئثار انتيبـاتر وأولاده بفوائد الانتصار الذي كان يوليوس قيصر قد حققه -بدعم منهم- علـى حسـاب بومبي . فقد آثروا هذه المرة اتخاذ جانب الحياد في الصراع الذي شمل أنحـاء الدولة الرومانية ، وشهد استعانة أحد قادة يوليوس السابقين واسمه لابينـوس **Labienus** بالفرثيين القوة الرئيسة المعادية لروما في الشرق والتي وجـدت في طلب هذا القائد الروماني فرصة لها لمد نفوذها إلى سورية وشـرقي البحـر المتوسط، ولاسيما بعد أن طلب منها انتيغوس بن ارسطوبولس الثاني المكـابي تقديم العون له في محاولته استعادة عرش الدولة المكابية ، التي كان هيرود ابن انتيباتر الأدومي قد استولى على مقاليد الأمور فيها ، بعد نجاحه في ضم القدس إلى أملاكه[2].

وعندما وصلت القوات الفرثية عام ٤٠ق.م إلى القدس لم يكن أمام هيرود من مجال إلا الفرار نحو بلاد الأنباط ، طلباً للمساعدة من الملك مالك الذي تلقى في الوقت نفسه طلباً من الفرثيين بعدم السماح لهيرود بـاللجوء إلـى بـلاده ، وبالنظر إلى أن هيرود كان قد طالب الملك النبطي برد الأراضي التي كان والـده انتيباتر قد تنازل عنها للأنباط ، ولخشية مالك من الأضرار التي سـوف تلحـق بمملكته من جراء السماح لابن انتباتر باللجوء إلى بلاطه ، فقد آثر هـذا الملـك

1- Josephus. **AJ**. 14.137.141.158. cf : Bevan. **The Jews** . p. 404.

أندريه دوبون ، **مخطوطات قمران**، ج١، ص١٧ . جونز، المرجع السابق، ص٨٣.

2-Josephus. **AJ**. 14.161-166.270.281.232 . cf : Bevan. **The Jews**. p 404. 405. Bowerscock. **Roman**. p. 38. 39. Tarn, W.W: **The triumvirs**,- C.A.H- vol – X- Cambridge1976, p47, 48.

أندريه دوبون ، **مخطوطات قمران** ، ص١٧.

النبطي إغلاق بابه في وجه هيرود ، الذي حاول الاحتماء بسادة قبائل عربية أخرى ، غير أنه لم يفلح في ذلك مما اضطره إلى الفرار إلى روما[1].

غير أن نجاح هيرود في الحصول على موافقة مجلس الشيوخ الروماني على تعيينه ملكاً على "اليهودية" ، وتمكنه بدعم القائد الروماني فنتديوس باسيوس V.Bassus من طرد الفرثيين من فلسطين وتولى عرش "المملكة اليهودية" ، جعل الملك مالك في موقف حرج واضطره القائد الروماني الجديد إلى دفع غرامة كبيرة ، عقاباً له على مواقفه السلبيه من تقدم الفرثيين إلى داخل سورية[2].

وعندما قدم انطونيوس Antonius إلى الشرق بعد اتفاقه مع حليفه اوكتافيوس Octavius ابن يوليوس قيصر بالتبني، على أن يكون له - أي انطونيوس - حكم الأجزاء الشرقية من الدولة الرومانية ، تعرض الأنباط لعقاب روماني من نوع آخر ، فإضافة إلى أن انطونيوس كان في مقدمة من أعان هيرود الأدومي على ارتقاء عرش "المملكة اليهودية" فقد وقع هذا القائد الروماني تحت تأثير سحر وقوة وجمال ملكة مصر البطلمية كليوباترا Cleopatra ، التي كانت تطمح في ضم أراضي الأنباط واليهود إلى ملكها . غير أن انطونيوس اعتذر عن إشباع هذا النهم الجامح ، واكتفى بإقطاعها أجزاء واسعة من فينيقيا ، ومزارع البلسم الواقعة في أريحا التابعة لهيرود ومن المرجح منحه إياها جانباً من أراضي المملكة النبطية القريبة من البحر الميت وخليج العقبة[3].

1- Josephus. **AJ**. 14.352. 370-377 cf: Bowerscock. **Roman**. p. 39. Beran. op. cit. p. 405 . Tarn. **The triumvirs**, p 48.

جواد علي ، **المفصل** ، ج٣،ص٣٥، ٣٦ . إحسان عباس، **تاريخ الأنباط**، ص٤٩.

2- Josephus. **AJ**. 14. 385. 395 -420 cf: Bevan. **The Jews**. p. 405. Bowerscock . **Roman** . p39. Tarn. **The triumvirs**, p 50.

هاردنج ، **آثار الأردن** ، ص١٤٨ . عجلوني ، **حضارة الأنباط** ، ص ٤٣.

3- Bowerscock. **Roman**. p.. 38. 39.40 . Tarn. W.W: **The War of The east against The West**- C.A.H- vol .X-Cambridge1976. p67.

هادرنج ، **آثار الأردن** ، ص ١٤٧ . إحسان عباس، **تاريخ الأنباط** ، ٣٩ . عجلوني ، **حضارة الأنباط** ، ص ٤٤.

وقد اضطر هيرود الأدومي إلى استئجار مزارع البلسم التي كانت تابعة له وأخذ يدفع أجرتها إلى كيلوباترا ، كما تعهد بتحصيل المال اللازم لها من قبل الملك النبطي ، الذي يبدو أنه رفض تسليم المال المقرر عليه ، فطلبت كليوباترا من انطونيوس أن يأمر هيرود بمهاجمة بلاد الأنباط[1]، وكانت غايتها من ذلك فيما يقدر يوسفوس أن يستنزف أحدهما قوة الآخر بالتبادل ، فيتسنى لها تحقيق ما كانت تطلبه من قبل وهو الاستيلاء على أراضي كل منهما ، ونظراً لأنه لم يكن أمام هيرود إلا الاستجابة لأمر حاكم الشرق الروماني لم يتردد في أمر مهاجمة بلاد الملك مالك الأول . وبالرغم من أنه تمكن من الانتصار على الأنباط في المواجهة الأولى ، التي دارت بين الجانبين قرب ديوسبولس Diospolis ، (اللد) إلا أنه من الواضح أن القوات التي تمكن من التغلب عليها لم تكن القوة الأساسية في الجيش النبطي التي تمكنت بالمقابل من دحره ، وقتل عدد كبير من أفراد جيشه، وأسر البعض الآخر ، لدى محاولته مهاجمتها بالقرب من قنا أو قنوات Canatha الواقعة على المنحدر الغربي لجبل الدروز[2]. وينسب بعض المؤرخين فضل الانتصار النبطي في هذه المعركة إلى اثينايوس Athenaius ممثل الملكة كليوباترا في تلك المنطقة ، والذي كان العداء بينه وبين هيرود الأدومي مستحكماً لأسباب نجهلها ؛ فانحاز إلى جانب الأنباط في هذه المعركة التي انتهت بفضل تدخله إلى انكسار الجيش اليهودي وفرار هيرود إلى القدس[3].

لكن المواجهات بين الجانبين لم تتوقف عند هذا الحد ، فيذكر يوسفوس أن الملك مالك قام بإعدام الرسل الذين بعثهم هيرود إليه ، طلباً لعقد سلام بين الجانبين ، وأن الملك النبطي أخذ يفكر جدياً في غزو بلاد هيرود ، الذي بدأ

1- Bowersock, **Roman**. p. 41, 42

جواد علي ، **المفصل** ، ج٣، ص٣٦ . إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص٤٩.

2- Josephus, **A.J**. 15.115. cf: Bowersock, **Roman** p. 42 .

3- Josephus, **A.J**. 15.129 .

الإعداد للمعركة المقبلة ، بمحاولة رفع معنويات أفراد جيشه المنهزم عن طريق تحريضهم على الانتقام من العرب ، وربطه بين وقوع الزلـزال الـذي أصـاب القدس خلال تلك المدة ، وبين غضب الرب من الهزيمة التي أنزلها بهم الأنبـاط وبعد أن جمع قواته وأعاد تنظيمها ، اتجه إلى بلاد الأنبـاط مـن ناحيـة وادي الأردن وعندما وصل إلى ضـواحي مدينـة فيلادلفيـا Philadelphia (عمّـان الحالية) ، تصدى له قائد نبطي يدعى الثيموس Elthemos . ويدّعي يوسفوس أن النصر في هذه المعركة كان لقوات هيرود الذي تمكن – حسب روايته – مـن قتل أكثر من ١٢ ألف من أفراد الجيش النبطي . إضافة إلى أسـر أربعـة آلاف آخرين ، كانوا قد تحصنوا في أحد المواضع المنيعة ، قبل أن يضطرهم العطـش الشديد إلى الاستسلام لقوات هيرود . وليس ذلك وحسب ، إذ يـذكر يوسـفوس أيضاً أن هؤلاء الأسرى ناشدوا هيرود أن يتولى حكم بلادهم ، وأن الصدام بـين الجانبين انتهى بخضوع الأنباط لشروط هيرود بدفع الجزية إليه مقابل موافقتـه على عقد صلح معهم[١].

ولسنا في حاجة إلى تبيان جوانب المبالغة في هذه الرواية الواهية ، وإذا كان هناك شيء من الحقيقة في مجملها ، فلا تتعدى النتيجة التي حققها هيـرود على القوات النبطية التي حاولت التصدي له قرب اللد ، عند بدايـة المواجهـات بين الجانبين ، والتي سبق أن رجحنا أنها لم تكن تشكل قـوة الجـيش النبطـي الرئيسة،كما هو الحال بالنسبة للقوات التي كان يتولى قيادتها الثيمـوس سـابق الذكر.

وبالنظر إلى ما لقيه الأنباط من تبعات دعم انطونيوس لكل من كليوبـاترا وهيرود الأدومي ، كان من الطبيعي أن ينحازوا للقوة الوحيدة التي كان بوسعها الوقوف في وجهه ووضع حد لطموحاته في الاسـتقلال بالشـرق الرومـاني .

1- Josephus. **J A**. 15.147-152. Cf. : Bowersock **Roman**. p.42, 43 .

جواد علي ، **المفصل**،ج٣، ص٣٧ . إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص ٤٩ ، ٥٠.

ونقصد بذلك قوة حاكم أجزاء الدولة الرومانية الغربية أوكتافيوس (أغسطس) الذي لم يكن أمامه بعد أن استشعر خطورة انقياد حليف الأمس (انطونيوس) لأفكار كليوباترا الاستقلالية إلا أن يبادر إلى غزو مصر.

وقد تمكن من هزيمة أنطونيوس في معركة اكتيوم **Actium** البحرية في سبتمبر ٣١ق.م والتي شهدت انسحاب أسطول كليوباترا نحو ميناء هيرونوبوليس **Hironopolis** البطلمي ، القريب من ضواحي مدينة السويس . وعندما بدأت القوات الرومانية بالتقدم نحو مصر ، أتجه تفكير هذه الملكة البطلمية إلى إمكانية استخدام أسطولها البحري – سابق الذكر– في الهروب إلى بلاد النوبة[1] لكن يبدو أن ديديوس **Didius** حاكم سورية الروماني الموالي لاوكتافيوس أدرك نية كليوباترا في الهروب ، فيذكر ديوكاسيوس أنه طلب من الأنباط مهاجمة سفن الأسطول البطلمي الراسية في ميناء هيرونوبوليس[2] .

وهو ما تم بالفعل ، فقد كان هذا الطلب موافقاً لرغبة ملك الأنباط مالك الأول الذي كان يأمل من ناحية أخرى أن يكسبه هذا العمل رعاية ودعم أوكتافيوس بعد تحقيق الانتصار النهائي .

ففي الوقت الذي كانت فيه كيلوباترا آخذة في إعداد نفسها للهروب جنوباً عبر البحر الأحمر قامت القوات التي أرسلها ملك الأنباط بالإغارة على السفن الراسية في ذلك الميناء البطلمي ، وعندما وجدت كيلوباترا أن فرص تفادي وقوعها بأيدي الرومان صارت معدومة لجأت إلى الانتحار ، الأمر الذي سهل لأوكتافيوس دخول مصر ، وضم أملاك الدولة البطلمية إلى روما بشكل نهائي[3].

1- Dio Cassius . **Roman History** . 56 . 5. cf : Bowesock, **Roman** p. 42.43.
سيد الناصري . الرومان والبحر الأحمر، ص ٤٢ . الأنصاري . العلا ومدائن صالح ، ص ٦١ . إحسان عباس . تاريخ الأنباط ، ص٥٠.

2- **Roman History**. 51.7.1 cf: Bowersock. **Roman** p. 43.

3- Bowersock **, Roman** . p 42-44.
سيد الناصري ، الرومان والبحر الأحمر ، ص٣٧ . الأنصاري ، العلا ومدائن صالح ، ص٦١. جواد علي، المفصل ، ج٣، ص٣٨.

أما بالنسبة للأنباط فقد حققت لهم الضربة التي أنزلوها بالأسطول البطلمي،الكثير من الغايات التي كانوا يطمحون إلى تحقيقها ، فبإضافة إلى أنها مكنتهم من الانتقام لما حل بالأسطول النبطي على يد الملك البطلمي بطليموس الثاني عام ٢٧٨ق.م والأضرار التي كان لكليوباترا دوراً كبيراً في إلحاقها بهم[1]،فقد أدت إلى وضع أساس متين للعلاقات النبطية الرومانية في المراحل اللاحقة.

1- Bowersock, **Roman**. p 40-43.

سيد الناصري، المرجع السابق، ص٣٧. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط، ص٣٤.

الفصل الثاني

علاقة الأنباط بالرومان في عهد الإمبراطور أغسطس

الفصل الثاني

علاقة الأنباط بالرومان في عهد الإمبراطور أغسطس

بالرغم من أن تدمير الأنباط للأسطول البطلمي لم يكن العامل الحاسم الذي مكن اوكتافيوس من القضاء على كل من انطونيوس وكليوباترا ، والانفراد بحكم الدولة الرومانية إلا أن ذلك لا يعني أنه لم يكن من بين أهم العوامل التي كان لها الفضل في إضعاف خصومه ، وتقصير أمد مقاومتهم له بعد موقعة اكتيوم .

ومن العوامل التي يعتقد أنها ضاعفت رصيد الأنباط الإيجابي لدى أوكتافيوس ؛ أنهم كانوا في مقدمة القوى التي سارعت إلى نجدة يوليوس قيصر (والده بالتبني) عندما كان محاصراً من أعدائه في الاسكندرية [١] .

وإذا ما ربطنا هذين الموقفين بالمقولة الرومانية التي كانت سائدة آنذاك وهي أن روما لا تنسى من يخدمونها في أوقات الشدة ، يمكن القول إنهما كانا السبب المباشر في تحول العلاقات النبطية الرومانية من وضع تضارب المصالح والعداء المستمر ، إلى الولاء والمحالفة الوثيقة ، ولاسيما بعد أن تمكن أوكتافيوس من تحويل نظام الحكم في الدولة الرومانية إلى النظام الإمبراطوري ، ابتداءً من عام ٢٧ق.م وهو العام الذي تلقى فيه من مجلس الشيوخ الروماني لقب (أغسطس) ، وبدأ حكمه بوصفه أول إمبراطور .

غير أنه يبدو أن وفاة الملك مالك الأول بعد فترة قصيرة من تولي أغسطس مقاليد الأمور ، لم تعط الأنباط مجالاً واسعاً لاستثمار الموقف بشكل أمثل ، ولم يكن حدوث هذا الأمر متوقعاً ، لأن خليفة مالك على العرش واسمه عبادة (الثالث) (٣٠-٩ق.م) لم يكن يحمل أية صفة من صفات سلفه القوي (مالك) [٢]. وهو ما اتفق فيه كل من يوسفوس ، وسترابو ، إذ يصف الأول

1- Adcock.. **The Civil War**. p 671.

2- Henry Stuart. J : **The Princeps** - C.A.H- vol. –X- Cambridge1976, p.137.
Bowersock: **Roman**. p.45 , 46.

شخصية عبادة بالضعف وفتور الهمة والكسل [١] . أما الثاني فيذكر أنه " لم يكن يعير الشؤون العامة فضلاً عن العسكرية منها أي اهتمام"[٢] . ويؤكد كل منهما أن مقاليد الأمور كانت بيد وزيـــره ســيلايوس **Syllaeus** [٣] الموصـــوف بالقــدرة والكفاية وعلو الهمة [٤] ، والذي كان يوصف في النقوش بأنه : "أخو الملك" وهو لقب مجازي ارتبط بمهام الحاكم التنفيذي في نظام الحكم النبطي[٥].

وبالنظر إلى أن هذا الوزير النبطي كان وثيق الصلة بملك اليهودية هيرود الأدومي لم يكن هناك ما يمنع هذا الأخير من التقرب من أغسطس وتوثيق علاقته بحاكم روما المطلق . وبقبول أغسطس ولاء هيرود للإمبراطورية الرومانية لــم يعد مقبولاً من الأنباط أو الهيروديين العودة إلى النزاع والتصادم ومحاولة كــل طرف اقتطاع أراضٍ تابعة للآخر ، أو السيطرة على بلاده . وذلك على عكس مــا كانت عليه الأحوال بينهما في زمن حكم انطونيوس للأجزاء الشرقية من الدولــة الرومانية [٦] .

وكان من الطبيعي في ظل هذه المعطيــات أن تتجــه جهــود الإمبراطــور أغسطس إلى تحقيق مصالح دولته الاقتصادية في الشرق ، من أجل العبور بهــا إلى عصر الرخاء ، بعد الأزمات والحروب المتتالية التي قضت على اقتصــادها . ولمّا كان قد وصل سمعه من إطراء عن الثراء الموغل في القدم الذي يتمتع بــه عرب جنوب الجزيرة ، والمتأتي من احتكارهم لتجارة التوابل ، والكندر ، والقرفة ، والبلسم ؛ واكتناز الذهب ، والفضة ، والأحجار الكريمة ، العائدة علــيهم مــن

1- Josephus. **A.J**. 16..6.7 .

2- Strabo**, Geography**. 16.4.23. 24 .

٣- يذهب البعض إلى أن كلمة سني هي الكلمة المقابلة لــSyllaeus وأنها ترخيم لاسم سليم ويرى البعض الآخر أن سيلايوس ربما تكون تحريفاً لاسم صالح. الشيبة ، **دراسات** ، ص٢٢ . جواد علي ، **المفصل** ، ج٣، ص٣٨ . إحسان عباس، **تاريخ الأنباط** ، ص٥١ .

4- Strabo. 14.4.23. 24 . Josephus. **A.J**. 16..6.7

٥- انظر : الملحق الأول..21. 16.4 , Strabo .

6- Bowersock**, Roman**. p.45.

ممارسة هذه التجارة ، قرر أن تنال الإمبراطورية نصيباً من هـذا الثـراء بأيـة طريقة كانت ، سواء بمحالفتهم أو عن طريق إخضاعهم بقوة السلاح[1]. وهو ما لخصه سترابو بقوله إن كل أسباب الأمل توفرت لأغسطس في " أن يجد العـرب أمّا أصدقاء أثرياء قادرين على إعانته بكنوزهم ، أو أعداء أثرياء تسهل هزيمتهم وسلبهم " [2].

فقد كان أغسطس يأمل في إنجاز العمل الذي كان الاسكندر الأكبر قد هم به ولم يطل به العمر لتحقيقه ، بعد أن أعلن هؤلاء رفضهم الإذعـان لـه وإرسـال الهدايا إليه كبقية الشعوب الأخرى . كما هدف أغسطس إلـى كسـر احتكـارهم التجارة الشرقية وتحويل مسارها نحو الموانئ المصرية التابعـة للإمبراطوريـة الرومانية [3].

ويضيف سترابو هدفاً أخراً وهو استكشاف ذلك الجزء الغامض مـن بـلاد العرب [4]. وبالرغم مما يمثله هذا العمل من تهديـد لمصـالح الدولـة النبطيـة الاقتصادية يؤكد سترابو أن الأنباط لم يكتفوا بإظهار تأييدهم لنوايا أغسـطس ، وإنما "وعدوا بمساعدته في كل ما يقوم به" [5] . وبما أن مقاليد الأمور كانت بيد الوزير سيلايوس فالأرجح أن هذا الأخير كـان المسـؤول الأول والأخيـر عـن مشاركة الأنباط في الحملة العسكرية التي قرر الإمبراطورإرسالها إلـى جنـوب شبه الجزيرة العربية . صحيح أن علاقة التحالف النبطية الرومانية كانت تقتضي ضمناً تقديم الأنباط الدعم والمعونة للرومان في حالـة الحاجـة إليهـا ؛ لكـن مساهمة الأنباط لم تتوقف عند حد مشاركة قوة نبطية محددة في الحملة . فلـو

---

1 - أسد رستم ، **عصر أوغوسطوس قيصر وخلفائه** ج٢ - بيروت١٩٦٥م ، ص١٦٣، ١٦٤ . الشيبة ، **دراسات** ، ص٢١. جونز : **مدن بلاد الشام** ، ص١١٧ . جواد علي ، **المفصل** ، ج٣، ص٣٨ .

2- Strabo. 14.4.22 .

انظر : الشيبة ، **دراسات** ، ص٢١. سيد الناصري ، **الروماني والبحر الأحمر** ، ص٤٦ ، ٤٧ .

٣ - الشيبة ، المرجع السابق ، ص٢١. سيد الناصري ، المرجع السابق ، ص٤٦ ، ٤٧ .

4- Strabo. 16.4. 21.22 .

5- Ibid. 16.4. 22,23 .

اقتصر الأمر على ذلك لجاز القول بأنهم كانوا مضطرين للمشاركة فيها ، مثلهم مثل هيرود الأدومي ملك اليهودية الذي دعم الحملة بـ ٥٠٠ جندي يهودي [١] .

وأكثر ما يؤيد تغليب الوزير النبطي الطموح سيلايوس مصالحه الذاتية ، وتقديمها على مصالح بلاده المصيرية ، أنه لم يكتف بتقديم الوعود للرومان بتأمين ما يحتاجونه من مؤن ومؤازرتهم في كل شيء بإخلاص ، بل أعلن عن استعداده للقيام بدور المرشد للحملة [٢] ، وهو ما يدعونا للقول أنه كان يسعى إلى تحقيق مصلحة شخصية أضمرها في نفسه ، و إلا لما أظهر هذه الحماسة والإخلاص لخدمة الرومان .

ومع أنه لا يخفى تحامل سترابو على سيلايوس إلا أنه لا يمكننا إلا أن نوافقه في قوله إن سيلايوس " كان من خلال إرشاد الرومان في حملتهم ، قد وضع لنفسه هدف استكشاف البلد لحسابه الخاص" [٣] ، أو ما ذكره بعض المؤرخين المحدثين من أنه ربما كان يأمل من وراء ذلك أن ينال ثقة الرومان ، فيسمحوا له باعتلاء عرش المملكة النبطية بعد الملك عبادة ، أو في أقل تقدير يمنحونه الموافقة على تنصيبه حاكماً على جنوب شبه الجزيرة بعد إخضاعها لسلطانهم[٤].

وأيا كان الأمر فقد بادر الإمبراطور أغسطس بعد الوعود التي تلقاها من الأنباط والوزير سيلايوس إلى تكليف حاكم مصر الروماني ايليوس جالوس **Aelius Gallus** بقيادة حملة حربية ضد بلاد العرب الجنوبية . وقد ظن إيليوس جالوس بأنه سيلاقي من هؤلاء العرب مقاومة شديدة في البحر ، فأمر ببناء سفن حربية طويلة ذكر سترابو منها ثلاثة أنواع :

1- Anderson, J.G.: <u>**The Eastern Frontier under Augustus**</u> - C.A.H – vol - X Cambridge1976. p250 . Bowersock. <u>**Roman**</u>. p.46.

إحسان عباس ، <u>تاريخ الأنباط</u> ، ص٥٣ .

2- Strabo. 16.4. 22 . 23 .

3- Strabo. 16.4. 23. 24 .

4- Bowersock. <u>**Roman**</u>. p.49 .

إحسان عباس ، <u>تاريخ الأنباط</u>، ص٥٣ .

سفن ثنائية المجاديف Biremes وثلاثية المجاديف Triremes ، ونوع ثالث كان عبارة عن سفن خفيفة أطلق عليها Light boats .(ربما كانت هذه السفن تستخدم لغرض الاستكشاف) لكنه ما لبث أن اكتشف بعد أن كان قد انتهى من بناء ثمانين سفينة من تلك السفن أن العرب لا يمتلكون أسطولاً حربياً ، وأنهم لا يستطيعون مواجهة الرومان في البحر ، فاكتفى بنقل قوات حملته في حوالي عام ٢٥ ق.م [١] والبالغ عددها عشرة آلاف مقاتل إلى ميناء لوكى كومى[٢] النبطي على ظهر ١٣٠ سفينة نقل [٣] . وقد وصف سترابو ميناء لوكى كومى بأنه "سوق الأنباط الكبير" ويقول في موضع آخر "وكانت البضائع تنقل من لوكى كومى إلى البتراء ومنها إلى رينوكولورا Rhinocolura [العريش] ويتم إرسالها من هناك إلى كافة الاتجاهات"[٤] . أما مؤلف كتاب الدليل المجهول فقد وصفه بأنه مرفأ بحري حصين ، ويمكن الوصول عند طريقه إلى البتراء عاصمة ملك الأنباط[٥].

ومن اللافت أن الترجمة الفرنسية [٦] لكتاب سترابو تحدد مدة رحلة قوات ايليوس جالوس إلى لوكى كومى بخمسة عشر يوماً ، وفي ذلك زيادة يوم على

---

١ – اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ هذه الحملة وقد اقترح بعضهم أن تكون عملياتها استمرت من ربيع أو صيف عام ٢٦ ق.م. إلى خريف عام ٢٥ ق.م . انظر : Bowersock. **Roman**. p.46.

٢– لوكي كومي : سبق الإشارة إلى هذا الميناء النبطي (راجع الفصل الأول ص٤٠) وقد اختلف المؤرخون في تحديد موقعه الأصلي . فبينما يرى البعض أن معنى الاسم (القرية البيضاء) ويتطابق مع معنى اسم ميناء الحوراء ، يرى آخرون أن موقع لوكي كومي كان في منطقة عينونا الساحلية ، ويرى فريق ثالث أن ميناء ينبع البحر هو المقصود بالتسمية . ويفيدنا أندرسون Andrson. J. بأن موقع لوكي كومي كان يبعد عن مأرب مسافة ٩٠٠ ميل كاملة . أما تارن Tarn. W. فيتحدث عن وجود موقع في سورية يحمل الاسم نفسه وقد اكتفى بالقول بأنه كان من المواقع التابعة لمملكة كيلوباترا . أنظر : إحسان عباس . **تاريخ الأنباط** ص٣٣. الشيبة . **دراسات** .ص٢١.

Anderson. **The Eastern** . p250. Tarn **The War** . p.75.

³ Strabo. 16.4. 23. 24. cf : Anderson. **The Eastern**. p.247-250. Bowersock. **Roman**. p.46. 47.

⁴ The Geography. 16. 4. 23.24

⁵ The Periplus . 19. p131.

⁶ **Geographie de Strabon**.- Trad Amedee Tardieu - . Paris 1880, 16.4.23.

المدة المذكورة في الترجمة الإنجليزية ؛ التي تتحدث عن وصوله إلى هذا الميناء النبطي بعد أربعة عشر يوماً من العبور الشاق والبائس [١] . وما يهمنا ذكره إلى جانب ذلك أن حملة ايليوس جالوس لم تصل إلى لوكى كومى إلا بعد أن تكبدت خسائر جسيمة في السفن والأرواح ، بسبب صعوبة الملاحة بين ميناء كليوباترا وذاك الميناء النبطي [٢] . وهو ما اعترف به سترابو . لكنه بعد أن يقول "أن ما حدث كان بفعل البحر وبسبب صعوبات الملاحة" ، يعود ويناقض نفسه في السطور التالية مباشرة ويتمثل ذلك في قوله "ويتحمل سيلايوس مسئولية هذه الكارثة كاملة ، لأنه كان قد أكد بخبث أن الطريق البرية إلى لوكى كومى لا يمكن قط أن يسلكها جيش ، في الوقت الذي تعبر فيه القوافل – على الدوام – طريق الذهاب والإياب بين البتراء ولوكى كومى دون حوادث وفي أمان كامل ، ومع عدد من الرجال والجمال لا يختلف في شيء عن عتاد جيش فعلي [٣] .

وإذا ما بحثنا عن السبب الفعلي فيما لحق بقوات ايليوس جالوس خلال هذا الرحلة البحرية فالراجح أن السبب كان في طبيعة السفن التي استخدامها أيليوس جالوس في هذه العملية . والأرجح أن الثمانين سفينة حربية التي ذكر سترابو أن جالوس أخطأ في بنائها لم تكن صالحة للإبحار في هذا الجزء من البحر الأحمر . الملائم للسفن التجارية النبطية وليس السفن الحربية الضخمة [٤] .

ومن بين النقاط التي توضح أنه لم يكن لسيلايوس يد في الخسائر التي لحقت بقوات ايليوس جالوس خلال هذا المرحلة . أن سترابو لم يستثن الملك عبادة نفسه من تحمل مسؤولية ما حدث وبرر ذلك بقوله : " إنه إذا قدر لمثل هذه الخيانة أن تحدث فإن ذلك ناتج عن أن الملك عبادة لم يكن يهتم بالشؤون

1- Strabo, 16.4. 23.
2- Strabo. 16.4. 23. cf : Anderson. **The Eastern**. p.250.
3- Strabo, 16.4. 23.
٤ - محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – القاهرة ١٣٩٢/ ١٩٨٥م، ص٧٥ . جواد علي ، **المفصل** ج٢، ص٤٥ .

العامة ، ولا سيما العسكرية منها التي ترك لـوزيره سـيلايوس أمـر تسـييرها وإدارتها " [١].

بل إن سترابو يحمل ميناء لوكى كومى نفسه مسـؤولية الأمـراض التـي تفشت بين أفراد الحملة الرومانية عقب وصولهم إلى هذا الميناء النبطي ، الـذي يقول سترابو أن المياه والخضروات التي تم توفيرها للرومان فيه كانت سـيئة ، مما أدى إلى إصابة رجال ايليوس بمرضين مـن أمـراض البلـد ؛ أولهمـا داء الاسقربوط Stomacacce المسبب لتقرح الفم ، وثانيهما مرض شلل الأطـراف السفلى Scelolyrbe ويؤكد أن هذا الأمر اضطر القائد الروماني إلى البقاء فـي لوكى كومى فصلي الشتاء والصيف تاركاً لأفراد الحملة المرضى فرصة الشـفاء من هذين المرضين[٢].

وقبل مغادرة الحملة الرومانية لوكى كومى في ربيع عام ٢٤ ق.م انضـم إليها ٥٠٠ من أتباع هيرود الأدومي وألف مقاتل نبطي . وبـرغم قيـام الأنبـاط بتوفير متطلبات قوات ايليوس جالوس طيلة بقائها في هـذا الميـناء النبطـي ، وبرغم أنها لم تبدأ زحفها نحو هدفها إلا بعد أن أعـد سـيلايوس العـدة لنقـل احتياجات الحملة من المياه على ظهور الجمال إلا أن سترابو يتّهم مرشدي الحملة الأنباط وفي مقدمتهم الوزير سيلايوس باستخدام الحيل لتأخير وصول الرومـان إلى بلاد (حارثة) اريثاس النبطي قريب الملك عبادة [٣] .

ويبدو أن تفكير سترابو أنصب على كيفيـة اخـتلاق الـتهم لسـيلايوس ومرشدي الحملة الأنباط ، فلم يحدد الاسم ولا موقع بلاد هذا الحاكم النبطي وهو الأمر الذي فتح باب الترجيحات أمام المؤرخين المحدثين الذين يرجح بعضـهم أن

1- Strabo. 16.4. 24.
2- Strabo. 16.4. 24. cf : Anderson. **The Eastern**. p.250.
3- Strabo. 16.4. 23- 24 . cf : Anderson. **The Eastern**. p. 250 Bowersock, **Roman**. p48 . Momigliano. A: **Herod of Judae**- C.A.H- vol – X – Cambridge1976. p.330.
أسد رستم ، عصر أوغوسطوس ، ص١٦٥. الشيبة ، محاضرات ، ص١٠٨، ١٠٩.

المراد بأرض حارثة أو الحارث هي مملكة لحيان ، المجاورة لمدائن صالح [١] . في حين يذهب البعض الآخر من المؤرخين إلى أن بلاد الحارثة النبطي يمكن أن تكون في مكان ما في المنطقة الواقعة بين مدائن صالح ويثرب ، وهي المنطقة التي قدر لها بعد ذلك أن تصبح جزءاً مهماً من أراضي المملكة النبطية [٢] .

ومن الواضح من رواية سترابو أن حارثة هذا قام بما يتوجب القيام به تجاه الرومان وقائدهم ايليوس جالوس الذي قابله هذا الحاكم النبطي بترحاب كبير ، وقدم له الهدايا التي تشير إلى عمق الصداقة بين الجانبين [٣]. ويرجح البعض أن الرومان اتخذوا – إلى جانب مرشدي الحملة الأوائل – دليلاً من تلك المنطقة [٤] . لكن سترابو يعود إلى كيل التهم للوزير النبطي مع بداية زحف الحملة الرومانية داخل أراضي حارثة النبطي ، ويؤكد " أن سيلايوس وجد بما لديه من قدره على الغدر وسيلة لإثارة المتاعب في هذه الأراضي الصديقة "[٥] وموضع الاتهام في هذه المرة يتعلق بما ذكره بقوله من أن سيلايوس تعمد السير بقوات الحملة الرومانية في مسالك سيئة ولمدة شهر كامل ، لم يجد فيها الرومان " سوى الحنطة الرومية والقليل من أشجار النخيل " [٦] .

وإذا كان لنا تعليق على قول سترابو الأخير فيرتبط الأمر بما ذكره عن توفر الحنطة الرومية وقلة أشجار النخيل داخل نطاق أراضي حارثة النبطي الواقعة في شمال شبه جزيرة العرب ، فكيف توفر نبات الحنطة الرومية وغابت أشجار النخيل في طريق يقطع بلد النخيل .

---

١ – جواد علي ، المفصل ، ج٢، ص٥٠ .

2- Bowersock. **Roman**. p.48.

3- Strabo. 16.4. 24.cf : Anderson. **The Eastern**. p.151. 250.. Bowersock. op. cit. p.48.

4- Bowersock. **Roman**. p.48.

الشيبة ، محاضرات ، ص١٠٨ .

5- Strabo. 16.4. 24..

6- . Strabo. 16.4. 24 . cf : Anderson. **The Eastern**. p.251.

ويصف سترابو طبيعة البلاد التي كان على جيش ايليوس جالوس قطعهـا بعد خروجه من نطاق حكم حارثة النبطي سابق الذكر ، فيقول في ذلك " ولم يكن يقطن الأراضي التي تم اجتيازها مباشرة بعد الأولى ، سوى البدو ويتكون جزؤها الأكبر من صحراء حقيقية يطلق عليها ارارين Ararene وعليها ملـك اسـمه سابوس Sabos [صعبو] " (١) .

غير أن اسم هذا الملك (أي سابوس = صعبو) يرد في روايـة المـؤرخ الروماني ديوكاسيوس على أنه ملك بلاد العربية السعيدة ويتمثل ذلك فـي قولـه "وبدأت حملة أخرى جديدة قادها ايليوس جالوس حاكم مصر ضد البلد الذي يدعى العربية السعيدة Arabia Felix والذي كان يحكمه الملك صعبو [Sabos] " (٢).

ومن اللافت للنظر أن هذين المؤرخين يتفقان في اسم الملـك والأحـرف الثلاثة الأولى من اسم البلد ارا Ara . وبما أن معلومات ديوكاسيوس تبدو أقرب إلى الصواب فالأرجح أن الجهل لم يكن السبب الوحيد الذي أوقع سترابو في هـذا الخلط وأن لهذا الأمر علاقة وثيقة بمسعاه الحثيث إلى طمـس تفاصـيل أحـداث الحملة الحقيقية ، لما فيها من هدم لمكانة صديقه ايليوس جالوس قائـد الحملـة والمسؤول الأول عنها .

وفي الوقت الذي يؤكد فيه ديوكاسيوس الروماني أن ايليوس جالوس لقى مشقة كبرى في عبور الصحراء ، وأن الشمس ونوعية الماء سببا عبئـاً كبيـراً على جنوده ، مما أدى إلى هلاك الجزء الأكبر من الجيش من قبل أن يدخل فـي معركة حربية(٣) فعليه يذكر سترابو أن مرشدي الحملة الأنبـاط اسـتمروا فـي تضليل ايليوس جالوس وجعلوه يقطع بلاد "أرارين" الصحراوية سابقة الذكر فـي خمسين يوماً كاملة (٤) . وإذا كان هذا الأمر صحيحاً فما القوة التي مكنته من قطع

1- Strabo. 16.4. 24. cf : Anderson. **The Eastern.** p.250.
أسد رستم ، عصر أوغوسطوس ، ص١٦٥.
2- Dio Cassius. 53. 29.3-4.8.
3- Ibid. 53 . 29 . 3- 4 .
4- Strabo, 16.4. 24 . cf : Anderson. **The Eastern.** p.251

البلاد الواقعة بين أراضي حارثة ووادي نجران الخصيب خلال ثمانين يوماً كاملة من الزحف المتواصل ، وأن ينجح بعدها في الاستيلاء على مدينة نجران ، التـــي يقول سترابو أن قوات جالوس تمكنت من اقتحامها بعد فرار ملكها مــن وجهــة الرومان[1] لكن سترابو يعود إلى مناقضة نفسه في هذا الأمر ، إذ ذكر في موضع أخر من روايته أن قوات ايليوس جالوس خاضت معركة في مدينة نجــران [2] . والواضح من حديثه أن وقوعها كان في بداية وصول الحملة الرومانية إلى هــذه المدينة ، وليس كما يعتقد البعض أن حدوثها كان أثناء عودة جالوس إليها بعــد فشله في اقتحام مأرب .

وما يهمنا قوله أن اتهامات سترابو لسيلايوس ومرشدي الحملة من الأنباط ليس لها أساس من الصحة . فلو كان سترابو صادقاً فيما رواه عن هــذا الأمــر وعن أحداث الحملة الأخرى ، فالموافق للمنطق أن لا يتمكن ايليوس جالوس من عبور الصحراء سالماً ، وأن يتعرض للهزيمة عند وصوله إلى نجــران . ولكــن سترابو يتحدث عن توالي نجاحات الحملة الرومانية بسهولة بالغة ، ولاسيما بعد أن غادرت الحملة نجران صوب بلاد العربية الســعيدة ، فيــذكر أن جيشــاً مــن البرابرة (عرب الجنوب) حاولوا التصدي لقوات الحملة بعــد ســتة أيــام مــن مغادرتها نجران، وأن المعركة التي دارت بين الجانبين بجوار أحد الأنهر (رجح البعض ان يكون غيل الخارد بالجوف) انتهت بتحقيق الرومان نصراً كاسحاً بعــد نجاحهم في قتل عشرة آلاف رجل من مجموع الحشد الذي حــاول مهــاجمتهم . والذي لم يتمكن حسب روايته من قتل أكثــر مــن فــردين مــن أفــراد الحملــة الرومانية[3] .

وقد حاول تبرير مبالغته المكشوفة بقوله "إن هؤلاء البرابرة [يقصد عــرب الجنوب] كانوا بطبعهم قليلي الشراسه وليس هناك ما يماثل رعونتهم في استخدام

1- Strab. 16 . 4 . 24.
2- Ibid.. 16 . 4 . 24 .
3- Strabo.16.4.24. cf : Anderson. **The Eastern,** p.251

ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربي القـديم - ترجمة فؤاد حسين علي - القــاهرة ١٩٧٧م ، ص٣٠٠ .

الشيبة ، دراسات ، ص٢٢ . بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ص٧٥ .

أسلحتهم المختلفة مثل الأقواس والرماح والسيوف والفؤوس ذات الرأسين ، التي كانت السلاح الأوفر عدداً لديهم"[١] . ويذكرنا هذا بقوله عند بداية الإعداد للحملة إن الرومان لم يكونوا في حاجة لقوة بحرية "لآن العرب ليسوا بشرسين في البـر على الإطلاق باعتبارهم تجاراً وباعة وصلابتهم في قتال البحر أقل كثيراً" [٢] .

ومما يؤكد ضعف وصف سترابو لهذه المعركة هـو أن مجمـوع قـوات الحملة الرومانية كانت قد أصبحت أقل كثيراً من عشـرة آلاف مقاتـل ، فكيـف تمكنوا من قتل ذلك العدد الكبير من أعدائهم . وإذا كانـت هـذه خسـائر عـرب الجنوب فكم كان مجموع حشدهم المقاتل الذي خاض هذه المعركة ؟ ولماذا غفـل ديوكاسيوس وغيره من المؤرخين عن ذكر هذه المعركة الكبيرة عند حديثهم عن حملة ايليوس جالوس .

هذه التساؤلات المنطقية لم تكن واردة في حساب سترابو الذي ينتقل لسرد تفاصيل انجازات جالوس اللاحقة ، والتي تمثلت في نجاحه في الاسـتيلاء علـى مدينتي اسكا Asca واثرولا Athrula . ويرجح المؤرخون أن اسـم المدينـة الأولى ربما هو مدينة نشق Nashk المعينية ، وأن الاسم الثـاني هـو لمدينـة معينية أخـرى عرفـت باسـم يثـل Yathil وتعـرف اليـوم باسـم بـراقش Barakish[٣].

أما كيفية استيلاء الرومان على هـاتين المـدينتين . فيـذكر سـترابو أن جالوس استولى على الأولى بعد فرار ملكها من أمامه وأنه سار بعد ذلـك إلـى اثرولا وتمكن من الاستيلاء عليها بدون مقاومة ، ووضع فيها حامية [٤] . وقـد

1- Strabo. 16 . 4 . 24 .

2- Strabo. 16.4. 23 . cf : Anderson. **The Eastern,** p.251

جواد علي ، المفصل ، ج٢ ، ص٤٦ ، ٤٧ .

3- Strabo. 16. 4 . 24 . cf : Anderson. op. cit. p.251. Bowersock. **Roman**, p.48.

أنـد رستم ، عصر أوغوسطوس ، ص١٦٥ . الشيبة ، دراسات ، ص٢٢ .

4- Strabo. 16 . 4 . 24 .

الشيبة ، دراسات ، ص٢٢ .

نشر باولو كوستا Paolo Costa نقشاً مهماً يقول إنه بيع من أحد رجال القبائل من بني اشرف وأن مكان العثور عليه كان في مقبرة قريبة من بـراقش سـابقة الذكر ، وهو نقش قصير مدون باللغتين اللاتينية والإغريقية ويتضمن كلمة فارس egues اللاتينية . الأمر الذي دفع باورساك إلى الربط بينه وبين حملة ايليـوس جالوس. وقول سترابو إن هذا الأخير وضع حامية رومانية فـي مدينـة اثـرولا (براقش)[1]. وتأكيد ديوكاسيوس على أن الرومان تقدموا إلى مدينة اثرولا [2] .

ونظراً لأن المجال لا يسمح بتناول محتوى هذه الـنقش والدراسـة التـي أعدها باوساك عنه جعلناه ضمن ملاحق هذه الدراسة [3] . ونكتفي هنا بالقول إن عدم العثور على نقش مسندي عن هذه الحملة يضعف من إمكانية قبول تـرجيح باورساك بأن نقش براقش يعد أول دليل مادي قوي عن وصول الحملة الرومانية إلى تلك المنطقة من شبه الجزيرة العربية[4] .

وفيما يخص نشاط ايليوس جالوس عقب سيطرته على مدينة اثرولا فقـد حرص على جمع أكبر قدر من القمح والتمر من هذه المدينة التي يذكر سـترابو أن الحملة الرومانية اتخذتها نقطة انطلاق لمهاجمة مدينة مارسـيبا Marsiaba التي ذكرها في الأصل اليوناني على النحو الآتي Μαρσιαβα ويقول إنها مدينة الرامـانيين hammanitae الـذي كـان يحكمهـم ملـك يـدعى ايـلازاروس Ilasarus[5] ويتابع سترابو حديثه قائلاً إن جالوس قام بمهاجمة هـذه المدينـة وضرب عليها الحصار مدة ستة أيام ، غير أنه ما لبث أن رفـع حصـاره عنهـا نتيجة نقص المياه لديه" [6] .

1- Bowersock, **Roman**, p.48 , 148 – 153 .
2- Dio Cassius, 53 . 29 . 8 .

٣- انظر الملحق الثاني .

4- Bowersock, **Roman**, p.48 .
5- Strabo.16.4.24 . cf : Anderson, **The Eastern**., p.251. Bowersock, **Roman**, p.151 . 152

بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ، ص٧٥.

6- Strabo,16.4.24 .

غير أن هناك أكثر من نقطة تدفعنا للشك في مصداقية كلام سترابو السابق، ونبدأ ذلك بتفنيد قول البعض إن مأرب هي المقصودة فيما ذكر عن مارسيبا وإن عدم دقة التسمية ناجم عن وقوع تحريف في اللفظ اليوناني وإن الأصل مأرب سبأ فحرفها اليونان إلى مارسيبا Marsiba [1] . ونجمل الشواهد الرافضة لهذا الرأي في النقاط الآتية :-

- ذكر سترابو نفسه أسم مأرب والسبئيين بشكل صحيح ودقيق وفي موضع قريب من المكان الذي ذكر فيه الاسم المحرف (مارسيبا) ἡ δὲ πόλις τῶν Σαβαίων, ἡ Μαρίαβα, ماريابا مدينة السبئيين ، يرد ذلك في ص ٣٤٨ والاسم المحرف في ص ٣٦٠ من ترجمة "جغرافية سترابو" إلى اللغة الإنجليزية [2] .
- عدم إشارة سترابو إلى سد مأرب عند حديثه عن مدينة مارسيبا سابقة الذكر ويعد المؤرخ الانجليزي جي اندرسون من بين القلة النادرة التي تنبهت إلى عدم إشارة سترابو إلى السد الذي يعد ابرز معالمها منذ أقدم العصور ، وقد أبدى استغرابه من قول سترابو إن ايليوس جالوس . لم يتمكن من مواصلة حصار مارسيبا نتيجة نقص المياه [3] .
- قول الإمبراطور أغسطس في الأثر النقشي الذي دونه في أنقرة أن جيشه وصل إلى حدود السبئيين ومدينة مأرب [4] .

وإن كان هذا هو ما ذكره الآمر لايليوس جالوس بغزو بلاد العرب فإن قوله إنه وصل إلى حدود السبئيين يعني ضمناً أن الرومان لم يتجاوزوا حدود بلاد السبئيين ولم يصلوا إلى مدينة مأرب على الرغم من الإشارة إليها في هذا

---

١ - جواد علي . المفصل، ج٢ ، ص٥٦ . الشيبة . دراسات ، ص٢٢ .

2- Strabo.16.4.19.24 .

3- **The Eastern,** p. 251 .

4- Bowersock. **Roman,** p.49.

سيد الناصري ، الرومان والبحر الأحمر ، ص ٤٩ .

النقش وإن رواية سترابو تتحدث عن موضع آخر يدعى مارسيبا أو ماريمـــا وإلا لما نسب المدينة إلى من أسماهم الرامانيين ، الذين تعد الإشارة إليهم وإغفال ذكر السبئيين والمعينيين والحميريين من بين المآخذ الكبرى التي تحسب على روايـــة سترابو في حال مقارنتها بإشارة أغســطس إلـــى الســبئيين وذكــر المعينيــين والحميريين عند كل من بليني Pliny[١]ومؤلف كتاب الــدليل Periplus Marls Erythraei[٢]

وإذا كانت حملة ايليوس جالوس قد وصلت حقاً إلــى مــأرب وأنهـــا قــد أصبحت على بعد من بلاد الطيوب (حضرموت) كما يدعي سترابو ، فمـــا الأمــر الذي دفع القائد الروماني المنتصر الذي قدم إلى مارسيبا بعد أن تزود بكميات من القمح والتمر من اثرولا. إلى رفع حصاره عن هذه المدينة وتفضــيله الانســحاب السريع والتخلي عن المدن التي كان حسب زعمه قد اســتولى عليهـــا بســهولة بالغة[٣].

ومن الملاحظ أن سترابو لم يعد إلى توجيــه الاتهامـــات إلـــى ســيلايوس وتحميل مرشدي الحملة الأنباط مسؤولية الاخفاقات التي واجهت جـــالوس خـــلال هذه الحملة ، إلا بعد إشارته إلى إخفاق هذا الأخير في الاســتيلاء علـــى مدينـــة مارسيبا واضطراره إلى الانسحاب باتجاه الشمال [٤] . غير أن سترابو ، لم يتمكن من تلفيق تهم جديدة ؛ فنجده يحمّل مرة أخــرى ســيلايوس ومرشــدي الحملـــة مسؤولية انقضاء ستة أشهر كاملة قبل الوصول إلى مارسيبا . ويؤكد أن ايليوس جالوس لم يدرك هذا الأمر إلا في اثناء عودته ، "لأنه جرى أخيراً الكشف له عن غدر سيلايوس ، ولأنه لم يتبع نفس المسالك في رجوعه . وهكذا تمكن في تسعة

١- **Natural History**, IV . 32 . 155. 161 .
٢- Periplus. Ch. 23 . 24 .
٣- Strabo, 16.4.24. cf : Anderson. **The Eastern**., p.251 Bowersock. **Roman**. p.48.
بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ، ص٧٥ ، ٧٦.
٤- Strabo,16.4.24 .

أيام من الوصول إلى نجرانا ، التي كان قد خاض فيها إحدى المعارك . ثم قادتـه مسيرة أحد عشر يوماً إلى موضع يقال له الآبار السبعة وعبر من هنـاك بقعـة مسالمة تماماً قبل أن يصل إلى مشـارف شـالا challa وضـفة نهـر مالوثـا Malothai فيما بعد . وتوجب عليه (عقب ذلك) قطع أحدى الصحارى التي كان ما يزال يوجد فيها بعض الأبار وموارد التزود بالماء" [1] .

ومن الأمور الطريفة التي لم يتنبّه سترابو إلى عـدم منطقيتهـا أن يعثـر جالوس على التمر بكميات كبيرة في اثلولا الجنوبية ، ولا يجد المياه في مارسيبا القريبة منها وان يعاني من ندرة أشجار النخيل في شمال الجزيرة ، ويعثر علـى آبار المياه وموارد تزويد المياه في الصحراء ؛كما يذكر في المقطع الأخيـر مـن النص السابق. [2] .

وعلى فرض صحة ما ذكره عن إتباع جالوس مسالك مختصـرة وأقصـر طولاً عن تلك التي سلكها من لوكى كومى إلى مارسيبا ، فمن هو الخبير الذي دله على تلك المسالك وأظهر له عدم سلامة نوايا سيلايوس في إرشاد الحملـة فـي رحلة الذهاب . فلو قلنا إن اليهود المشاركين فيها كـانوا وراء ذلـك الإنجـاز . وإنهم من نبه القائد الروماني إلى عدم صلاحية الطرق التي قاده سيلايوس عبرها ، فالأولى أن يقوموا بهذا الأمر في رحلة الذهاب وليس في أثناء العودة . ومـن الشواهد الدالة على أن مرشدي الحملة الأنباط كانوا وراء نجاة البقية الباقية من قوات الحملة الرومانية ، هو أن قوات ايليوس جالوس انتهت من انسحابها بعـد عبورها الصحراء سابقة الذكر ، إلى موضع ساحلي تابع للملك عبـادة النبطـي سماه سترابو أجرا كوما Egra Coma [3] . وقد اختلف المؤرخون المحدثون في تحديد معنى الاسم الذي أورده سترابو . فمنهم من يرجـع أن يكـون ميـناء

1- Strabo.16.4.24 . cf : Anderson, **The Eastern**, p.251 .
2- Strabo.16.4.24 .
3- Strabo.16.4.24 . cf : Anderson, **The Eastern**., p.251. Bowersock, **Roman,** p.48 ,49.

مدينة اجر (الحجر) المعروفة باسم مدائن صالح [1] . ومنهم من يرجح أن التسمية ترتبط بميناء "ينبع" ميناء يثرب [2] .

وما يهمنا أن سترابو يؤكد أن الرومان قطعوا المسافة الفاصلة بين مدينتي مارسيبا "وأجراكوما" في ستين يوماً . وليس ذلك وحسب ، فهو يؤكد أيضاً أن ايليوس جالوس تمكن من الوصول إلى ميناء ميوس هورموس Myos Hormos المصري بعد أحد عشر يوماً من إبحاره من ميناء أجرا كوما النبطي [3] ورغم أنه لم يحدد هوية السفن التي كانت راسية في هذا الميناء النبطي إلا انه يمكن القول إنها كانت جزءاً من الأسطول الروماني ، الذي يؤكد سترابو نفسه أن سيلايوس تحمل مهمة إرشاده ، إلى جانب القيام بمهمة الدليل للجيش البري . ويتمثل ذلك في قوله " كما أنه [أي سيلايوس] قام بجعل الاسطول يسير بمحاذاة ساحل طويل مستقيم ينعدم فيه المأوى ووسط الأعماق القريبة ، الشائكة العبور بفعل الصخور الظاهرة على وجه الماء " [4] .

ومن الملاحظ إضافةً إلى ما يحمله حديث سترابو السابق من دلالة على أن الحملة الرومانية كانت برية وبحرية وليس برية وحسب أن رحلة ايليوس جالوس إلى ميناء لوكى كومى النبطي كانت بالغة الصعوبة ، واستغرقت خمسة عشر يوماً في حين لم تستغرق رحلة العودة من ميناء أجرا كوما إلى ميوس هورموس اكثر من أحد عشر يوماً . ويختم سترابو حديثه عن الحملة بالقول إن ايليوس جالوس "عبر بسرعة المسافة التي تفصلها (أي ميوس هورموس) عن قبطوس ، والتي غادرها كذلك متجهاً عبر القناة نحو الإسكندرية . مع كل من تبقي له من الرجال الاصحاء والذين كان ما يزال بالإمكان نقلهم . ولم يكن قد فقد البقية تحت ضربات العدو وإنما بفعل الأمراض والتعب والجوع والطرق السيئة "

1- Bowersock. **Roman**. p. 49 .

٢ - جواد علي ، المفصل، ج٢، ص٤٨ . بافقيه ، تاريخ اليمن القديم ،ص٧٥.

3- Strabo.16.4.24 . cf : Anderson. **The Eastern**. p.251 .

4- Strabo.16.4.23 .

(١) وتختلف ترجمة سترابو الفرنسية عن الإنجليزية بقولها: "وإنما بفعل الـــــ... والجوع إضافة إلى أخطاء مرشديه المتعمدة " (٢) . وتتفــق الترجمتـــان فـــي أن ايليوس جالوس "لم يخسر سوى سبعة من رجاله في مختلف مواقع الحرب" (٣) .

وبعد أن يعترف "سترابو" بأن النتيجة النهائية كانت "عدم الاســتفادة مـــن الحملة كما ينبغي في التعرف على جغرافية البلد" يعود إلى الحديث عن سيلايوس قائلاً : "أما بخصوص سيلايوس المجرم الحقيقي ، فعلى الـــرغم مـــن تأكيداتـــه بالولاء، فإنه لقي جزاءه في روما التي ضربت فيها عنقه ، لأنه لم تثبت عليـــه الخيانة وحسب فيما حدث أخيراً بل ثبتت عليه أيضاً عدة أعمال سيئة سابقة " (٤).

وبالنظر إلى أن تعرض سيلايوس لتلك العقوبة كان بعد عام ٦ق.م. يكـــون مؤكداً أن حديث سترابو السابق دُوّن بعد مرور اكثر من عشرين عاماً على وقوع أحداث حملة ايليوس جالوس سالفة الذكر (٥) . الأمر الذي يفسر أتســـام روايتـــه بعدم الدقة ، وضعف الاتهامات التي حاول نسجها حول الوزير النبطي . وإذا كان هذا الأخير يتحمل مسؤولية أخفاق الحملة الرومانية على بلاد العرب ، فما الـــذي أخر توقيت عقابه هذه المدة الزمنية الطويلة ؟ وعليه فإننا نقول مع القـــائلين إن سترابو لم يكن أميناً في تناول الحملة ، ولم يكن فـــي حديثـــه مؤرخـــاً يتحـــرى الحقائق . وإنما كان سياسياً يدافع عن سمعه امبراطوريته وعن صديقه أيليـــوس جالوس (٦).

ويتوافق هذا القول مع حكم باورساك بأنه إذا كان هنالك عربـــي يشـــارك ايليوس جالوس مرارة الفشل ، فليس سوى الوزير سيلايوس ، الذي كان يتوقـــع ترقية بارزه من الرومان في حال نجاح الحملة في مهمتها فـــي شـــبه الجزيـــرة

1- Strabo.16.4.24 . cf : Anderson. **The Eastern**., p.251. Bowersock. **Roman**. p.49.
2- **Geographie de Strabon.** 16 4.24 .
3- Strabo.16.4.24. cf : Anderson. **The Eastern**., p.251 .
4- Strabo. 16 . 4 . 24.
5- Bowersock. **Roman**. p.53 . Anderson. op.cit, p.252.
6- Bowersock. **Roman**, p.47.
باقفيه ، تاريخ اليمن القديم ، ص٧٦.

العربية . كما يقول إنه من الحقائق الثابتة أن أغسطس لم يتخذ أي إجـراء ضـد الأنباط بعد فشل حملة جالوس[١] هو ما يقودنا إلى استنتاج طبيعـي بـأنهم لـم يُحملوا مسؤولية ما حدث .

وبالرغم من اعتراف سترابو بأنها الحملة الرومانية اخفقت فـي التعـرف على جغرافية الأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة إلا أن ذلـك لا يعنـي أن هـذه الحملة لم تحقق للرومان جزءاً من أهدافهم ، حيث يقول بليني الكبيـر "وبفضـل هذه الحملة عرفنا شيئاً عن المعينيين والسبئيين والحميريين " [٢] .

وفي قول أغسطس بأنه وصل إلى حدود السبئيين ما يؤيد تحقيق الحملـة بعض ما كان يطمح إليه هذا الإمبراطور الروماني من أهداف ، ولو كانت ثانوية. وهذا ما يفسر من ناحية أخرى عدم اتخاذه إجراءات عقابيـة ضـد مـن كلفهـم بتنفيذها. وإذا كانت العلاقات النبطية – الرومانية قد شهدت نوعاً من الاضـطراب بعد حملة ايليوس جالوس على العربية السعيدة ، فلا يتعلق الأمـر بفشـل هـذه الحملة واستياء الرومان من سلبية دور الأنباط فيها ، بل إن السبب يكمـن فـي تحول علاقة سيلايوس والملك هيرود الأدومي من الصداقة الوثيقة إلـى العـداوة الشديدة ، بعد رفض الأخير تزويج أخته سالومي من الوزير سـيلايوس ، الـذي كان قد زار بلاط هيرود الكبير ووقع في غرام أخت هذا الملك الأدومي . ومـا إن تسنت له العودة إلى البتراء حتى غادرها إلى القدس من جديد ، وكله أمل في أن يوافق هيرود على تزويجه من سالومي ، التي يقال إنها كانـت تبادلـه الحـب . ونظراً لأن هيرود كان يخشى طموح هذا الوزير النبطي ، ربط موافقته على هـذا الأمر بقبول سيلايوس اعتناق اليهودية . لكن هذا الأخير رفض تنفيذ هذا الشـرط

1- Bowersock, **Roman**, p.49.

الشيبة ، محاضرات ، ص١٠٩ .

2- **Natural History**, IX 32 – 39 .

وغادر القدس غاضباً ، فاغتنم ذلك الملك الأدومـي الفرصـة وزوج أختـه مـن شخص لا وزن له يدعي اليكساس Alexas . [١] .

وقد كانت منطقة اللجا بحوران من المناطق الاسـتراتيجية التـي حـرص الأنباط على ضمها إلى أملاكهم . وجاءتهم الفرصة لتحقيق ذلك عندما عـرض زينودورس بن ليسانياس اليطوري هذه المنطقة للبيع . وبرغم أنهم لم يتـرددوا في شرائها منه إلا أنهم أهملوا في استحصال اعتراف رسمي من رومـا بـذلك . الأمر الذي أتاح الفرصة كاملة لهيرود الأدومـي فـي الحصـول علـى موافقـة الإمبراطور أغسطس على ضم هذه المنطقة إلى أملاكه ، وليس ذلك وحسب بل لم يتردد أغسطس في منح هيرود بقية مناطق الجولان عقب وفاة مالكها زينودورس اليطوري (عام ٢٠ق.م) . وما يهمنا من الأمر أن سيلايوس اتخذ هذه المنطقـة (اللجا) مجالاً لإثارة القلاقل لهيرود ، ابتداء من عام ١٢ ق.م. وهو العـام الـذي سافر فيه الملك الأدومي إلى روما . ففي الوقت الذي كان فيه هيرود في ضـيافة الإمبراطور أغسطس أعلن أهالي منطقة اللجا الثورة على حكمه وهاجموا الحدود. ومع أن نوابه تمكنوا من اخماد ثورتهم بعد قتل خلقٍ منهم إلا أن حوالي أربعـين من قادتهم تمكنوا من الفرار إلى بلاد الأنباط والاحتماء بنفوذ الوزير سيلايوس ، الذي آواهم وأكرم مقدمهم، وحثهم على مواصلة استهداف أملاك الملـك هيـرود انطلاقاً من قلعة رايبتاRaipta النبطية ، التي سمح لهم باللجوء إليها[٢] .

وعلى إثر عودته من روما طلب هيرود من الملك عبادة والوزير سيلايوس إجلاء رؤساء أهالي اللجا عن بلاد الأنبـاط . لكـن الملـك والـوزير رفضـا

1- Joesphus. **A J.**,15.224. 17 – 10 . cf : Bowersock. **Roman**. p.50. **Momigliano, Herod**. p.331.

إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٤٥ .

2- Joesphus. **A J.**, 16. 130, 274 – 276 ,281.cf: **Momigliano, Herod**, p.326. Bowersock. **Roman**, p.50, 51. Anderson. **The Eastern**. p.281.

جونز ، **مدن بلاد الشام** ، ص٨٤، ٨٥ . جواد علي ، **المفصل** ، ج٢ ، ص٣٩ ..

الاستجابة لهذا الطلب ، فحاول الضغط عليهما بمطالبة الوزير النبطي إعادة المال الذي كان الملك عبادة قد اقترضه منه بناء على وساطته ، وعندما لـم يجـد أي استجابه لمطلبيه السابقين بادر إلى عرض الموضوع على كـل مـن سـنتيوس ساتورينوس Sentieos Saturninus حاكم سورية الروماني ، وكولومينـوس Clumnius حاكم بيروت ، وشريك الأول في حكم سورية . وقد وقـف هـذان القائدان الرومانيان إلى جانب هيرود في هذه القضية ، وقاما بالضغط على الوزير سيلايوس الذي يذكر يوسفوس أنه حلف أمام حاكم بيروت على أن يـرد المـال خلال ثلاثين يوماً وأن يسلم هيرود الهاربين الذي آواهم في بلده [1] .

غير أن موقف سيلايوس الحقيقي كان الرفض القطعي لمطالـب هيـرود. ويبدو أن ما ذكره يوسفوس عن تعهده بإعادة المال ، وتسليم الهاربين ، لم يكن سوى مناورة . فما لبث أن سارع سيلايوس بالرحيل إلى روما ، لعـرض الأمـر على الإمبراطور أغسطس . وفي أثناء غيابه قام الملك هيرود بموافقه كـل مـن ساتورينوس وكولومينوس ، بمهاجمة القلعة التي كان خصصها سيلايوس لإقامة أهالي اللجا . وفي الوقت الذي كان هيرود قد انتهى من هدم هذه القلعة ، وصـل إلى المنطقة الجيش الذي أرسله الأنباط لنجدة من كان في القلعة . وقـد انتهـى الصدام بين الجانبين – حسب رواية يوسفوس اليهودي- بفرار جـيش النجـدة النبطي ، بعد تعرض قائده نقيب (اونسيب) و٢٥ من أفراده للقتـل [2] . ومـن الملاحظ اختلاف المؤرخين المحدثين في تحديد العدد الذي خسره الأنباط في هذه المعركة ؛ فرغم اعتمادهم على رواية يوسفوس عن هذه المعركة إلا أن الـبعض منهم يحدد عدد القتلى الأنباط بأنه ٢٥ فرداً بما في ذلك قائد الجيش (نقيـب) . في حين يقول البعض الآخر إن عدد الذين قتلوا إلى جانبه حوالي عشرين فـرداً. وإذا ما عدنا لرواية يوسفوس الأصلية – التي يرويهـا علـى لسـان نيقـولاس

1- Joesphus. **A.J.**. 16. 276- 281. cf : Bowersock. op. cit. p.51 .

إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٥٥ . جواد علي، المفصل، ج٣ ، ص٣٩ .

2- Joesphus. **A.J.**. 16. 284. .cf : **Momigliano, Herod**. p.334. Bowersock, **Roman,** p.51

الدمشقي.Nicolaus of Damascus [١] . نجده يقول "وعندئذ سقط (نقيب) قائدها قتيلاً ، وقتل معه ما لا يزيد عن خمسة وعشرين رجلاً" [٢] وهو ما سبق أن ذكرناه في البداية.

وعلى أية حال ما أن بلغ خبر هذا الحادث مسامع الوزير سيلايوس ، حتى بادر إلى إبلاغ الإمبراطور أغسطس ، بما ارتبكه هيرود بحق بلاد الأنباط ، وأهل اللجاه ، الفارين من وجهه . وتحدث سيلايوس عن تعرض ٢,٥٠٠ نبطي للقتل خلال هذه الغارة الأمر الذي أثار غضب أغسطس ، على الملك الأدومي الذي حاول سفراؤه في تلك الأثناء مقابلة الإمبراطور . لكن الأخير رفض استقبالهم ، وكتب إلى ملك الأنباط عبادة بأن لا يسلم الثائرين ، ولا يرد القرض الذي كان عليه لهيرود ، الذي تلقى إنذاراً من الإمبراطور ، مؤداه أن عهد الصداقة قد ولى ، وأنه أمسى تابعاً خاضعاً [٣] . ويبدو أن الحظوة والإعجاب اللذين وجدهما سيلايوس لدى أغسطس ، قد زادا من طمع الوزير النبطي في اعتلاء عرش المملكة النبطية بعد الملك عبادة . غير أن تقديراته ما لبثت أن انقلبت رأساً على عقب ، فقد توفي الملك عبادة ، في الوقت الذي كان فيه سيلايوس، ما يزال في روما (شتاء عام ٩/٨ق.م) ونودي بحارثه الرابع (٩ق.م – ٤٠م) ملكاً جديداً[٤].

١– نيقولاس الدمشقي : كان نيقولاس هذا كاتباً يونانياً،عمل مربياً لأولاد الملكة البطلمية كليوباترا قبل أن يأمره الإمبراطور أغسطس بالدخول في خدمة الملك هيرود الأدومي، ويوصف بأنه كان مثقفاً وعنه أخذ هيرود شيئاً من الفلسفة والتاريخ وجعله مستشاراً له في معظم الأمور. انظر : أسد رستم ،عصر أوغوسطوس ،ص١٦٤.

٢- Josephus. A.J. 16-284.

أنظر أيضاً : جواد علي ، المفصل ، ج٣،ص٣٩ . إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ،ص٥٤ .

٣- Josephus. A.J. 16. 288 . cf :: Bowersock . Roman,p.51.

أسد رستم ، عصر أوغوسطوس ، ص١٦٩ . إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٥٤، ٥٥.

٤ - يذكر يوسفوس أن اسم الملك النبطي الذي خلف عباده الثالث غيّر اسمه من اينياس Aeneas إلى حارثه. وقد اختلف المؤرخون المحدثون في تحديد نسب هذا الملك (حارثه الرابع) فالبعض يتحدث عنه على أنه ابن عبادة الثالث، في حين يرجح البعض الآخر أن يكون من خارج الأسرة المالكة . وأنه استغل حالة الفوضى التي أعقبت الملك عبادة – سابق الذكر – في اعتلاء العرش . أنظر :

Josephus. A.J. 16-294 . cf: :Bowersock , Roman..p.51,52 .

إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٥٨ . عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص٧٢.

ويمكن القول إن سيلايوس كان وراء الغضب الشديد الذي أظهره أغسطس تجاه ملك الأنباط الجديد ، الذي تولى عرش المملكة دون إذنه ، ومسؤولية الوزير النبطي في هذا الأمر لا تقتصر على الوشاية بالحارثه الرابع لدى أغسطس وحسب، بل إن محاولة سيلايوس تحقيق مصالحه على حساب بلاده ، جعلت مسألة تبعية الدولة النبطية لروما أمراً مقرراً لدى أغسطس [١] .

وفي الوقت الذي غادر فيه سيلايوس روما عائداً إلى بلاده ، بادر حارثه الرابع إلى استرضاء أغسطس بواسطة رسالة بعثها إليه . وكان مضمونها الأساسي اتهام الوزير سيلايوس بقتل الملك عبادة الثالث ، عن طريق دس السم له[٢] . ويذكرنا هذا الأمر بالنقشين اللذين خلفهما سيلايوس في مليطيه وديلوس في بداية رحلته إلى روما ، واللذين يلتمس فيهما مساعدة الآلهة لدعم الصحة والعافية للملك عبادة [٣] .

ومن ضمن التهم التي ضمنها حارثه الرابع في رسالته إلى الإمبراطور أغسطس ، قيام سيلايوس بقتل عدد من أشراف المملكة النبطية . ومن بينهم السيد سخيم Sohemus وفابتوس Fabatus خادم الإمبراطور أغسطس [٤] . ومن سوء حظ سيلايوس أن مبعوث الملك هيرود ويدعى نيقولاس الدمشقي أيد جانباً كبير من هذه التهم زيادة على مساهمة هذا الأخير في ترجيح كفه حارثه الرابع لدى أغسطس . الذي عدل عن موقفة السابق ، ووافق على تثبيت حارثه

1- Josephus. **A J.** 16.294. cf: : Bowersock . **Roman**..p.51.52 . Momigliano. **Herod**. p. 334. Anderson. **The Eastern**. p.254.

الشيبة ، محاضرات ، ص١٠٩ .إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٥٣.

2- Josephus. **A J**. 16.294–296 . cf:: Momigliano. op. cit. p.334. Bowersock. op. cit. p.52.

٣ - انظر الملحق الأول .

Bowersock, op. cit, p.51.

4- Josephus. **A J.** 16. 296 .cf : Bowersock , **Roman**, p.52 . Anderson.op.cit.p.254.

جواد علي ، المفصل ، ج٣ ، ص٤٠ . الشيبة ، محاضرات ، ص١٠٩.

على عرش المملكة النبطية . فقد تمكن نيقولاس الدمشقي من إعادة العلاقات الرومانية - الهيرودية إلى سابق عهدها [١] .

أما عن الكيفية التي تمكن بها نيقولاس هذا من تفنيد الاتهامات التي سبق أن وجهها سيلايوس ضد سيده هيرود ؛ فيذكر يوسفوس أن نيقولاس شرح للإمبراطور موضوع الحملة التي ادعى سيلايوس أن الملك هيرود شنها على بلاد الأنباط . ومما ذكره على لسان نيقولاس عن هذا الأمر قوله :"كان هناك قطاع طرق من الطرخونية ، ولم يكن عددهم يزيد في أول الأمر عن أربعين فرداً ، ولكن عددهم زاد بعد ذلك . ونجوا من الجزاء الذي كان هيرود ينوي إنزاله بهم ، ولجأوا إلى بلاد العرب (الأنباط) ، واحتضنهم سيلايوس ، وأمدهم بالطعام ، ومنحهم موطناً يقطنونه ، وكان له نصيب مما يكسبونه من أعمال السرقة [٢] .

ومما لا شك فيه أن حرص أغسطس على فرض الاستقرار في سورية ، كان العامل المباشر الذي جعله يغير رأيه في سيلايوس ، ويأخذ بأقوال كل من حارثه الرابع . ونيقولاس الدمشقي . ويقال إن سيلايوس قام عقب عودته إلى البتراء بعمليات اغتيال منظمة ضد كبار رجال الدولة النبطية ، وأن الملك هيرود الأدومي كان من بين الشخصيات الكبيرة التي حاول التخلص منها . ونتيجةً لشكاوى إضافية قدمت إلى حاكم سورية الروماني ساتورنينوس ، اضطر سيلايوس للعودة إلى روما حوالي عام ٦ق.م ، في محاولة لكسب ود أغسطس مرة أخرى لكن يبدو أن آماله في استعادة مكانته السابقة لدى الإمبراطور ، جعلته يخطئ التقدير . فبرغم من إنه لا يوجد أي شيء يشير إلى الانطباع الذي تركه سيلايوس لدى أغسطس في الرحلة الثانية إلا أن تعرضه للإعدام بأمر من الإمبراطور نفسه ، يوضح قطعياً أن أغسطس كان قد وصل إلى قناعة راسخة بصحة الاتهامات المنسوبة إلى هذا الوزير ، وأن بقاءه على قيد الحياة يعني خلق

1- Josephus. **A.J**.16.335-355. cf:: Momigliano, **Herod**. p.334. Bowersock. **Roman**. p.52.
2- Josephus. **A.J**.16.274-288.. cf:: Bowersock. op. cit. p.52. Momigliano. **Herod**. p.334.

المتاعب للرومان في سورية وشرقي الأردن . فكان من الطبيعي أن يبادر إلى إعدامه [1] .

ومن الشواهد المؤيده بأن إعدام سيلايوس كان لما سبق ذكره ، وليس بسبب مسؤوليته عن إخفاق حملة ايليوس جالوس حسب زعم سترابو ؛ أن الإعدام كان مصير الأفراد الذين يعرضون استقرار الحكم الروماني للاضطراب المستمر. وهو ما يبدو في أوضح صورة في اضطرار هيرود الكبير نفسه ، إلى تنفيذ حكم الإعدام بابنيه الكسندورس وارسطوبولس . اللذين تم اتهامهما من المحكمة الرومانية المشكّة بأمر أغسطس ، بمحاولة التآمر على والدهم هيرود الملك[2] . الذي لم يبق طويلاً بعد إعدام سيلايوس ، فقد توفي في ربيع عام ٤ق.م [3] .

وفيما يخص طبيعة العلاقات النبطية - الرومانية خلال هذه المرحلة من حكم أغسطس ، يمكن القول إنها استمرت على النمط الذي كانت عليه طوال مرحلة حكم الملك عبادة الثالث ووزيره سيلايوس ، وأبرز شاهد مؤيد لذلك يتمثل في مشاركة الأنباط في إخماد الثورة التي نشبت في فلسطين . عقب وفاة الملك هيرود الكبير . فلم يكن أمام حاكم سورية الروماني فاروس Varus من خيار آخر ، سوى استخدام القوة لاخماد الفتنة التي تفجرت داخل مدن المملكة اليهودية، وكان الملك حارثه الرابع في مقدمة الذين وقفوا إلى جانبه في هذه الظروف الخطيرة وقد فسر يوسفوس حماس الملك النبطي للمشاركة في اخماد

[1] Josephus. **A.J**.16.355. Strabo. 16.4.24. cf : Bowersock. **Roman** p.53 . Anderson. **The Eastern**. p.254.

الشيبة ، محاضرات ، ص١٠٩ .

[2] Momigliano. **Herod**. p.335.

أسد رستم ، عصر أوغوسطوس ، ص١٦٩ .

[3] Bowersock. **Roman**. p.53 . Momigliano, op. cit. p.336. Anderson. **The Eastern**. p.254.

الشيبة ، محاضرات ، ص١٠٩ .

ثورة اليهود، برغبته في التقرب للرومان بشكل أكبر ، والانتقام من الملك هيرود الكبير بمهاجمة بلاده بعد وفاته [١] .

وقد كلف فاروس قوات المشاة والفرسان النبطية التي انضمت إليه بتكليف من حارثه الرابع ، بمهاجمة مدينتي أروس **Arus** وسانفوا **Sampho** ورغم تميزهما بالحصانة إلا أن القوات النبطية تمكنت من اقتحامهما واحدة تلو الأخرى، واضرمت فيهما النيران ، إضافةً إلى أماكن أخرى تم الاستيلاء عليها بعد ذلك[٢] .

ومشاركة الأنباط في هذه العملية التي تمت في صيف سنة ٤ق.م. تدحض بشكل قاطع قول باورساك ، بأن عدم العثور على مسكوكات للملك حارثه في السنوات الثلاث الأخيرة من قبل الميلاد (٣-٢-١ ق.م) ، ربما يفسر ما ذكره سترابو من أن الأنباط كانوا في أيامه مثلهم مثل السوريين خاضعين للرومان[٣].

كما أن اعتماد باورساك غياب المسكوكات خلال تلك السنوات لا يعد شاهداً قوياً على حدوث اضطراب في العلاقات النبطية - الرومانية ، ولا سيما أنه (أي باورساك) يذكر في الوقت نفسه أن المسكوكات الخاصة بسنوات حكم حارثه الأول (سنوات ٩-٨-٧ ق.م) لم يعثر عليها حتى الآن ، كما هو حال سنة ١٧ م ومن الملاحظ أن باورساك يذكر هذه المعلومات في حاشية كتابه ، وليس في المتن الذي يبدو واضحاً أنه خصصه لسرد الوقائع الداعمة لرأيه سابق الذكر . ومما يزيدنا شكاً في موضوعية طرحه ، إغفاله التام الحديث عن مشاركة الأنباط في اخماد ثورة اليهود في عام ٤ ق.م . فكتابات يوسفوس التي اعتمد عليها بشكل مكثف في كتابه **Roman Arabia** لم تعد مقبولة لديه . لأنها لم تعد

1- Josephus, **A J.** 10. 17. cf : Momigliano. **Herod**. p.337.338.

أسد رستم ، عصر أوغوسطوس، ص١٧٣ . جواد علي ، المفصل، ج٣، ص٤٣.

2- Momigliano. **Herod**. p.338.

جواد علي ، المفصل، ج٣ ، ص ٤٣ .

3- Bowersock . **Roman**. p.54 – 56.

أسد رستم ، عصر أوغوسطوس، ص١٧٣ .

تستند إلى رواية نيقولاس الدمشقي المفصلة ، ولهذا فإنها غير موثوق بها تماماً فيما يتعلق بالعلاقات بين العرب واليهود " [1].

والأهم من ذلك أن باورساك لم يشر من قريب أو بعيد إلى أن رواية سترابو الأصلية تقرن ذكر الأنباط بالسبئيين ، وتقول إن الشعبين معاً أصبحا في الوقت الحالي (زمن سترابو) خاضعين للرومان كما هو حال السوريين [2] .

ومن الملاحظ أن قول سترابو السابق يرد تمهيداً لحديثه عن حملة ايليوس جالوس على العربية السعيدة ، وهو ما يفسر سبب اقتران ذكر الأنباط بالسبئيين في الموضوع السابق ، وإلى أي حد كان سترابو مبالغاً عندما قال إن الشعبين كانا خاضعين لهيمنة الرومان مثلهم مثل السوريين [3] .

فلو توقف باورساك (وغيره من المؤرخين) عند هذه النقطة ، لما احتاج إلى طرح فرضية أن مملكة الأنباط ألحقت بروما لمدة قصيرة من حكم حارثه ، ثم اعيدت لاحقاً ولاية موالية للرومان ، ابتداءً من العام الأول بعد الميلاد . وقوله إن هذا الأمر ربما كان نتيجة مباشرة لحملة جايوس قيصر Gaus Caesar حفيد أغسطس[4] . الذي يذكر بليني أنه نظر إلى شبه الجزيرة العربية ولكنه لم يحاول المسير إليها ورجع من العقبة[5] ، مما دعا البعض ومنهم باورساك للاعتقاد بأن الحملة العربية (Arabic expedition) المنسوبة إلى جايوس هذا تمت ضد العربية الصخرية (بلاد الأنباط) وليس العربية السعيدة [6] .

وبناءً على ما سبق ذكره يمكن القول إن مشاركة الأنباط في إخماد ثورة اليهود ، قد مكنت الملك حارثه الرابع من إعادة العلاقات النبطية الرومانية إلى

---

[1] Bowersock . **Roman**, p.54 – 56.

[2] Strabo. 16.4.21 .

أسد رستم ، عصر أوغوسطوس ، ص١٧٣ .

[3] Strabo. 16.4.21.22 .

[4] Bowersock . **Roman**, p.54 – 56.

[5] Natural History. XI.160 .

[6] Bowersock . **Roman**, p.58.

الوضع التي كانت عليه قبل وفاة الملك عبادة الثالث . وإن إعدام أغسطس للوزير سيلايوس ، ووفاة الملك هيرود الأدومي ، كانت من بين العوامل التـــي ســـاعدت الملك النبطي في إبقاء علاقة الموالاة والتحالف مع الرومان على حالها إلـــى مـــا بعد عهد الإمبراطور أغسطس الذي كانت وفاته في عام ١٤م. (١) .

---

[1] Bowersock . **Roman**. p.45.

أسد رستم ، **عصر أوغوسطوس** ، ص١٧٦ .

الفصل الثالث

علاقة الأنباط بالرومان حتى عام ٧٠م

الفصل الثالث

علاقة الأنباط بالرومان حتى عام ٧٠م

كانت الأحداث التي مر بها الملك حارثه الرابع خلال الأربعة عشر عاماً التي سبقت وفاة أغسطس ، كافية لصقل قدراته السياسية ، ومعرفة العوامل المؤثرة في استقرار العلاقات النبطية – الرومانية . وأبرز شاهد على ذلك إدراكه لأهمية الاتصال المباشر بالرومان ، وتوثيق علاقات الأنباط بملوك اليهود الأدوميين . وإذا كان الوزير سيلايوس قد حصد الفشل عند محاولته استثمار هذين الأمرين في تحقيق طموحاته الشخصية ، فإن النتيجة التي انتهت إليها الخطوات التي اتخذها حارثه الرابع بهذا الصدد كانت إيجابية جداً ، ولا سيما فيما يخص محاولته الإبقاء على حالة الاستقرار التي اتسمت بها علاقة الأنباط بالرومان ، خلال عهد الإمبراطور أغسطس . وكانت وسيلته في تحقيق هذه الغاية ، إظهار ابتهاجه وقومه بتولي تيبيريوس (١٤ – ٣٧م) Tiberius مقاليد الأمور في الامبراطورية الرومانية . ومما يذكر عن هذا الأمر أنه أقام مأدبة (في روما) على شرف الامبراطور الجديد ،وفيها قدم الهدايا تيجانا من الذهب[١].

وقد مكنته مبادرته هذه من تعميق علاقته بالإمبراطور تيبيريوس ، الذي يذكر أنه كان متشككاً في نوايا حارثه الرابع ، وأنه فكر في ضم بلاد الأنباط إلى

1- Josephus.**AJ**. 18.109.cf: :Bowersock, **Roman**, p..50,51,59. Charles Worth. M.P: **Tiberius**, C.A.H -.vol..X- Cambridge1976, p.607.

أسد رستم ، **عصر أوغوسطوس** ، ص١٧٦ . الشيبة ، **محاضرات** ، ص١١٣. إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط**. ص٦٤.

الإمبراطورية ، وإنشاء ولاية بلاد العرب ، بما يحقق فرض السيادة الرومانية ، على طريق القوافل التي كانت تربط البتراء بميناء لوكى كومى . وبرغم أنه لم يحدد الوقت الذي راودت فيه تيبريوس هذه الأفكار ، إلا أن مقولة إن علاقة الصداقة التي كانت تربطه بالملك النبطي (حارثه الرابع) ، وحرصه على مواصلة إتباع سياسة أغسطس ، كانت في مقدمة الأسباب التي دفعته للتراجع عن تنفيذ هذه الأفكار ، تقودنا إلى الاعتقاد بأن الأمر كان في المرحلة التي كان تيبيريوس يعد نفسه فيها لاعتلاء العرش ، وهو ما يفسر من ناحية أخرى مبادرة حارثه الرابع إلى الاحتفاء بالإمبراطور الجديد ، ومغالاته في نوعية الهدايا التي قدمها أثناء حفل التتويج[1].

وقبل الحديث عن الخطوات الاحترازية التي رأى حارثه الرابع ضرورة اتخاذها في ظل التهديد الروماني المستمر لسيادة المملكة النبطية ، يجدر بنا الإشارة إلى أن المصالح العامة والخاصة اقتضت من هذا الملك النبطي تزويج إحدى بناته (يرجح أن اسمها سعدة)[2] بالملك الأدومي هيرود انتيباس Herodes Antipas "صاحب الجليل" . ويمكن القول إن علاقة المصاهرة هذه كانت من أهم الخطوات السياسية التي اتخذها حارثه الرابع طوال مدة حكمه . ومصدر أهميتها نابع من أنها أعطت الأنباط فرصة حقيقة لتفادي النزاعات المستمرة التي كانت تقود بينهم وبين اليهود من وقت لآخر[3] كما أنها جنبت في الوقت نفسه الملك حارثه الرابع احتمال عودة العلاقات النبطية – الرومانية إلى الوضع الذي كانت عليه في بداية عهده ، والذي لم يتمكن من تجاوز مخاطرها. إلا بعد أن وضع الإمبراطور أغسطس حدا للصراع الذي كان دائراً بين الوزير

١- سيد الناصري ، الرومان والبحر الأحمر ،ص٥٦.

٢- يرد ذكر هذه الابنة في أكثر من نقش نبطي وأهمها النقش المؤرخ إلى السنة التاسعة والعشرين من حكم حارثه الرابع والذي يتضمن اسماء جميع أبناء هذا الملك النبطي . انظر : Bowersock,**Roman** p. 59. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٦٢ .

3- Josephus,**A.J**.18.109.cf : Bowersock,**Roman**,p.59. الشيبة ، محاضرات ، ص١١٣. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٦٤.

سيلايوس والملك هيرود الكبير ملك اليهودية الذي يذكر يوسفوس أن أغسطس الغاضب من اعتلاء حارثه الرابع العرش دون إستئذانه فكر في ضم المملكة النبطية بأكملها إلى هيرود الكبير . وإن حالة الفوضى الداخلية التي كانت عليها بلاد هذا الملك الأدومي ، وقفت حائلا دون تنفيذ هذه الفكرة ، واضطرت الإمبراطور أغسطس إلى القبول بالأمر الواقع بالنسبة لمسألة اعتلاء حارثه الرابع عرش المملكة النبطية[١].

وبالرغم من أن الخطوات التي اتخذها حارثه الرابع منذ بداية عهده قد ساهمت في تراجع الرومان عن فكرة ضم بلاده إلى الامبراطورية الرومانية، كان هذا الملك النبطي يدرك أن بلاده ستظل مطمعا دائما لأباطرة روما ، وأنه لن يكون بمقدور الأنباط التصدي للرومان إذا ما حاولوا الاستيلاء على الطريق التجاري الواصلة بين ميناء لوكي كومي والبتراء ، وفرض سيطرتهم التامة على التجارة في البحر الأحمر . ولذلك عمل جاهدا على تجنيب بلاده عواقب هذا الأمر، عن طريق إيجاد بدائل لمقر الحكم ، وطريق التجارة . ومصادر الدخل المادي[٢].

وإذا ما تطرقنا إلى مسألة إيجاد مقر بديل للحكم فيبدو أن الملك حارثه الرابع لم يجد أنسب من منطقة الحجر (مدائن صالح) ، سواء كان ذلك من الناحية الحربية أم التجارية . صحيح أنه لم يكن هناك موقع في بلاد الأنباط بمثل حصانة البتراء ، غير أن وقوع الحجر في أقصى جنوب بلاد الأنباط ، ومشابهتها لطبيعة البتراء الصخرية الجبلية ، كان من بين العوامل التي دعت حارثه الرابع إلى الاعتقاد بأن الوصول إليها سوف يكون عصياً على الرومان ،

1- Josephus.**A J**.16.355.

2- Bowersock.**Roman**.p.57.

الشيبة ، **محاضرات** ، ص١١٠، ١١١. إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٠، ٦١.

فيما لو حاولوا تحقيق أطماعهم السابقة . ولاسيما بعد المشاق العظيمة التي لقيها ايليوس جالوس أثناء محاولته الوصول إلى جنوب بلاد العرب ، والفشل الذي آلت إليه هذه الحملة الرومانية[1].

أما من الناحية التجارية ، فقد كانت منطقة الحجر قائمة على طريق التجارة الرئيس القادم من جنوب وشرق الجزيرة ، والذي كان يتفرع بعد وصوله إليها إلى فرعين رئيسين ؛ أحدهما يتجه إلى الشمال مباشرة ويتفرع بدوره عند تبوك إلى فرعين ، يسير أحدهما نحو البتراء ، والآخر نحو غزة وسيناء ، في حين يتجه الفرع الرئيس الثاني من الحجر . نحو تيماء ، ودومة الجندل ، ومنها إلى بلاد الرافدين[2].

وتنبغي الإشارة في الوقت نفسه إلى الميناء الذي أطلق عليه سترابو اسم "أجرا كوما" ورجح بعض المؤرخين أنه تابع للحجر استدلالا بالمسمى[3].

وقد ربط باورساك بداية اهتمام الملك حارثه الرابع بتكثيف الوجود النبطي في منطقة الحجر ، بالمتاعب التي لقيها هذا الملك النبطي في بداية علاقته بالإمبراطور أغسطس . ويؤكد أن النمو العمراني المفاجئ الذي شهدته هذه المنطقة ، يقود إلى الافتراض بأن حارثه أرسل المستوطنين إليها لخلق مكان

1- Bowersock.**Roman**.p.57,58.

الشيبة ، **محاضرات** ، ص١١٠ ، ١١١ ، الأنصاري ، **العلا ومدائن صالح** ، ص٥٣ . إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ،ص٥٩.

2- Graf .D.F: **Nabataean Settlements,and Roman – Occupation in Arabic Petraea** - S.H.A.J- IV- Ammen .p.253.

الأنصاري ، **العلا ومدائن صالح** ،ص٥٠.

3- Strabo.16.4.24, 25. cf: Bowersock.**Roman**.p.57.

صالح للتقهقر نحو الحجاز ، فيما لو واصل الرومان عمليــة الاســتيلاء علـــى مناطق شرق الأردن[١].

وما يهمنا قوله إن اهتمام الملك حارثه الرابع بمنطقة الحجر ، استمر إلى نهاية عهده ، الذي دام قرابة نصف قرن من الزمن . وإضافةً إلى أنه حــرص على تعميق الوجود النبطي فيها ، وتحويلها من مجرد محطة تجارية بسيطة إلى مدينة كبيرة ، فقد عمل على إضفاء الطابع الحربي عليها . ومما يؤيد هذا الأمر أن الجزء الأكبر من مقابرها ، اتخذ مدافن لعسكريين ، وضباط من رتب مختلفة ؛ كقائد مئة conturion ، وقائد ألف achiliarch ، وقائد لواء Hipparch ، وقائد أعلى Strategos[٢].

وقد حاول هذا الملك النبطي تخليد الحركة العمرانية التي أجراها في منطقة الحجر ، وتمثل ذلك في إصدار نقد على أحد وجهيه صورته ، وعلى الأخر رسم لم يكن تحديده ممكنا ، وتحته لفظه " حجرا "[٣].

وفيما يخص الإجراءات التي اتخذها حارثه الرابــع للتقليــل مــن شــأن السلبيات والمخاطر التي يمكن أن تلقى بظلالها على تجارة الأنباط ؛ في حال نفّذ الرومان تهديداتهم ، باستخدام القوة العسكرية للسيطرة علـــى طريــق البتــراء

1- Bowersock.**Roman**.p.57.

2- Bowersock.**Roman**.p.57.

الشيبة ، محاضرات ، ص١١٠. عجلوني ، حضارة الأنباط ،ص١٤٠-١٤٧. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط. ص٥٩ . الأنصاري ، العلا ومدائن صالح ،ص٥٣.

3- Bowersock.**Roman**.p.60

الشيبة ، محاضرات ، ص١١٢ . فرج الله يوسف ، مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام ، ص٩١ . إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ،ص٦١ . الأنصاري ، العلا ومدائن صالح ،ص٦٣.

ولوكي كومى التجارية ، فقد وجه اهتمامه نحو وادي السرحان ، الذي كان يشكل الطريق الصحراوي الرئيس ، الواصل بين شبه الجزيرة العربية وسورية. ويعيد باورساك بداية اهتمام حارثه الرابع بتدعيم الوجود النبطي في واحة الجوف ، (الواقعة في نهاية وادي السرحان الجنوبية) إلى الحقبة الوسطى من حكم أغسطس[١] . وكما هو الحال بالنسبة لمنطقة الحجر فإن إقامة الأنباط لمعسكر حربي في هذه الواحة (الجوف) ، مسألة دلت عليها إشارة نقوشها ، إلى كثرة ذوي الرتب العسكرية فيها ، وإشارة أحدها إلى وجود آمر معسكر تحت لقب (رب مشريتا) وهو النسخة الجزرية لكلمة ستراتيجوس التي تظهر بصيغة سامية أخرى هي " ا س ر ت جـ ا "[٢].

وبالنظر إلى وجود اتصال مباشر بين مدينة بصرى ونهاية وادي السرحان الشمالية ، فالراجح أن اهتمام حارثه الرابع بتأمين هذه المنطقة . كان يستهدف تمكين التجارة النبطية من الوصول إلى سورية ، دون الحاجة إلى المرور بالمنطقة الواقعة شرق الاردن ، التي قد تفكر روما ذات يوم في ضمها إلى ولاية سورية الرومانية . فقد كان في وسع التجار الوصول إلى بصرى . إنطلاقا من أثرا الواقعة شمالي وادي السرحان ، والمراكز النبطية التي تليها وخاصة أم الجمال[٣].

1- Bowersock.**Roman**.p.154.

الشيبة ، محاضرات ، ص١١٢ . إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ،ص٦٠.

2- Bowersock.**Roman**.p.58.154.

الشيبة ، محاضرات ،ص ١١١. عجلوني ، حضارة الأنباط ،ص١٣٦ . إحسان عباس، تاريخ الأنباط ،ص٦٠.

3- The Biblical **Archaeologist**- A.S.O- .vol – XVI- New Haven1955. p.103.
Bowersock.**Roman**.p.155.

الشيبة ، محاضرات ، ص ١١١. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط، ص٦٠.

وقد ربط البعض بين هذا الأمر وحالة النماء المتزايدة التي شهدتها بصرى خلال هذه المرحلة والمراحل التي تلتها[١].

ومن ناحية أخرى فمما لا شك فيه أن اهتمام الملك حارثه بمنطقة الحجر ووادي السرحان ، ساهم بشكل غير مباشر في تزايد اهتمام الأنباط بالطريق التجارية المتجهة من الحجر صوب بلاد العراق ، مرورا بتيماء وأطراف وادي السرحان ، والمتصلة بطريق الخليج العربي الساحلية[٢].

وإلى جانب اهتمامه بإيجاد مقر حكم بديل وطرق تجارية لا يستطيع التمرس بها سوى الأنباط أنفسهم ، فقد سعى الملك حارثه الرابع بكل جهده إلى أن يوفر لشعبه استقراراً زراعياً يكفل له وسائل العيش في حال نضبت مصادر التجارة ذات يوم ، ولا سيما أن الطريق التجارية البديلة لم تكن كافية لإعالة الشعب النبطي بأكمله . فكان من الطبيعي أن يبادر هذا الملك النبطي الموصوف في النقوش النبطية بأنه " راحم عمهو " محب أمته " إلى إتباع الخطوات العملية الكفيلة بتوفير مصادر دخل بديلة للموارد المادية العائدة على الأنباط من ممارسة التجارة[٣].

وقد اقتضت هذه المسألة من حارثه الرابع العمل على تعميق الوجود النبطي في المراكز الرئيسة الصالحة للزراعة ، وتطوير أنظمة الري المستخدمة

1- Bowersock.**Roman**.p.73.

إحسان عباس ، المرجع السابق ،ص٦٠.

٢ – الهاشمي ، **أثار الخليج العربي والجزيرة** ،ص١٩٩.

3- Bowersock.**Roman**.p.59.64. The Biblical.p.103.

الشيبة ، **محاضرات** ، ص١١٢. عجلوني ، **حضارة الأنباط** ،ص٧٣ . إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٠ ، ٦١.

في هذا المجال . وهو ما تم فعليا في كل من عبده وممبيس (كرنب)، وخلصة ، وسبتة ، ونصتان ، والمواقع النبطية التي كانت منتشرة بين البتـراء وغـزة . ويستدل على ذلك من السدود ، والقنوات ، والأحواض ، والصهاريج ، التي عثر على آثارها في هذه المناطق ، والتي تشير بدورها إلى مبلـغ اهتمـام الأنبـاط بالمياه ، ووسائلهم في حفظها ، والتحكم بها في شؤون الـري ، ومحـاولتهم استصلاح السفوح والمنحدرات ، وكل جزء من أراضيهم الصـالحة للزراعـة . وأبرز مثال يوضح هذه الحالة يتمثل في اكتشاف آثار نظام ري متطـور ، فـي موضع القرية الحجازية القريبة من منطقة الحجر[١].

غير أن اهتمام حارثه الرابع بالزراعة ، لم يؤثر كثيرا في نشاط الأنبـاط التجاري الخارجي ، الذي شهد تناميا مطرداً . ووصلت تجارة الأنباط العالميـة خلال عهده إلى قمة ازدهارها وذلك ما يتأكد من حجم النقوش التذكاريـة التـي خلفها التجار الأنباط في أجزاء مختلفة من العـالم القـديم ، كايطاليـا ، وبـلاد اليونان ، وآسيا الصغرى ، ومصر ، ونصيبين ، وشمال سوريا ، وشبه الجزيرة العربية[٢].

وقد ظلت العلاقات النبطية الرومانية على حالة الاسـتقرار مـدة ٣٨ عامـا كاملة . وكانت حكمة الملك حارثه الرابع في مقدمة العوامل التي كان لها الفضـل في بقاء العلاقات بين الجانبين على هذا النحو ، طيلة تلك السـنوات . فبـرغم أن

---

[١] Bowersock.**Roman**,p.60,64.

الشيبة . محاضرات ، ص١١١، ١١٢. عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص١٩٤-١٩٦. إحسان عباس، تاريخ الأنباط ، ص٦٠.

[٢] – عجلوني،حضارة الأنباط،ص٧٣. فيليب حتي، تاريخ سورية،ج١،ص٢٥ .إحسان عباس،تاريخ الأنباط ،ص٦٢.

علاقته بصهره هيرود انتيباس صاحب الجليل الأدومي قد عادت للتوتر ابتداء من سنة ٢٧ ميلادية ، وهي السنة التي يقال إنها شهدت هروب ابنته سعدة إلى البتراء، بعد اكتشافها علاقة العشق التي بين زوجها هيرود انتيباس ، وهيروديا امرأة فيليب الأدومي ، وهو أخ غير شقيق لهيرود سابق الذكر حاكم حوران واللجا وجبل الدروز[١]. إلا أن حارثه الرابع لم يبادر إلى مهاجمة صهره ، إلا بعد مضي عدة أعوام على وقوع هذه الحادثة ، التي اختلف المؤرخون المحدثون في رواية بعض تفاصيلها . فبينما يقول البعض إن هيرود انتيباس قام بطرد ابنة الحارثه ، وأنه من أرجعها إلى أبيها ، كيما يفسح المجال لتعميق علاقة العشق التي ربطته بهيروديا ، (التي يقول هؤلاء إنها كانت ابنة أخيه)[٢] ويقول البعض الآخر وهم الأغلبية إن هيروديا أحبت هيرود انتيباس ، وطمعت بما لم يكن لزوجها الشرعي فيليب من مال وجاه وسلطة . ويقال إنها اشترطت عليه افتراقه عن ابنة حارثه ، أو تخلصه منها بأية طريقة كانت . فلما علمت الأميرة النبطية بما يدبره زوجها ، فرت خلال الليل إلى بلاد أبيها . وتم لها ذلك بمساعدة الحكام التابعين لأبيها ، والذين تكفل كل واحد منهم بتزويدها بحماية توصلها بأمان إلى نهاية منطقته ، وكانت قلعة المكاور **Machaerus** بمثابة الحد الفاصل بين أملاك زوجها وأملاك أبيها ، فسعت جاهدة للوصول إلى هذه القلعة قبل أن يدركها الطلب . ولدى وصولها إلى البتراء ، كشفت لأبيها عن الأمر فغضب غضباً شديداً ، وأضمر في نفسه نية الانتقام من هيرود انتيباس[٣].

1- Josephus. **A.J**. 18 . 109-111.
جونز ، مدن بلاد الشام ، ص١١٩ . أسد رستم ،عصر أوغوسطوس ، ص١٦٨ ، ٢٠٩ . إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ،ص٦٤.

2- Bowersock,**Roman**,p.65.
3- Josephus. **AJ**. 18 . 109- 112 .
الشيبة ، محاضرات ،ص ١١٣ جونز ، مدن بلاد الشام ،ص١١٩ . رستم، عصر أوغوسطوس ،ص١٦٨ . إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٦٤.

ومع أن القول الأخير يعد الأقرب للصواب ، نجد هناك من يرى أن قلعة المكاور المذكورة كانت تابعة لهيرود انتيباس[1] ، وأن هذا الأخير اتخذها مقرا له ، ولعشيقته هيروديا . وعندما حاول النبي يحيى بن زكريا "يوحنا المعمدان" (عليه السلام) ، منعه من الزواج بها ، لما في ذلك من مخالفة للشريعة اليهودية، ألقي به في سجن هذه القلعة ، التي يقال أيضا إنها شهدت قيام هيرود انتيباس بقطع عنق النبي يحيى بن زكريا (ع) ، استجابة لرغبة عشيقته هيروديا[2].

وفي ظل غموض رواية يوسفوس[3] عن هذه الحادثة فالأرجح أن هيرورد انتيباس لم يقدم على الزواج من هيروديا قبل حلول عام ٣٤ م ، وهو العام الذي شهد وفاة زوجها فيليب حاكم حوران و اللجا وجبل الدروز[4] . ومما لاشك فيه أن إقدام الإمبراطور تيبيريوس على ضم أملاك هذا الأخير إلى ولاية سورية الرومانية ، والتوتر الذي شهدته علاقة هيرود انتيباس بحاكم سورية الروماني فيتليوس (٣٥-٣٩م) Vitellius ، كانت في مقدمة العوامل التي دفعت حارثه الرابع للبدء بتصفية حساباته مع هيرود انتيباس[5].

وقد تمكن الملك حارثه من استدراج خصمه إلى منطقة جملة Gamalites، الواقعة شمال اليرموك ، والتي كانت في الأصل جزءاً من أملاك فيليب الأدومي . فما أن علم هيرود انتيباس بتقدم القوات النبطية نحو هذه

1- Momigliano...**Herod of Judae**,p327. 328.

جونز ، مدن بلاد الشام، ص١١٩ .هاردنج ، آثار الأردن، ص١٢٠.

2 - الكتاب المقدس ، [ط.ك] ، أنجيل مرقس ، ف٦/آية ١٧-٢٥/ ص٦٨. أنظر أيضا : هاردنج ، آثار الأردن ، ص٥٢ ، ١٢٠ . رستم ، عصر أوغوسطوس ،ص٢٠٩.

3- Josephus.**A J**.18.109-116.

4- Bowersock,**Roman**.p.65. CharlesWorth .**Tiberius**, p.649.

رستم ، عصر أوغوسطوس ، ص ٢١٠ . إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ،ص٦٤.

5- Josephus.**A.J**.18.96-115 . cf: Bowersock.**Roman**,p.65.66. CharlesWorth. **Tiberius** , p649.

جونز ، مدن بلاد الشام، ص٨٦ . رستم ، عصر أغوسطوس ،ص٢٠٩، ٢١٠.

المنطقة ، حتى بادر إلى مواجهتها[١] . ويذهب باورساك إلى أن هدف حارثه من التحرك شمالا لم يكن يقتصر على مسألة تهديد هيرود انتيباس ، وأن الملك النبطي كان يقوده تحركه هذا إلى استعادة مواقع ذات تقاليد نبطية ، مثل السويداء ، وقنوات ، وسيع في حوران[٢].

وبالرغم من أن قوات هيرود انتيباس كانت مدعمة بالجنود الذين كانوا ضمن جيش أخيه فيليب المتوفي ، غير أن النصر في المواجهات التي دارت بين الجانبين في منطقة جملة ، كان من نصيب الجيش النبطي ، الذي تمكن من دحر قوات هيرود انتيباس بعد وقت قصير من بدء المعركة . ويبدو أن أتباع فيليب الأدومي كانوا غير راضين عن هيرود ، فما أن أدركوا أن مجريات الأمور تتجه نحو رجحان كفة الأنباط ، حتى اتخذوا قرارهم بالانحياز إلى الجيش النبطي . وقد اتخذ يوسفوس هذه المسألة نقطة ارتكاز ، في محاولته تبرير أسباب الهزيمة الساحقة التي لحقت بالجيش اليهودي في هذه الموقعة . ويؤكد يوسفوس في الوقت نفسه أن أتباع هيرود انتيباس نفسه كانوا يعتقدون أن الهزيمة التي حلت بهم لم تكن سوى عقوبة من العناية الإلهية لهيرود ، لقتله يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) (ع)[٣].

وما يهمنا من هذا الأمر أن هذه الهزيمة الساحقة اضطرت هيرود انتيباس إلى تقديم شكوى رسمية إلى الإمبراطور تيبيريوس . ومع أننا لا نعلم يقينا فحوى هذه الشكوى إلا أن ردة فعل الإمبراطور الروماني الغاضبة تؤكد أن

1- Josephus.**A J**.18.106- 109. cf: Bowersock,**Roman**.p.65.
رستم ، عصر أغوسطوس ، ص٢١٠ . إحسان عباس، تاريخ الأنباط ،ص٦٥. جواد علي، المفصل ،ج٣، ص٤٣.

2- Bowersock,**Roman**.p.66.

3- Josephus .**A J**.18.112-114.cf: Bowersock,**Roman**.p.65. 66.
الشيبة ، محاضرات ، ص١١٤ .

هيرود انتيباس أظهر نفسه بمظهر المدافع عن ملكية الإمبراطورية الرومانية للمناطق التي كان فيليب الأدومي قد خلفها ، وأن ما حدث لم يكن إلا نتيجة لمحاولته منع الملك النبطي من تحقيق أطماعه في تلك المناطق ، فكان من الطبيعي أن يأمر الإمبراطور تيبيريوس ، حاكم سورية فيتليوس ، بوجوب الاقتصاص من الملك حارثه ، وإرساله إلى روما في الأغلال أو إرسال رأسه في حال تعذر القبض عليه حيا[1].

وبرغم التردد الذي أظهره فيتليوس تجاه هذه الأوامر الصارمة في بداية الأمر ، فقد بادر بعد ذلك إلى تجهيز فرقتين من الفرسان وتوجه إلى عكا قاصداً اختراق اليهودية إلى بلاد الأنباط . لكنه ماكاد يصل إلى عكا حتى قابله فيها وفد من اليهود الغاضبين من اجتياز قواته أراضيهم ، وهي ترفع أعلاما عليها صور "محرمة" . فقرر عندئذ اتخاذ طريق الجليل الأسفل الساحلي المؤدي إلى شرق الأردن . ويبدو أن هيرود انتيباس أقنعه بترك الجيش والسير معه إلى القدس ، حيث يذكر يوسفوس أنهما وثلة من أصدقاء هيرود انتيباس ، عرجوا على القدس لشهود عيد الفصح اليهودي الموافق سنة ٣٧ميلادية . وربما كان هدف هيرود انتيباس من هذا الأمر إزالة آثار سوء التفاهم الذي خلفه مرور القوات الرومانية بأراضي اليهودية[2].

وفي الوقت الذي كان ما يزال فيه فيتليوس في القدس حمل إليه بريد روما نبأ وفاة الإمبراطور تيبيريوس [3] ، ونظراً لأن هيرود أنتيباس كان يستمد نفوذه من علاقة الصداقة التي كانت تربطه بهذا الإمبراطور لم يكن هناك ما يمنع حاكم

---

[1] Josephus .**A J.**18.115.cf: CharlesWorth. **Tiberius**.p. 649. Bowersock **,Roman,**p.67.
الشيبة ، **محاضرات**، ص١١٣ . رستم، **عصر أغوسطوس** ،ص٢١٠ .جواد علي **،المفصل** ج٣، ص٤٤،٤٣.
إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٤.

[2] Josephus .**A J**.18.110-120.124 . cf: CharlesWorth.**Tiberius** p. 649. Bowersock,**Roman,**p.67.
الشيبة ، **محاضرات** ، ص١١٤. رستم ، **عصر أغوسطوس** ،ص٢١٠ . جواد علي ، **المفصل**،ج٣،ص٤٤ .
إحسان عباس، **تاريخ الأنباط** ،ص٦٥.

[3] Dio Cassius. **Roman,** 58. 28 .

سورية من التراجع عن مهاجمة بلاد الأنباط ، وإعادة قواته إلى ثكناتها[١]. ومن الطريف أن كهان الملك حارثه كانوا قد أبلغوه أن قوات هذه الحملة الرومانية لن تصل إلى البتراء[٢].

ومن حسن حظ الأنباط أن الإمبراطور الجديد جايوس قيصر كاليغولا (٣٧-٤١ ق.م) **Gaius Galigula** كان يمتلك رؤيا مختلفة عن تلك التي كان سلفه المتوفي قد اعتمدها في تعامله مع الأنباط وولايات الشرق الرومانية . فقد بدأ جايوس حكمه بتخليص روما وولايات الإمبراطورية من قيود تيبيريوس وسمح بعود المنفيين ، ونشر بعض الكتب "المحرمة" ، وألغى ضريبة البيع ، وأغدق العطاء للجيش [٣].

ومما ساعد الأنباط في التخلص من التهديد الذي كان يشكله هيرود انتيباس ، أن هذا الأخير كان معادياً لأجريبا الأول ، شقيق امرأته هيروديا ، والذي كان في الوقت نفسه من الشخصيات التي أظهرت مساندتها لجايوس قبل توليه العرش . وأدى به موقفه هذا إلى أن يأمر الإمبراطور تيبيريوس بسجنه في ثكنة الحرس الإمبراطوري . فلما تولى جايوس زمام الأمور، أطلق سراحه، ودعاه إلى البلاط ، وألبسه شارة الملك ، واستبدل قيده الحديدي بسلسلة من الذهب . وبعد أن منحه أملاك عمه فيليب الأدومي الجولانية سمح له بالعودة إلى الشرق[٤].

1- CharlesWorth. **Tiberius.** p. 649. Bowersock.**Roman**.p.67.

رستم ، **عصر أغوسطوس** ،ص٢١٠.

٢ – الشيبة ، **محاضرات** ، ص١١٤ ،إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٥.

3- Dio Cassius.59. 1-9. 12. cf: CharlesWorth. **Tiberius**. p. 643. Anderson.J.G.C: **The Eastern Frontier From Tiberius To Nero** - C.A.H- vol. X- Cambridge1976..p.750 .

رستم ، **عصر أوغوسطوس** ،ص١٨٤.

4- Dio Cassius.59. 8 . Josephus .**A J**.18. 237. cf: CharlesWorth. **Tiberius**, p. 642. Anderson. **The Eastern**, p.751. The Biblical, p.100.

جونز ، **مدن بلاد الشام** ،ص٨٦ . رستم ، **عصر أوغوسطوس** ،ص٢١١.

وبرغم مما سبق ذكره فقد حاول هيرود انتيباس تغيير موقف الإمبراطور من أجريبا الأول ، لكن صهره اليقظ لم يمكنه من تحقيق هذا الأمر ، فما لبث أن كلف هذا الأخير (أي أجريبا) أحد أتباعه ويدعى فورتونة **Fortunat** بالسفر إلى روما بعد وقت قصير من رحيل هيرود انتيباس إليها . وقد تمكن فورتونة هذا من اللحاق بهيرود ، ومقابلة الإمبراطور جايوس في المقر الإمبراطوري في بايس **Baies** . وبعد أن تقدم إلى الإمبراطور بالرسالة والهدايا التي كلف بإيصالها . أدعى باسم سيده أجريبا أن هيرود انتيباس لم يكن مخلصاً للعرش الإمبراطوري ، ودلل على ذلك بقوله بوجود تفاهم بين هيرود انتياس وارطبان **Artbanus** ملك الفرث ، وبأن كمية الأسلحة التي عثر عليها داخل أقليم هيرود تكفي لتجهيز سبعين ألف مقاتل . فأمر الإمبراطور جايوس بنفي هيرود انتيباس إلى أسبانيا ، وإلحاق ممتلكاته بمملكة أجريبا الأول ، ابتداء من عام ٣٩م(١).

وفيما يخص الأنباط فقد تعددت الآراء في تفسير الظروف التي مكنتهم من استعادة مدينة دمشق مرة أخرى ، وهي الحادثة التي أكدتها مقوله بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنتس بأن "الحاكم الذي أقامه الملك حارثه على ولاية دمشق ، شدد الحراسة على مدينة دمشق رغبة في القبض عليّ ، ولكني تدليت

---

(١) Josephus ,**A J**.18. 240-255. cf: Bowersock, **Roman**.p.696. CharlesWorth,M,P: **Gaius and Claudius** -C.A.H- vol. X- Cambridge1976, .p.662.

جونز ،مدن بلاد الشام، ص٨٦ . جواد علي، المفصل،ج٣، ص٤٤. رستم ،عصر أوغوسطوس،ص٢١١.

في سلة من نافذة في السور ، فنجوت من يده"[1] . ونظراً لأن حكم حارثه الرابع امتد إلى سنة ٤٠ميلادية ، لا يوجد اختلاف يذكر بين المؤرخين على أنه المقصود بالإشارة في هذه الرواية ، التي لم يكن من مهامها تحديد الظروف التي ساعدت الأنباط في استعادة المدينة نفسها . الأمر الذي أعطى مجالاً لتعدد الآراء حول هذه المسألة ، فالبعض يرى أن العملية تمت بعد الانتصار الكبير الذي حققه حارثه الرابع على حساب هيرود انتيباس في موقعة جملة – سابقة الذكر – ويقول هؤلاء إن تدخل الرومان ربما أغضب الملك حارثه الرابع ، فاندفع نحو دمشق وقام بالاستيلاء عليها[2].

في حين يرى البعض الآخر أن دخول دمشق تحت السلطة النبطية كان بموافقة الرومان ، وأن الإمبراطور جايوس هو من قام بإرجاعها إليهم ، وإلا لما توقفت مدينة دمشق عن إصدار النقد الإمبراطوري مع بداية عهده[3].

ولعل الرأي الأخير أرجح من سابقه ، ولا سيما أن أصحاب الرأي الأول يحددون سنة ٣٤ميلادية بداية لتوقف مدينة دمشق عن إصدار النقود الرومانية الإمبراطورية . وذلك يناقض قولهم إن استيلاء الأنباط على المدينة كان في حوالي ٣٧ميلادية[4].

---

١ – الكتاب المقدس: [ط.ب] ط٦ – (د.م) ١٩٩٥م ،رسالة القديس بولس الثانية إلى أهل كورنتس ، ف١١/الآية ٣٢، ٣٣ .

Hugh Last: **Roma and The Empire**- C.A. H-vol. XI- Cambridge1965. p440.

٢ Bowersock.**Roman**.p.68.

الشيبة، **محاضرات**، ص١١٤، ١١٥. جواد علي، **المفصل**،ج٣، ص٤٤، ٤٥. إحسان عباس، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٦.

٣ – جونز ، **مدن بلاد الشام**،ص١١٨.

٤ –جواد علي، **المفصل**،ج٣،ص٤٤ ، ٤٥.

وهناك من المؤرخين من يرى أن لفظة حاكم في رواية بولس لا تعدو أن تعني "حامياً " للجماعة النبطية التجارية المقيمة في دمشق ، وأن قدرتـه علـى القبض على بولس ينبغي ألا تؤخذ بمعناها الحرفي"[1].

غير أنه إذا كانت رواية بولس في النسخة الكاثوليكية تحتمل هذا التأويـل الضعيف ، فإن قول بولس في النسخة البروتستانتية إن الملك حارثه أقام هـذا الحاكم على ولاية دمشق ، يؤكد قطعياً أن السلطات الإدارية والسياسية كانت بيد الأنباط ، ولاسيما أن بولس نفسه كان ينتمي في الأصل إلى مدينـة طرسـوس كيليكة [2].

ومن ناحية أخرى ، كان من المتوقع أن تؤدي وفاة الملك حارثه الرابـع سنة ٤٠ميلادية إلى إحداث تغيرات سلبية على العلاقات النبطية الرومانيـة . إلا أن هذا الأمر لم يحدث فعلاً ، فبرغم ما يقال عن تقلب مزاج الإمبراطور جايوس. إلا أن المصادر لم تسجل أنه أبدى أي اعتراض على مسـألة انتقـال العـرش النبطي إلى مالك الثاني (٤٠-٧٠م) أكبر أبناء حارثه الرابع . وقد ظلت العلاقات بين الجانبين في حالة الاستقرار إلى نهاية عهد هذا الإمبراطور ، الذي انتهـى أمره بتعرضه للقتل على يد أحد المقربين منه سنة ٤١ميلادية[3].

ويرد في كتاب دليل البحر الإرتيري ما نصه " وإذا ما أبحر المرء انطلاقاً من شمال برينكي ، وسافر يومين أو ثلاثة أيام من ميـوس هـورمس باتجـاد الشرق عبر الخليج الممتد فسيجد موضعاً آخراً للرسو يسمى لوكى كومى، تتجه

1- Bowersock.**Roman**.p.68

إحسان عباس، تاريخ الأنباط ، ص٦٦.

٢ – أنظر : الكتاب المقدس– [ط.ب] رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنتس ،ف١١/أية ٣٢. أعمال الرسل، ف٢١/ أية ٢٩.

3- Dio Cassius.59. 29. cf. CharlesWorth, **Gaius and Claudius**.p.663. Bowersock **Roman**.p.69.

إحسان عباس، تاريخ الأنباط ، ص٦٦.

منه طريق (برية) إلى البتراء ، إلى مالك ملك الأنباط"[1] . وهناك شبه إجماع بين المؤرخين المحدثين على أن مالك الثاني هو المقصود بالإشارة في هذا النص . ويعد المؤرخ الإنجليزي جي اندرسون من أبرز المتبنين لهذا الرأي ويتمثل ذلك في قوله "إن الملك المذكور ليس سوى مالك الثاني ، الذي حكم من حوالي ٤٠ميلادية إلى ٧١ أو ٧٥م و تولى الحكم بعده رب آيل الثاني"[2].

أما المخالفون لهذا الرأي فيرون أن المقصود باسم مالك في هذا النص إنما هو مالك الثالث . ويؤكد أصحاب هذا الرأي بأنه خلف رب أيل الثاني ابتداء من عام ١٠١ميلادي[3] . غير أنه لم يثبت حتى الآن حقيقة وجود ملك نبطي بهذا الاسم (أي مالك الثالث) ، ومما يضعف إمكانية وجوده فعلاً ، أن اسم ولي عهد رب آيل الثاني لم يكن مالكاً وإنما هو عبادة ، أكبر أبناء الملك النبطي سابق الذكر[4] ومن ثم فالأرجح ما ذكره اندرسون من أن المقصود بالإشارة السابقة ليس سوى مالك الثاني .

وبالرغم من مضي عقود من الزمن على اكتشاف هيبالوس **Hippalus** سر الرياح الموسمية **Monsoons** ، ومعرفة مؤلف دليل البحر الارتيري التأثير الذي خلفه هذا الاكتشاف في نمط التجارة البحرية[5] . إلا أن حديثه السابق يؤكد استمرار النشاط التجاري على طول الطرق البرية القديمة المارة

1- **The Periplus**.Ch-19.p.31.   الشيبة ، دراسات ، ص٢٢٠ .

2- Anderson.J.G.C: **The Policy of Nero**-C.A.H- vol. X- Cambridge1976. p.882. cf: Bowersock.**Roman**.p.70.   الشيبة : دراسات ، ص٢٢١ .

3- **The Biblical**. p.104. cf:Anderson. **The Policy of Nero**.p.882. Bowersock, **Roman**,p.70.

4- Bowersock.**Roman**.p.70.

5- **The Periplus**.Ch-57.p.52.53.71.72. cf: Ortel, F: **The Economic**- C.A.H- vol. X- Cambridge 1976, p.416. Rosotovtzeff, M: **The Social and Economic History of The Roman Empire**-Oxford 1966.p97. Bowersock, **Roman**, p.70.

الشيبة ، دراسات ، ص٢٠ .

بالمملكة النبطية ، ويؤكد المؤلف نفسه استمرار الأنباط في نقل البضائع شمالاً إلى البتراء ، ومنها إلى البحر المتوسط[1] . كما يذكر أيضاً وجود محطة ضرائب في ميناء لوكى كومى وأن مسئولية إدارة هذا الميناء كانت بيد قائد مئة Centurion[2] وقد رفض باورساك ما ذهب إليه البعض من أن قائد المائة هذا كان مترئساً لحامية رومانية مهمتها جمع المكوس لصالح الإمبراطورية الرومانية ، وليس للمملكة النبطية . ويعلل رفضه الرأي بقوله إن النص الوارد في كتاب دليل البحر الإرتيري لا يثبت أن قائد المائة والحامية التي وجدت في لوكى كومى من الرومان ، ويؤكد أن ذكر لقب قائد المائة لا يعني بأي حال من الأحوال أن لوكى كومى كانت خاضعة لسلطة الرومان ، لأن هذا اللقب (قائد المائة) كان من بين المصطلحات العسكرية التي استخدمها الأنباط تحت اسم (ق ن ط ر ي ن ا) في أكثر من موضع[3].

كما أنه لم يحدث في عهد الملك مالك الثاني ما يوجب قيام الرومان باتخاذ إجراءات ضد الأنباط ، سواء في لوكى كومى ، أو أي مدينة نبطية أخرى .

ولا يتناقض هذا مع ما ذكره البعض من أن عصر الإمبراطور كلاوديوس Claudius (٤١-٥٤م)[4] شهد حركة استكشاف لنهر الأردن، وحدود فلسطين . وسورية ، وشمال شبه الجزيرة ، والطرق التي كانت تمر عيرها إلى بلا ما بين النهرين . وأن الهدف من ذلك كان التمهيد لضم بلاد الأنباط الذين يقفون

1- **The Periplus**. Ch. 19.p.31,150.. cf : Bowersock. **Roman.** p.70.

٢ - سيد الناصري ، الرومان والبحر الأحمر ،ص٤٣.

3- Bowersock. **Roman**.p.70,71. cf: Werner.V: **Studies on Nabatataean Archaeology and Religion-** P.C.C- Amman 1990, p.148.

4- Dio Cassius, 60.2 . cf: CharlesWorth, **Gaius**. p.685,686. Bowersock, **Roman**.p.69.

حجرة عثرة أمام طموح الرومان في إكمال السيطرة المباشرة على البحر الأحمر[١] ، بل إن حديث هؤلاء يؤكد ضمناً ، صحة المعلومات التي ذكرها مؤلف دليل البحر الارتيري عن استمرار نشاط الأنباط التجاري على الطرق البرية وعلى وجه الخصوص الطريق المؤدي من ميناء لوكى كومى إلى البتراء[٢].

وإذا كان الإمبراطور كلاوديوس قد فكر في تنفيذ التهديد الذي سبق وأن تراجع سلفه تيبيريوس عن القيام به ، فالأرجح أن الملك مالك الثاني لم يعطه أي ذريعة لمهاجمة بلاد الأنباط ، فاكتفى بحركة الاستكشاف سابقة الذكر، على أمل أن تواتيه الفرصة التي كان ينتظرها لتنفيذ مشروعه .

غير أنه من الواضح أن مالك الثاني كان على إدراك تام بخطورة هذه المسألة ، وهو ما يبدو بوضوح في استمرار حالة السلم بينه وبين الملك أجريبا الأول ، الذي كان أيضاً من بين الذين ساهموا في وصول كلاوديوس إلى العرش الإمبراطوري . وقد منحه هذا الأخير مكافأة كبيرة تمثلت في إحالة المناطق اليهودية التي كانت ما تزال تحت سلطة الرومان إلى أملاكه[٣].

وبرغم أن هذا الأمر ساهم تلقائياً في عودة المملكة اليهودية إلى الوضع الذي كانت عليه زمن هيرود الكبير إلا أن الملك النبطي لم يقم بأي إجراء ضد أجريبا الأول . مع أن ظروف كهذه كانت تؤدي عادة إلى نشوب صدامات كبيرة بين الأنباط واليهود . ويبدو أن التطورات التالية خدمت الملك مالك الثاني في

---

١ – سيد الناصري ، الرومان والبحر الأحمر ، ص٥٧.

٢- **The Periplus**. ch. 19.p.31.

٣- Dio Cassius.60.8.cf: CharlesWorth, **Gaius**, p.667. Bowersock, **Roman**.p.69.

جونز ، مدن بلاد الشام ، ص٨٦.

عملية التزام سياسة ضبط النفس تجاه اليهود . فما لبث أن توفي الملك أجريبا الأول بعد ثلاث سنوات من انبعاث المملكة اليهودية مرة أخرى . ونظراً لصغر سن إجريبا الثاني ابن اجريبا الأول ، وعدم رضى الإمبراطور كلاوديوس عن سياسة أجريبا الأول الدينية ، وسعيه إلى نشر اليهودية في الشرق ، فقد فضل الإمبراطور إلحاق أراضي فيليب الأدومي القديمة وحاكميته بولاية سورية الرومانية لكن هذا لا يعني ذلك أن كلاوديوس كان مصمماً على حرمان أجريبا الثاني من تولي الحكم على بعض الأقاليم التي كانت تابعة لأبيه والمملكة اليهودية ، ولاسيما منطقة خالكيس البقاع ، التي كانت ما تزال بيد أحد أفراد الأسرة الهيرودية ويدعى هيردوس وكان هذا الأخير متزوجاً برنيقة ابنة أجريبا الأول . فلم يتردد كلاوديوس عن إسناد مسؤولية حكم هذه المنطقة "خالكيس" إلى أجريبا الثاني بمجرد معرفته بوفاة حاكمها هيردوس السابق الذكر(١).

وقد ظلت الأوضاع على هذا الحال إلى عام ٥٢م وهو العام الذي شهد قيام الإمبراطور كلاوديوس نفسه بإعادة أراضي فيليب الأدومي إلى حكم الأسرة الهيرودية ، ولعل صعوبة السيطرة على هذه الأراضي كانت في مقدمة العوامل التي شجعت كلاوديوس على اتخاذ هذا القرار وتسليمها إلى أجريبا الثاني . ويتضح ذلك مما ذكره كل من أرنولد جونز وباورساك عن ظروف هذه المرحلة وأن انبعاث المملكة اليهودية كان أمراً مؤقتاً ، وأن أجريبا الثاني لم يكن يمتلك القوة للتحرش بالأنباط الذين يبدو أنهم حرصوا على بقاء حالة السلم بينهم وبين

1- **The Biblical** , p.101. Bowersock, **Roman**, p.69. CharlesWorth, **Gaius** , p.680,681. Anderson, **The Eastern Frontier,** p.752

جونز ، مدن بلاد الشام ، ص٥٦. رستم ، عصر أوغوسطوس ، ص٢١٢، ٢١٤.

أجريبا الثاني ، طالماً لم يخرج هذا الأخير عن السياسة التي انتهجها فيليب الأدومي عندما كان حاكماً لهذه المنطقة[١].

وبرغم قلة الأخبار التاريخية المعروفة عن عهد مالك الثاني يمكن القول إنه لم يخرج عن إطار السياسة التي رسمها والده حارثه الرابع ، بما في ذلك مواصلة الاهتمام بالمناطق الجنوبية ، ولاسيما منطقة الحجر ، ووادي السرحان، وواحات وادي الجوف[٢] . وليس ذلك وحسب بل إنه يمكن القول إن سنوات حكمه الثلاثين كانت أكثر استقراراً من فترة حكم والده ، سواء كان ذلك بالنسبة للأوضاع الداخلية ، أو علاقة الأنباط بالرومان ، والملوك الأدوميين ، والقوى الأخرى . وليس أدل على ذلك أن الحرب الوحيدة التي خاضها الأنباط خلال عهده كانت حرباً غير مباشرة ، اضطر مالك الثاني للمشاركة فيها تحقيقاً لهدفين متداخلين كان يسعى إلى تحقيقهما بالطرق المناسبة ، تمثل أولهما في وضع حد نهائي للتهديد المستمر الذي كان يشكله اليهود ، وتعلق ثانيهما بمسألة توثيق العلاقات النبطية - الرومانية بشكل أكبر . وما كان له أن يحققهما معاً لو لم يطلب منه الرومان مشاركتهم في إخماد الثورة اليهودية التي نشبت ضدهم ابتداء من عام٦٦م[٣].

1- **The Bibliael,** p.101. Bowersock . **Roman,**p.69, 70. CharlesWorth. **Gaius**, p.681.
جونز ، مدن بلاد الشام ، ص٥٦.

2- Bowersock . **Roman,**p.69.
الشيبة ، محاضرات ، ص١١٥. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٦٦، ٦٧.

3- Momigliano A:. **Rebellion within the Empire** - C.A.H-vol. X- Cambridge1976, p.855. Bowersock, **Roman,**p.72 . **The Biblical** , p.101.

ويبدو أن الإمبراطور نيرون (٥٤-٦٨م) Nero لم يولي هذه الثورة ما تستحقه من اهتمام ، لذلك لم يبادر بالتحرك الجدي لقمعها إلا عندما بلغه نبأ اندحار واليه على سورية كسيتوس غالوس Cestius Gallus ، والذي ألحق به اليهود الثائرون الهزيمة أمام أسوار القدس ، فما لبث أن بادر الإمبراطور نيرون إلى إسناد أمر هذه المهمة الخطيرة إلى القائد فلافيوس فسباسيانوس Fiavus Vespasianus [1]. وقد طلب هذا الأخير من الملك مالك الثاني ، تقديم العون المناسب لحملته الحربية ، فأرسل الملك النبطي ألف فارس وكتيبة مشاة مؤلفة من خمسة آلاف مقاتل[2].

كانت مدينة عكا النقطة التي اختارها القائد فسباسيان مركزاً لتجمع قوات حملته . وكان كل من أجريبا الثاني الأدومي وسهيم ملك حمص العربي من بين الملوك والحكام المحليين الذين شاركوا الأنباط مسئولية دعم قوات هذه الحملة الرومانية ، التي يقال إن مجموعها تجاوز الخمسين ألف مقاتل[3].

وينبغي الإشارة إلى أن المؤرخ يوسفوس نفسه ، كلف بقيادة الثوار اليهود المتمركزين في الجليل ، لكنه لم يتمكن من الصمود أمام الرومان . وانتهى الأمر بوقوعه أسيراً بيد القائد فسباسيان ، الذي حالة الأوضاع التي شهدتها روما آنذاك دون سرعة إنجاز مهمته ، ففي الوقت الذي كان يستعد فيه

1- Josephus , **The Life,** p.9. 11. 149. cf: Momigliano . op. cit. p.856 .858.

2- **The Biblical**. p.101. Bowersock. **Roman** . p.71.

الشيبة ، محاضرات، ص١١٠. جونز، مدن بلاد الشام ، ص٢١٩.

3- Josephus , **The Life,** p.149. 151. cf: Momigliaon. op. cit. p.859. **The Biblical**. p.101. Bowersock. **Roman**. p.72.

أسد رستم ،عصر أوغوسطوس،ص٢٢.

للزحف على القدس بلغه خبر انتحار الإمبراطور نيرون، فأوقف أعماله الحربية إلى حين وصول أمر تجديد مهمته من الإمبراطور الجديد . وبعد عام كامل عـاد لمقاتلة اليهود . ورغم تمكنه من دخول الجليل ووضع حد للثـورة فـي تـلال فلسطين إلا أنه فوجئ بمناداة فرق الإسكندرية الرومانية به إمبراطوراً مناوئـاً لفيتاليوس Vitellius خليفة نيرون ، وتبعهـا فـي ذلـك الفـرق الرومانيـة المتمركزة في اليهودية ، وأنحاء سورية ، فقرر فسباسيان التفرغ لهذا الأمـر ، تاركاً مسئولية إخماد ثورة اليهود لإبنه تيتوس Titus ، الـذي تمكـن بـدعم الأنباط والقوى المحالفة الأخرى من اقتحام القدس ، ووضع حد للثورة اليهودية مع دخول الشهر الخامس من سنة ٧٠ميلادية[١].

ومع أنه لا يوجد ما يؤكد تخلي الملك مالك الثاني عن دعم الرومان خلال سنوات الثورة اليهودية ، إلا أن هناك من يؤكد أنه لم يتمكن من المحافظة على ملكية الأنباط لمدينة دمشق ، وأن عودة هذه المدينة إلى النفوذ الروماني كـان في سنوات حكمه الأخيرة . وقد اتخذ هؤلاء عودة دمشق إلـى ضـرب السـكة الرومانية خلال هذه المرحلة دليلاً على انتهاء السيطرة النبطية عليها[٢] . ونظراً لأنه لم يعثر حتى الآن على نقود نبطية سكت في السنوات الست الأخيـرة مـن حكم مالك الثاني ، فقد حاول باورساك إيجاد تفسيراً عاماً للمسألة . يتلخص في قوله إن عودة مدينة دمشق إلى إصدار النقود الرومانية ، في المرحلـة التـي

١- Josephus , **The Life,** p 125, 151, 153. cf: Stevenson, G.H: **The Year Four Emperors** - C.A.H- vol. VX- Cambridge1976, p.829. Momigliano **Rebellion**, p.859, 860, 863.
رستم ، عصر أوغوسطوس ،ص٢٢٠ ، ٢٢١.

٢ - جونز ، مدن بلاد الشام، ص١١٨ . جواد علي ، المفصل ، ج٣، ص٤٧.

توقف الأنباط فيها عن سك العملة ، يقود إلى تبني فرضية شبه مؤكدة مؤدّاها أن الرومان كانوا في حاجة ماسة لتوفير رواتب الجنود المشاركين في إخماد ثورة اليهود ، فطلبوا من حلفائهم ، وفي مقدمتهم الأنباط ، توفير السبائك الكافية والمكان المناسب[١] لسك عملة رومانية ، فكانت دمشق أنسب موضع لتنفيذ هذه العملية[٢].

1- Bowersock, **Roman**, p. 71, 72

٢ – إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٦، ٦٧.

الفصل الرابع

علاقة الأنباط بالرومان إلى نهاية عهد الملك رب إيل الثاني

الفصل الرابع

علاقة الأنباط بالرومان إلى نهاية عهد الملك رب إيل الثاني

كانت أحقية وراثة العرش النبطي قد أصبحت من نصيب أكبر أبناء الملك المتوفي ، منذ عهد الملك عبادة الأول (٩٥-٨٨ ق.م) وفي حال ما إذا كان هذا الإبن أصغر سناً من تولي المسئولية فإن من حق والدته الوصاية على العرش ، إلى حين بلوغه سن الرشد . ونظراً لأن رب أيل الثاني (٧٠-١٠٦م) كان ما يزال صغيراً في السن عندما توفي والده مالك الثاني ، لم يكن هناك ما يعيق والدته شقيلة عن تولي الوصاية ابتداء من عام ٧١/٧٠م [١] .

ومع أن مالك الثاني كان من أكثر الملوك كفاية في ضبط الأمور الداخلية، إلا أن الملكة شقيلة لم تعتمد على شيوخ القبائل البدوية ، الذين كان قد اختارهم قبل وفاته لإدارة المناطق النبطية المؤدية إلى منطقة الحجر . وقد تسببت هذه الخطوة غير الحكيمة في إحداث اضطراب خطير في تلك المناطق ، ولا سيما منطقة الحجر ، التي كانت البؤرة التي انطلقت منها شرارات التمرد الأولى ضد العائلة الملكية النبطية . ويكفي أن نذكر أن هذا التمرد ينسب تاريخياً إلى شخص من أهل الحجر يدعى دمسي ، ومما ضاعف من خطورة هذا التمرد ، أنه لقي التأييد الكامل من قبائل المملكة النبطية الجنوبية ، وليس أهالي الحجر وحدهم [٢] .

١- الشيبة، محاضرات، ص١١٥. لطفي عبد الوهاب يحيى: الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي- الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية جامعة الرياض ١٩٧٩م، ص٩٧. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٦٧. عجلوني . حضارة الأنباط ، ص١٣٢، ١٣٣.

The Biblical ' p.102. Graf . **Nabataen Settlements**. p.253

2- Bowersock. **Roman**. p.156.

عجلوني ، المرجع السابق ، ص٧٧. الأنصاري ، العلا ومدائن صالح ، ص٦٨. إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص٦٨.

أما عن الوسائل التي مكنت الأنباط من إخماد هـذا التمـرد ، فلـيس فـي المصادر المتوفرة ، ما يفيد عن هذا الأمر . ومع ذلك فإنه من غير المسـتبعد أن يكون للحاكم التنفيذي المعروف في نظام الحكم النبطي بلقـب أخ الملـك ، اليـد الطولى في وضع حد لهذا الاضطراب الخطير[١]. ويتعلق الحديث هنـا بالشـخص المذكور في النقوش النبطية بأنه " انيشو (انيس) أخي شقيلة ملكـة النـبط"[٢] . وهناك من المؤرخين المحدثين من يتبنى مقولة أن أنيساً هذا كان شـقيقاً حقيقيـاً للملكة ، وأن هذه الصلة دعته إلى مساعدتها وتخفيف أعباء الحكم عنها [٣].

غير أن الرأي الغالب لدى المؤرخين أن صفة القرابة المذكورة ، عادة مـا تكون صفة مجازية ، تماثل تسمية الوزير النبطي سيلايوس نفسه بأنه أخ الملـك عبادة[٤]. ومن ثم فإن الرأي الغالب أن أنيساً هذا كان الوزير الموكل بتدبير شؤون المملكة خلال مرحلة وصاية الملكة شقيلة على العرش[٥].

ويبدو أن سكان المملكة النبطية نظروا إلى الحرب التي قامت على إثر تمرد دمسي ، على أنها حرب نبطية – نبطية وهو ما يظهر بجلاء من وصف الحدث في أحد النقوش الصفائية بـ" س ن ت ح ر ب ن ب ط" = سنة حرب الأنباط[٦].

1- Strabo. 16-4-21.

إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص١١٥ . لطفي يحيى ، **الوضع السياسي** ، ص٩٨ . عجلوني ، **حضارة الأنباط** ، ص١٣٠، ١٣٢.

٢ – إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص٦٧. جواد علي ، **المفصل** ، ج٣، ص٤٨.

٣ – جواد علي ، المرجع السابق ، ج٣، ص٤٨.

4- Strabo . 16-4-21.

عجلوني، **حضارة الأنباط** ، ص١٣١.

٥ – إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٧

6- Bowersock ,**Roman**. p 80 , 154

عجلوني ، **حضارة الأنباط** ، ص٢٠٤. إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٨.

وقد استمرت الملكة شقيلة وصية على العرش النبطي حتى عام ٧٥-٧٦م ، وهو العام الذي شهد وفاتها ، وانتقال مقاليد الأمور إلى يد ابنها رب إيل الثـاني ، الذي استبدل صورتها المرسومة على المسكوكات بصورة امرأته جميلة[١]، ونظراً لأنه جرى ذكر هذه الأخيرة على القطع النقدية تحت مسمى " جـــ م ل ت ا خ ت هــ م ل ك ت ن ب ط و " = جميلة أخته ملكة النـبط . فهنـاك مـن المـؤرخين المحدثين من يعتقد أنها كانت أخته حقيقة وليس مجازاً ، وأن ذلك ينطبـق أيضـاً على زوج رب إيل الثانية المسماه هجرو = هاجر[٢] .

وفيما يخص موقف الإمبراطور فسباسيان (٧٠-٧٩) من مسألة تـولي رب إيل الثاني مسؤولية الحكم بعد وفاة والدته ؛ فلـيس هنـاك مـا يشـير إلـى أن الإمبراطور لم يكن راضياً عن هذا الإجراء . ومن المرجح أن الدعم الذي لقيه من مالك الثاني خلال ثورة اليهود ، كان في مقدمة الأسباب التي منعته من اتخـاذ أي موقف سلبي من رب إيل الثاني وخاصة أن الرومان لم يتمكنوا من القضاء علـى الثورة اليهودية بشكل نهائي إلا في عام ٧٣ميلادي[٣] . ومما يذكر بهذا الصدد أن الأنباط ظلوا يحتفلون بهذا النصر إلى ما بعد فترة حكـم الإمبراطـور فيسباسـيان ويتمثل تأكيد هذا الأمر في النقش المدون بالإغريقية ، الذي عثر عليه في مدينـة جرش ، والذي يتحدث عن قيام ضابط صف نبطي ممن شاركوا في إخماده ثـورة اليهود بتقديم تمثال (كلفه ثلاث مئة دراخمه) لالهة النصر . وبـأن إقامـة هـذا التمثال كان في عهد الإمبراطور دوميتيان Domtian (٨١-٩٦م) . وهـو ابـن الإمبراطور فسباسيان[٤] .

١- الشيبة ، **محاضرات** ، ص١١٥. عجلوني ، **حضارة الأنباط** ، ص١٣٣، ١٣٤. إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٧ . جواد علي ، **المفصل** ، ج٣ ،ص٤٨. **The Biblical**. p:102.

2- Bowersock. **Roman**. p.74.

3- Rostovtzeff. **The Social and Economic** . p.752. Momigliano. **Rebellion with The Empire**. p.863 . أسد رستم ، **عصر أوغوسطوس** ، ص ٢٢٣

٤- هاردنج ، **آثار الأردن** ، ص ١٠٣.
Rostovtzeff **, The Social** . p.752.

وقد ركز الإمبراطور فيسباسيان جهوده على منع الفرثيين من الوصول إلى سواحل البحر المتوسط و البحر الأحمر . ودخل في إطار ذلك قيامه بتأمين جنوبي سورية والأردن وخاصة الجزء الأخير الذي كان يشكل في تكوينه سهلاً منخفضاً يؤدي إلى سواحل البحر الأحمر سواء إلى ميناء إيلة (إيلات) على خليج العقبة أو إلى طريق القوافل الذي كان يربط البتراء بميناء لوكى كومى[١].

أما رب إيل الثاني الذي كان يفتقد القدرات السياسية التي كانت لوالده وجده حارثه الرابع ، فقد دفعته ثورة دمسي لأن ينقل مقر الحكم الملكي من البتراء إلى مدينة بصرى ، التي كان يظن أن الانتقال إليها كفيل بحماية العرش النبطي من أي تمرد مستقبلي قد يقوم به أهالي الحجر وقبائل الصحراء[٢] .

ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن نقل العاصمة من البتراء إلى بصرى كان أمراً متوقعاً منذ أمد طويل . وأنه جاء انعكاساً لتزايد استيطان الأنباط في الأجزاء الشمالية من المملكة . ويؤكد هؤلاء أن موقع العاصمة البديلة أتاح المجال لاستمرار التجارة النبطية على حالها الأول . فإذا كانت البتراء قد بدأت بفقدان أهميتها التجارية ، بعد تمكن الرومان من الوصول بحراً إلى الهند ، وجنوب شبه الجزيرة . فإن المستقبل كان لطريق التجارة البري المنطلق من موانئ الخليج العربي الشرقية نحو وادي السرحان ، ويربط مدينة بصرى بكل من دمشق وخليج العقبة ومدينة البتراء[٣].

١- سيد الناصري : الرومان والبحر الأحمر . ص٦١.

٢- الأنصاري . العلا ومدائن صالح . ص ٦٨.

3- Bowersock. **Roman.** p 73. Graf . **Nabataen** . p.253. Rostovtzeff , **Caravan Cities** . p . 51 . **The Biblical** . p.103.

فوزي زيادين :- تدمر ، البتراء . البحر الأحمر وطريق الحرير - بحث منشور ضمن الندوة الدولية تدمر وطريق الحرير- دمشق ١٩٩٦م، ص٤٥١.

ونظراً إلى أن مناطق النقب كانت في مقدمة المراكز النبطية التـــي تـــأثرت بتدهور تجارة الطريق البري الواصل بين البتراء وغزة ، فقد عمل رب أيل الثـــاني على تشجيع النشاط الزراعي فيها . وأبرز شاهد على ذلك ، يتمثل في تنوع طـــرق الري المستخدمة في زراعة المدرجات ، في منـــاطق النقـــب المختلفـــة . وهنـــاك مجموعة من النقوش التي تؤكد قيام سكان النقب ببناء السدود ، خلال عهد الملـــك رب أيل الثاني . ولاسيما في المدة الواقعة بين السنة الثامنـــة عشـــرة والثامنـــة والعشرين من حكم هذا الملك النبطي (٨٨/٨٩-٩٨/٩٩ميلادية)[١].

وفيما يلي مثال لواحد من تلك النقوش :

" دن هـــ س ك ر ا [د ي ب ن هـــ] ... ت و ب ن ي هـــ / د هـــ [و ح ب ر و هـــ ي] ب ن ي س روت دن م رزح / دوش ر ال هـــا ج ا ي ا ب ش ن ت ي ح (؟).. ل ر ب ا ل م ل ك أ م ل ك ن ب ط و د ي أ ح ي ي وش ي ز ب ع م هـــ " = هذا السد [الذي بناه] .. تو أبناء أو [أصحابه] بني ســـروت لتقديم الفديا لدو شرا إله جيا في السنة الثامنة عشرة / .. للملـــك رب أيـــل ملـــك الأنباط الذي جنب الحياة والرخاء لشعبه[٢] .

وإلى جانب أن النقش السابق يمثل بداية النقوش المؤرخة بســـنوات الملـــك رب أيل الثاني ، فإنها المرة الأولى التي يوصف فيها رب ايل بأنه " م ل ك ن ب ط و دي اح ي ي و ش ي زب ع م هـــ " = ملك نبطو الذي جلب الحيـــاة والرخـــاء لشعبه[٣] .

١- Bowersock, **Roman**.p.72.

عجلوني ، **حضارة الأنباط** ، ص١٩٦ ، إحسان عباس **تاريخ الأنباط** ، ص٧٨.

٢- عجلوني ، المرجع السابق ، ص ١٩٦.

٣-عجلوني ، **حضارة الأنباط** ، ص٧٧.

ومن الملاحظ أن بعض المؤرخين فسر هذه العبارة النبطية على أنها " رب إيل ملك الأنباط الذي جلب الحياة والحرية لشعبه " وفسرها البعض الآخر على النحو الآتي: " رب إيل ملك الأنباط واهب الحياة والخلاص لأمته " [١] .

وبرغم أنه لم يكن لرب إيل الثاني أي فضل في إخماد ثورة دمسي إلا أن هناك من المؤرخين من يقول بوجود علاقة بين هذه العملية ، ووصف رب إيل الثاني بأنه " واهب الحياة والخلاص لأمته " ويؤكد هؤلاء بأن نسبة الخلاص إلى رب إيل الثاني دون أمه التي كانت وصية عليه آنذاك ، يمكن تبريره بأن الملكة شقيلة إنما كانت تحكم باسمه هو[٢] .

غير أن هناك من المؤرخين المحدثين من يرى أن المعنى الدقيق للعبارة السابقة (واهب الحياة والخلاص لأمته) ، يظل غامضاً وبعيداً عن الوضوح. ونظراً لأن هذه العبارة لم ترتبط بالملك رب إيل الثاني من بداية حكمه ، فقد استبعد هؤلاء أن يكون لها أي صلة بإخماد تمرد دمسي ، واعتقدوا أن هدف العبارة لا يتجاوز التعبير عن الرضا والتملق للملك النبطي[٣].

وإذا كان هنالك من مبرر لإطلاق العبارة السابقة فالراجح أن الأمر يتعلق بأهم سمتين ميزتا عهد الملك رب إيل الثاني ، وهما ازدياد استعمال طرق الري في النقب ، وما نتج عنه من توسع في زراعة المدرجات ، ونقل مقر الحكم إلى مدينة بصرى[٤] .

1- Bowersock. **Roman** .p.72

إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٨.

٢ – إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص٦٨

3- Bowersock. op.cit.p.72.

4- Bowersock. **Roman** .p.73.

عجلوني ، **حضارة الأنباط** ، ص١٩٥ ، ١٩٦.

وفيما يخص النقطة الثانية فإن باورساك يؤكد أن رب أيل الثاني كان مبدعاً في نقل مركز سلطته إلى بصرى . وعلى الرغم من أنه لا يختلف إثنان حول ما ذكره عن أهمية موقع العاصمة البديلة بالنسبة للتجارة النبطية خلال تلك الحقبة[1]. إلا أنه يمكن القول إن رأيه السابق يتسم بعدم الدقة ، فإضافة إلى أن اتخاذ بصرى مقراً للحكم يعد خروجاً خطيراً عن السياسة التي رسم خطوطها حارثه الرابع ، والتي سبق أن ذكرنا أن مالك الثاني لم يخرج عن سياقها طول عهد حكمه المديد ، ولاسيما فيما يخص الاهتمام بمنطقة الحجر بوصفها أكثر المواقع ملائمة لنقل مركز الحكم إليها في حال إذا حدث أي طارئ[2] فإن الوجود النبطي في الشمال كان أقل كثافة إذا ما قورن بما كانت عليه الأحوال في الأجزاء الجنوبية من المملكة . وأبرز مثال يوضح هذه المسألة يتمثل في منطقة حوران الواقعة إلى شرق الجليل ، وجنوبي دمشق ، وشمالي تحالف العشر مدن(الديكابوليس Decapolis)[3] . فبرغم أن هناك ما يشهد على قدم وجود الأنباط في هذه المنطقة إلا أن الجزء الأكبر من مساحتها كان على مدى عهود طويلة تابعاً للإمارة اليطورية . ويضاف إلى ذلك أن ملوك اليهود المكابيين ومن بعدهم الهيروديين ، لم يمكنوا الأنباط من انتزاعها من أيدي اليطوريين ، أو الحصول على موافقة الرومان على ضمها إلى أملاك المملكة النبطية[4] . ونظراً لذلك فقد اقتصر استقرار الأنباط على المدن والقرى الواقعة على الجانب الجنوبي من جبل حوران ، وبما في ذلك السهل الممتد

1- Bowersock. **Roman**.76,156

2- Bowersock. op.cit.p.69.

إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٦٧.

3- Rostovtzeff . **The Social**. p.262.

إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص٨٠.

4- Bowersock. **Roman** .p.65, 76.

إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص٧٩ . جونز ، **مدن بلاد الشام** ، ص٨٦ -٨٨.

غرباً نحو درعا ، وجنوباً نحو منطقة الحماد. وكان لهم وجود مماثل على المنحدرات الغربية من جبل حوران ، وفي اللجا (الطرخونية) ، غير أنهم لم يستوطنوا منحدرات جبل حوران الشرقية ، ولم ينزلوا في سهل النقرة القريب من منحدرات هذا الجبل الغربية[١] .

وإذا ما استثنينا الطريقين التجاريين القادمين من وادي السرحان ومدن التحالف العشري ، واللذين كانا يصلان الأنباط بممتلكاتهم في حوران والطرخونية، والمواقع المؤدية إلى دمشق ؛ فسنجد أن المناطق الشمالية سابقة الذكر كانت عرضة للضياع في أحيان كثيرة ، بسبب حاجزين رئيسين ، تمثل أولهما في منطقة حلف المدن العشر ، وتمثل ثانيهما في منطقة بيرايا[٢] .

وقد ظلت الأجزاء الشمالية من حوران والطرخونية في ملكية أجريبا الثاني الهيرودي حتى عام ٩٣م وهو العام الذي شهد وفاته وقيام السلطات الرومانية بضم جميع المناطق التابعة له إلى أملاك الإمبراطورية الرومانية[٣] .

ولعل هذا الأمر هو الذي شجع الرومان في الضغط على رب إيل الثاني، وإجباره على عقد اتفاق مماثل للاتفاق الذي كان بينهم وبين أجريبا الثاني ، وقاموا بموجبه بضم ممتلكاته إلى ولاية سورية الرومانية . ويؤكد بعض المؤرخين المحدثين أن الملك رب إيل الثاني اتفق مع الرومان على أن لا يهاجموه خلال حياته ، مقابل أن تتم لهم السيطرة على بلاده بعد وفاته مباشرة[٤].

---

١ - إحسان عباس ،المرجع السابق ، ص٨٠ . جونز ، المرجع السابق، ص ١١٥. عن منطقة الطرخونية أنظر : الخارطة الأولى .

٢ - إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص٨٠، ٨٢. عن منطقة بيرايا ، أنظر الخارطة الأولى

3- Longden. R.P: **Wars of Trajan** - C.A..H.- vol. XI-Cambridge1965, p.237. Ronald. S.M.A: **Flavian Wars and Frontiers**- C.A.H- vol. XI- Cambridge1965, p.138..

٤ -الأنصاري ، العلا ومدائن صالح، ص ٥٦.

وعلى ذلك يمكن القول إن اتخاذ رب أيل الثاني مدينة بصرى عاصمة بديلة، كان في مقدمة العوامل التي شجعت الرومان على اتخاذ قرار نهـائي بضـم بـلاد الأنباط إلى أملاك الإمبراطورية الرومانية . وحتى نتبين الكيفية التي تم للرومـان بواسطتها تنفيذ هذا القرار ، لابد أن نقدم لذلك بعرض موجز عن أحـوال المملكـة النبطية في سنوات حكم رب إيل الثاني الأخيرة . وتعـد وثـائق باباثـا اليهوديـة Babatha[1] في مقدمة المصادر التي يمكن الاعتماد عليها في هذا المجـال فقـد أعقب الزيارة الكبرى التي قام بها الإمبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م) Hadrian لكل من سورية وفلسطين في عام ١٣٢م قيام تمرد لليهود بقيـادة رجـل يـدعى سيمون باركوخبا Simon Bar Kokba [2] مما اضطر باباثا اليهودية إلى الانسحاب إلى أحد كهوف منطقة عين جدي الواقعة غرب البحر الميت . حمايـة لنفسـها ، وسجلات عائلتها الثمينة . التي تضمنت الوثائق الخاصة بممتلكات والدها، وعددها ٣٣وثيقة ، والوثائق التي تثبت حقها في الوصاية علـى ابنهـا ، وكـذا الوثـائق المرتبطة بطلبات عائلة زوجها الثاني . ومن هذه الوثائق ما هـو مـدون باللغـة النبطية ، وأخرى بالآرامية والإغريقية . ومصدر أهمية هذا الوثائق مستمد من أن صاحبتها استوطنت وأسرتها بلاد الأنباط ، في زمن حكم الملك رب إيـل الثـاني . والوثائق الأربع الأولى من وثائق باباثا تعود بتاريخها إلى السنوات الأخيـرة مـن حكم هذا الملك النبطي . أقدمها تؤرخ إلى سنة ٩٣ميلادية وأحدثها إلى سـنة ٩٩م ومعظمها تكشف عن مجتمع مسالم تبدو فيه البيروقراطية النبطية معتدلة، ومجاملة لجهود عائلة يهودية تحاول أن تقيم في المملكة النبطية وفي حي يقطنـه العـرب الأنباط. أبو باباثا واسمه شمعون بن مناحيم استملك أرضاً فـي مدينـة مـاحوزا

١- هي ابنة رجل يهودي يدعى شمعون بن مناحيم والوثائق التي خلفها شمعون وابنته باباثا جزء مـن الوثـائق المعروفة باسم وثائق البحر الميت . أنظر : Bowersock, **Roman**, p76 , 77.

إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط**، ص١١٨. الشيبة ، **محاضرات**، ص١٢٤.

2- Rostovtzeff, **The Social**,p.363. Wilhem, Weber: **Hadrian** - C.A.H- vol. XI- Combridge1965, p.313 . Bowersock, op,cit, p.76.

Mahoza ، في منطقة زعر Zoar [1] وقد وصفت قطعة الأرض الممتلكة بأنها تقع "إلى جنوب حديقة سيدنا رب أيل ملك الأنباط ، الذي حافظ على الحياة وجلب الحرية إلى شعبه ، وإلى شمال المستنقع "[2] . ولأن النخيل ينمو على ممتلكات شمعون المشتراه إن موقع زعر ربما كان في جنوبي البحر الميت[3] . وتوضح الوثائق بأن عملية الشراء تمت عبر مكتب تسجيل نبطي ، والتزم شمعون في حال نكث العقد بدفع الغرامة إلى الملك النبطي ، وإلى الطرف المتأذي من ذلك النكث . وضمن العقد للمشتري حق بيع الممتلكات ، ورهنها ، ونقل ملكيتها ، والتصرف بها كيفما يشاء ابتداء من اليوم الذي كتبت فيه الوثيقة ، وإلى الأبد . وضمن كذلك حق الارواء ، مع بيان دقيق بالساعات والأيام التي يمكن أن يتم فيها ري الأرض[4].

ومجمل البيع يظهر تنظيماً قانونياً متطوراً داخل المملكة النبطية . وعدم وجود ما يمنع قبول ساكن جديد إلى الأبد ، من داخل المجتمعات اليهودية عبر الوادي ، وإمكانية تملك أفضل الأراضي النبطية . وهو ما يتأكد من وقوع هذه الأرض إلى الجنوب من أراضي الملك النبطي نفسه[5]. وتحديد حدود ممتلكات شمعون هذا يشير إلى انتقال يهود آخرين إلى منطقة زعر النبطية ابتداء من عام ٩٩م . وبعد أن كانت أسماء جيرانه نبطية خالصة مثل "حبيبه بن لاهي" و"طاحة ابنة عباده" ، أصبحت مع حلول عام ١٢٠م يهودية صرفه كـ "ورثة يوسف بن بابا" و"ورثة مناحيم" و"ورثة يوسف بن درمنس Drmns" [6].

1- Bowersock . **Roman** .p.76 . 77.

2- Bowersock op.cit.p.77

إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص١١٨.

3- Bowersock. op.cit.p.77.

4- Bowersock. op.cit.p.77.

إحسان عباس ، المرجع السابق ، ص١١٨.

5- Bowersock. **Roman** .p.77,78.

إحسان عباس ، **تاريخ الأنباط** ، ص١١٨.

6- Bowersock. op. cit ,p.78.

ونظراً إلى أن المنطقة المشار إليها كانت داخلة في نطاق منطقة البتراء عموماً يوجد بين المؤرخين المحدثين من يؤكد وجود علاقة ما بين انتقال السلطة المركزية النبطية من البتراء إلى بصرى ، وتزايد إمكانية شراء الأراضي الواقعة شمال غرب البتراء من اليهود وغيرهم ، ولاسيما أن عملية الانتقال حكمت بانتقال أعضاء الحكومة النبطية والنبلاء إلى بصرى[١].

وبرغم أن رفض الأنباط لوجود الغرباء بين ظهرانيهم تحول من الرفض المطلق في بدايتهم الأولى إلى القبول بوجودهم في البتراء ، إلا أن ذلك ما كان ليؤثر في تماسك المجتمع النبطي . لأن هؤلاء الغرباء كانوا يمثلون أقلية ضئيلة وغير متجانسة ، مقارنة بالمجتمع النبطي الكبير والمتجانس . إضافة إلى أن وجود الغرباء في الحواضر النبطية – في المراحل الأولى – كان مرتبطاً في الأصل بممارسة التجارة في هذه المراكز[٢] ، وليس لهدف الاستقرار والاستيطان كما أضحى عليه الحال زمن رب إيل الثاني ، الذي شهد عهده تزايد وجود الغرباء والمستوطنين حيث يتأكد من وثائق باباثا اليهودية أن المجتمع النبطي لم يعد في المدة التي تولى فيها رب إيل الثاني الحكم ، ذاك المجتمع المتماسك . وأن نقل مقر الحكم إلى بصرى لم يؤد إلى إضعاف مكانة البتراء التجارية والسياسية وحسب،وإنما كان له اليد الطولى في إضعاف قدرتها على مقاومة المخاطر التي قد تتعرض لها .

فبإضافة إلى أن سكانها والمناطق المجاورة لها لم يعودوا من الأنباط الخلص ، كان من الطبيعي أن يتمركز الجزء الأكبر من القوات النبطية حيث يكون الملك (أي في بصرى) ، وفي المحطات التجارية النبطية الواقعة على الطريق الواصل بين بصرى وأطراف وادي السرحان[٣].

1- Bowersock, **Roman** . p.78

٢ – إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص ٣٦. جواد علي ، **المفصل** ، ج٣ ، ص ١٤ ، ١٥.

3- Bowersock, **Roman** .p.76 –78.

جواد علي، **المفصل**، ج٣ ص٤٨، ٤٩.

وإذا كان هذا الحال هو الذي آلت إليه أحوال حاضرة الأنباط الأولى ، فماذا نتوقع أن يكون الأمر بالنسبة للحجر الواقعة في أقصى جنوب بلاد الأنباط ، والتي يقال إن التمرد الذي قام به دمسي انطلاقاً منها كان أحد العوامل الرئيسة التي دفعت رب أيل الثاني إلى نقل مقر الحكم من البتراء إلى بصرى . ولم يكتف باورساك بالتفرد بمقولة إن الملك النبطي كان مبدعاً في إتخاذ بصرى حاضرة لملكه بدلاً عن البتراء ، بل إنه يؤكد أن هذه الخطوة لم تؤثر في مكانة البتراء،وأنها ظلت مركزاً دولياً مرموقاً ، وأن اهتمام الأنباط بمنطقة الحجر قاعدةً عسكريةً لم يتوقف. مدللاً على ذلك بأن النقش الوحيد الذي يعود إلى السنة الأخيرة من حكم رب إيل الثاني ، مصدره ضواحي منطقة الحجر . لكن مقولته الأخيرة تزيدنا قناعة بأن رب إيل الثاني كان مخطئاً في حكمه على عمق ولاء أهالي الحجر للعرش النبطي(١) .

وقد كان من الممكن استغلال موقع مدينة بصرى التجاري مع بقاء مقر الحكم في البتراء ، أو حتى في الحجر . وذلك ما كان قد خطط له الحارثه الرابع،الذي نكرر القول بأن حفيده رب إيل الثاني لم يكن يمتلك ولو الجزء اليسير من قدراته السياسية ، أو من قدرات والده مالك الثاني ، الذي لم تدفعه حقبة السلم الطويلة التي شهدتها علاقة الأنباط بالرومان ، خلال عهده وعهد والده حارثه الرابع ، لأن يخرج عن السياسة التي رسمها هذا الأخير(٢).

ومما لا شك فيه أن رب إيل الثاني كان حسن الظن بالرومان إلى أبعد الحدود . وإلا لما بادر إلى نقل مقر الحكم إلى مدينة بصرى الملاصقة لحدود ولاية سورية الرومانية ، وهجر أكثر المواقع حصانة ومناسبة في بلاد الأنباط(٣).

1- Bowersock. **Roman** .p.73.74.76.

2- Bowersock. **Roman** .p.69.

إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٦٧.

3- Graf. **Nabataen** . p.253. **The Biblical** . p.103

صحيح أن نقل مقر الحكم إلى بصرى قد سرع من وتيرة ازدهارها التجاري ، وعاد بأعظم الفوائد على تجارة الأنباط ، ولكن ذلك كان أيضاً أحد الأسباب الرئيسة التي زادت من المطامع في الاستيلاء على بلاد الأنباط ، ودفعتهم إلى التحرك بالسرعة القصوى نحو تحقيق هذا الهدف ، ولاسيما بعد أن تمكنوا من الاستيلاء على ممتلكات أجريبا الثاني المحادة لبصرى من دون مقاومة تذكر[1].

وقد تداخل هذا الأمر مع سعي الرومان إلى تصفية حسابهم مع الفرثيين المسيطرين على الجزء الأكبر من فوائد تجارة طريق الحرير ، والتي كانت تستنزف ذهب خزينة الإمبراطورية الرومانية بشكل خطير . ولم يتمكن الأباطرة ابتداء من تيبريوس وكلاوديوس وانتهاء بالإمبراطور نيرفا (٩٦-٩٨م) Nerva من وضع حد لهذه المعضلة ، ووقوف الدولة الفرثية سداً منيعاً أمام إقامة علاقات تجارية مباشرة بين الصين والإمبراطورية الرومانية[2].

غير أن الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م) Trajan ، الذي يقال بأنه كان من أكثر الأباطرة اهتماماً بالتجارة مع الشرق ، لم يتردد في استخدام القوة لتحقيق هذا الغاية . فقد اتجه تفكيره إلى غزو الدولة الفرثية ، ووضع يده على طيسفون Ctesiphon حاضرة ملوكها[3].

ونظراً لأن الأنباط لم يبدو أي مقاومة عندما تعرضت سورية الرومانية للغزو الفرثي على عهد الملك مالك الأول ، فإن جولة الصراع الأخيرة التي أخذ تراجان في الإعداد لها ، استلزمت عدم التغاضي عن وجود دولة مستقلة يشك في

1- Longden. The Wars of Trajan . p. 337. The Biblical, p.103

إحسان عباس . تاريخ الأنباط، ص٨٤.

2- Rostovtzeff .M: The Sarmatae and Parthians - C.A.H-vol.XI-Cambridge1965, p.121,122

سيد الناصري ، الرومان والبحر الأحمر ، ص ٥٦، ٥٧.

3- Rostovtzeff, The Social and Economic . p.157 , 752.

سيد الناصري ، المرجع السابق ، ص ٦٢.

ولاتها ، فكان القرار بإنهاء استقلال الدولة النبطية قبل التحرك من سورية لمهاجمة الفرثيين[1].

ومن ناحية أخرى فإن تراجان كان يعرف الشرق الروماني معرفة جيدة،ولاسيما سورية التي كان والده قد تولى حكمها بتفويض من الإمبراطور فيسباسيان . و لابد إن تراجان قد أدرك بوضوح أن المملكة النبطية كانت تمثل القطعة النهائية ، في تأمين السيطرة التامة على سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر ومما شجعه على ذلك أن المملكة النبطية كانت متحضرة ، ومسالمة، وغالبية أهلها مترفون وعلى رأسها ملك ضعيف[2] . ومن غير المستبعد أن يكون هو نفسه من اضطر الملك رب إيل الثاني إلى تسليم بلاده طوعاً . مقابل موافقة الرومان على بقائه في سدة الحكم إلى حين وفاته. وإشارة وثائق باباثا اليهودية إلى وجود ابن لرب إيل الثاني ، يدعى عبادة ، يؤكد أن تنازل رب إيل الثاني عن العرش – إن كان حدث – ليس له أية صلة بعدم وجود ولي عهد يخلفه في ملكه. وهو ما يقود إلى الترجيح بأن الرومان رفضوا في الوقت نفسه انتقال العرش النبطي إلى الأمير عبادة بعد وفاة الملك رب إيل الثاني[3].

بل إن هناك من المؤرخين المحدثين من يؤكد أن الرومان تراجعوا بعد ذلك عن موافقتهم في بقاء رب إيل الثاني على رأس مملكته إلى حين وفاته ، وأنهم نقضوا الاتفاق لأسباب ما تزال مجهولة[4] .

وبرغم من أن جميع الدلائل تشير إلى أن المملكة النبطية كانت قد أصبحت مهيأة للضم إلا أن عملية الضم نفسها تعد من أكثر المسائل المرتبطة بتاريخ الأنباط تعقيداً وغموضاً . ووثائق باباثا نفسها لم تشر من قريب أو بعيد إلى عملية الضم هذه . ومرد ذلك أنها كانت في الأصل وثائق قانونية وليست تاريخية ومعظم

1- Tarn ., **The Triumvirs** , p.47,48. Bowersock, **Roman** ,p.38,39. Miller , M.J: **Archaeological Survey of the Kerak Plateau** – Atlanta1982 p.211

2- Wilhem Weber , **Hadrian** ,p 297, Bowersock, **Roman** p.82.

3- Bowersock, **Roman** ,p.80

عجلوني ، **حضارة الأنباط** ، ص٧٩.

٤ – الأنصاري ، **العلا ومدائن صالح** ، ص٥٦.

ما عثر عليه من وثائق هذه المرأة اليهودية يعود إلى السنوات التي سبقت عملية الضم ، وبعضها الآخر يتعلق بأوضاع الإقليم بعد أن أصبح خاضعاً فعلياً لإدارة الحاكم الروماني[١]. وإذا ما عرضنا إلى روايات المصادر الرومانية والإغريقية – المتوفرة – فسنجد أنها وإن كانت أكثر فائدة. إلا أنها لا تعدو أن تكون جملاً قصيرة . كما هو الحال بالنسبة لرواية المؤرخ اميانوس مرسيلانيوس Ammianus . M الذي عاش في إنطاكية خلال القرن الرابع الميلادي ، والذي كتب سطراً واحداً عن عملية نشوء إقليم العربية يقول فيه " Obtemperare legibtcs Nostris Traianus Conpulit Imperator" وهو يفيد أن الإمبراطور تراجان قد قام بضم الإقليم[٢].

وليس من الواضح ما إذا كان فعل Conpulit المذكور سابقا يعني استعمال القوة المسلحة أو محاولة إقناع سلمية[٣].

وفيما يخص ديوكاسيوس تذكر الملخصات البيزنطية المنقولة عن تاريخه،بأنه أورد هذه الحادثة ضمن حوادث عام ١٠٦م ويتمثل ذلك في جملة مختصرة وغامضة وردت على النحو الآتي:

τὴν Ἀραβίαν τὴν πρὸς τῇ Πέτρᾳ ἐχειρώσατο καὶ Ῥωμαίων ὑπήκοον ἐποιήσατο.

وهي تفيد أن كورنيليوس بالما حاكم سورية ، تقدم نحو العربية ، واستولى هو وجنوده على البتراء[٤]. وقول ديوكاسيوس هذا وإن لم يتضمن تفاصيل إضافية، يشير ضمناً إلى أن الرومان استخدموا القوة في عملية الضم .

1- Bowersock, Roman. p.78

2- Bowersock, op.cit .p.79

عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص٤٤.

3- Bowersock, Roman. p.79

4- Bowersock, op.cit .p.79 . Cf:Longdon , The Wars of TraJan. p.237.Rostovtzeff. The Socia. p. 157

عجلوني ، حضارة الأنباط ،ص٤٤. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٦٩.

وهناك في النقوش النبطية ما يؤيد هذه المسألة ، والنقش الأول وهو يصنف ضمن النقوش الصفائية يرد على النحو الآتي:" س ن ت و س ق ب ن ر م ن ب ط"[1]. وكلمة وسق موجودة أيضاً في نقش عثر عليه في تل القاضي ، وترد فعلاً مضارعاً على وزن فعل [المجرد الثلاثي] يسق " يغتصب" وبذا يكون معنى النقش الأول : سنة غصب الرومان نبط [مملكة النبط] وليس ما ذكره البعض بأنه سنة الصراع بين الروم والأنباط[2] فالمعنى الأخير يمكن أن يتطابق مع النقش النبطي الثاني والذي يرد على النحو الآتي : " س ن ت م ر د ت ن ب ط ع ل ال ر م". سنة تمرد الأنباط على الرومان [3] ومما يؤيد أن كلمة " رم" الواردة في النقشين السابقين المقصود بها الروم " الرومان" وليس قبيلة رم كما يعتقد البعض أن حرف الواو لا يرد ضمن الأسماء في النقوش المصنفة على أنها صفائية،ومثال ذلك فيما يأتي:(س ن ت م ت ع ب دت) = سنة موت عبادة[4].

إضافة إلى أنه يشير إلى أن الأنباط هم من أظهروا العصيان والتمرد ، ولا يكون ذلك إلا على سلطة أعلى منهم ، وليس قوة أدنى منهم مكانة ومقدرة كما هو حال قبيلة رم ، والتي من المفترض أنها خاضعة لسلطة الأنباط الإسمية . ولو كان التمرد قد جاء منها لكان أمراً مقبولاً ومفهوماً ، ولتقدم ذكرها في سياق النقش ليكون على النحو الآتي: " سنة مردت رم على نبط ". واستخدام القوة والعنف من الرومان في عملية الاستيلاء على البتراء يمكن أن يستدل عليه من تأكيد خبراء الآثار بأن معبد (العزى) أو افروديسيون الذي كان قائماً وسط مدينة البتراء،تعرض للحرق في السنوات الأخيرة من حكم رب إيل الثاني وأنه بقى في المدة التالية من دون سقف[5].

١- عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص٣٢ .

٢ - عجلوني ، المرجع نفسه ، ص٣٢، ٣٣.

3- Bowersock, **Roman** .p.80

' عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص٧٩

٤ - عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص٢٠٧.

5- Bowersock, **Roman** . p.87

وفي الحقيقة يشير نشاط حاكم سورية في تحقيق الضم إلـى أن اسـتعمال القوة كان ضرورياً. ولذا نقلت كتيبتان رومانيتان من مصر إلى فلسطين في السنة التي سبقت الضم. ويرجح بعض المؤرخين المحدثين أن عملية الغزو ربمـا تمـت بتقدم القوات الرومانية التي نقلت من مصر من ناحية الجنوب عن طريـق سـيناء والعقبة وتقدم القوات التي كانت مع كورنيليوس بالما مـن الناحيـة الشـمالية ، إضافة إلى الفرقة القيرينية الثالثة Third Cyrenaica ، التي كانت متمركزة فـي الجنوب في مكان قريب من البتراء . وهناك من يرجح أن الوحـدة الاستكشـافية السادسة والتي كانت تشكل جزءاً من الحامية الرومانية في سورية ، كانت موجودة – أو في الأقل جزء منها – في إقليم العربية في بداية الحقبـة. ومـن ثـم فمـن المفترض أن وجود الكتائب الرومانية في المراكز الرئيسة للمملكة النبطية ، كـان كافياً لإقناع الأنباط بعدم جدوى خوض حرب رئيسة و احتمالات الانتصار فيها على الرومان كانت معدومة تقريباً[1].

ومن العوامل التي يرجح أنها ساهمت في تقليل فرص الأنباط في إبداء قدر أكبر من المقاومة في وجه القوات الرومانية ، اعتماد الرومـان أسـلوب الضـم التدريجي وتركيز هجومهم الأول على مدينة البتراء ، التـي كـانوا فـي الغالـب يدركون تماما أن اقتحامها والاستيلاء عليها يمثل الجزء الأهم والأصعب في عملية الضم هذه. وأن مهاجمتها أولا سوف يحرم الملك النبطي المقيم في بصـرى مـن امكانية الانتقال إليها. ومقاومة الرومان من خلف تحصيناتها المنيعـة . ويمكـن القول اجتهاداً إن الرومان كانوا يدركون إمكانية قيام رب أيل الثاني بهذه الخطـوة بعد أن اضطروه إلى الاتفاق معهم على أن تتم لهم السيطرة على البلاد بعد وفاته مباشرة وذلك يتوافق مع ما ذكره البعض عن عدم التزامهم بهذا الاتفاق وقيـامهم

1- Bowersock. **Roman** . p.81,82

بمهاجمة بلاد الأنباط قبل وفاته[١] . وهو ما يستفاد أيضا من تمركز الفرقة القيرينية الثالثة على مقربة من البتراء قبل مدة من مهاجمتها[٢].

وبرغم من أن النقوش الصفائية وآثار الحريق الذي لحق بمعبد العزى الذي في البتراء تشير إلى أن الأنباط أظهروا قدرا من المقاومة في مواجهة الرومان خلال هذه المرحلة . يمكن القول من ناحية أخرى إن الرومان لم يلاقوا صعوبة تذكر في السيطرة على مدينة بصرى . ومن غير المستبعد أن تقدم القوات الرومانية نحو هذه المدينة النبطية كان متزامنا مع تحرك كورنيليوس بالما نحو البتراء أو بعد ذلك بوقت قصير. وذلك ما تقود إليه البردية المعروفة باسم "بردية من كارانيس" Papyri from Karanis والتي يرجع تاريخها إلى ٢٦ مارس ١٠٧ ميلادية. ويذكر كاتبها أنه التحق في ذلك التاريخ بالكتيبة (الرومانية) الذاهبة إلى بصرى ، والتي يذكر ضمنا أنها لم تكن تبعد عن البتراء سوى ثمانية أيام مسيرا . وقد فسر باورساك قول صاحب هذه البردية بأن عمل أفراد هذه الكتيبة ، كان قطع الأحجار طوال اليوم ، بأن هذه القوة العسكرية كان تعمل في الإنشاءات . ورجح تحديدا قيامها برصف الشارع الجديد Via Nova في بصرى[٣] وعطفا على ماسبق يمكن القول إن السيطرة على بصرى تمت خلال مدة قصيرة ومن دون حدوث مقاومة تذكر من الملك رب إيل الثاني ، الذي يرجح قسم كبير من المؤرخين المحدثين أن عملية الغزو والسيطرة تمت عقب وفاته مباشرة[٤]. وإذا صح هذا الأمر ، فأغلب الظن أن ابنه وولي عهده عبادة ، كان أضعف من أن يتمكن من لم شمل القوى النبطية المتناثرة ، والبدء بمحاولة لاستعادة البتراء

---

١ - الأنصاري ، العلا ومدائن صالح ، ص ٥٦.

2- Bowersock, Roman . p.81.

3- Ibid. p.81.

4 - Bowersock, op.cit.p.82

هاردنج ، آثار الأردن ، ص١٤٨.

وبصرى من أيدي الرومان . ومن غير المستبعد أن هذه الظروف شجعت أحد أفراد العائلة الملكية النبطية على إظهار نفسه وتولي مقاليد الأمور في الأجزاء الجنوبية. وهو ما ادعى حدوثه دوسو Dussuae فبرغم من أنه لا يوجد ما يثبت بأن رب أيل الثاني لم يكن الملك الأخير في سلسلة الملوك الذين حكموا بلاد الأنباط إلا أن دوسو يعتقد أن مالك الثالث هو آخر من تولى مقاليد العرش النبطي . وأن هذا الأمر تم بعد وفاة رب أيل الثاني ، وقيام الرومان بضم الأجزاء الشمالية من بلاد الأنباط[1]. وقد اعتمد في هذه المسألة على نقش نبطي عثر عليه في منطقة الحجر . ويتحدث عن إنشاء معبد للمعبود النبطي أعرا ويرد على النحو الآتي : " د ن هـ م س ج د ا دي ع ب د ش ك و ح و ب ر ث و ر ا ل ا ع ر ا د ي ب ب ص ر ا ال هـ ر ب ا ل ب ي ر ح ن ي س ن ش ن ت ح د هـ ل م ل ك و م ل ك ا " = هذا المسجد (المحراب) الذي صنعه شكوحو بن تورا لا عرا الذي في بصرى إله رب إيل في شهر نيسان في السنة الأولى لمُلك مالك"[2].

ويفهم من فرضية دوسو السابقة أن مالك الثالث هذا اتخذ مدينة الحجر الجنوبية مقرا لحكمه .

ومن الشواهد الدالة على إمكانية حدوث هذه الفرضية ، أن إسناد مسؤولية حكم الأجزاء الجنوبية إلى بعض أفراد الأسرة الملكية النبطية لم يكن أمرا مستحيلا أو مستبعدا. وأبرز مثال يمثل هذه الحالة يرتبط بعهد حكم الملك النبطي عبادة الثالث (٣٠-٩ ق. م) ، الذي يؤكد سترابو أن أحد أقربائه واسمه حارثة كان حاكماً على أحد المراكز النبطية الجنوبية التي عبرتها حملة أيليوس جالوس[3].

---

[1] The Biblical.p.104

[2] The Biblical . p.104. Bowersock . Roman . p.73.

عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص١٠٧، ١٥٢. الأنصاري ، العلا ومدائن صالح ، ص٨٥.

[3] Strabo . 16.4.24. Cf: Anderson. The Eastern Frontier Under Augustus. p.250, Bowersock. Roman .p.48

ومن المؤكد أن الأجزاء الجنوبية من بلاد الأنباط ، ظلت بعيدة عن السيطرة الرومانية إلى ما بعد حكم تراجان بزمن طويل ، وليس ذلك وحسب بل إنه يمكن القول إن السيطرة الرومانية على الأجزاء الشمالية لم تكن تامة ، وأن الأمر اقتصر فقط على مدينتي البتراء وبصرى ، وليس كل المراكز النبطية الشمالية. وهو ما يتأكد لنا من فشل الحكومة الرومانية في إصدار إعلان رسمي يؤكد حدوث عملية الضم التي يقال إنها تمت سنة ١٠٦ ميلادية[١].

وهناك نقش نبطي عثر عليه في منطقة مأدبا . يؤكد بعض المؤرخين المحدثين أنه يمكن اتخاذه دليلا على حدوث عملية الضم . ونص هذا النقش يرد على النحو الآتي: " ب ش ن ت ت ل ت ل هـ ف ر ك ي ا ب ش ر ا" في السنة الثالثة لحاكم بصرى[٢].

وبرغم أن مصطلح هفركا[٣] يرد بكثرة في النقوش النبطية ، ويشير إلى شخصيات معينة من الملوك الأنباط ، كما هو الحال بالنسبة للنقش الآتي: "عودو الهفركا الخامس عشر لحكم مالك الثاني" [٤]. إلا أن النقش المؤرخ إلى حاكمية بصرى يختلف عن سابقيه لكونه مدوناً باللغتين النبطية واليونانية ، وهو أمر دعم حجة القائلين بأنه يعود إلى السنة الثالثة من قيام الرومان بضم بصرى . وقد ترجم النص اليوناني لهذا النقش على النحو الآتي: " في السنة الثالثة لإقليم أو ابارخية بصرى"[٥].

---

[1] Bowersock, **Roman** .p.82 cf : Graf , **Nabataean** . p253, Rostovtzeff, **Social** .p157, Lengdon , **The Wars** .p237.

إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٧٠.

[2] Bowersock, **Roman** .p.82.

عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص١٤٥

٣- هفركا : يرد هذا اللقب في الكثير من النقوش النبطية وقد اختلف المؤرخون المحدثون في تحديد معناه وأصل اشتقاقه والأكثر ترجيحاً أنه يعني حاكم يتمتع بصلاحية عسكرية وإدارية . ويرى البعض أن كلمة هفركيا (بزيادة الياء) تعني إقليم أو أبارخيه باليونانية . عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص١٤٣، ١٤٤.

٤ - عجلوني ، المرجع السابق ، ص١٤٤.

[5] Bowersock, **Roman** .p82

عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص١٤٥.

غير أن الطرح السابق يؤكد أن الضم كان جزئيا وليس شاملاً ، وإذا ما نظرنا لظروف الامبراطور تراجان في تلك الأثناء ، فسنجد أنه كان منشغلا بالحرب في منطقة داشيا البلقانية[1]. ولذلك من المستبعد أن يقرر في تلك الظروف أن يشن حربا رئيسة أخرى في الشرق . والأرجح أن الامبراطور كان يتوقع أن وفاة الملك رب أيل الثاني سوف تحدث في مرحلة معينة من حكمه الامبراطوري.وأن بإمكانه استغلال هذه المسألة ، في ضم بلاد الأنباط . ونظرا لأن الوفاة تمت في ذروة انشغاله ، ولأن الاستيلاء على بصرى والبتراء يسمح بتنفيذ المخطط الروماني ضد الدولة الفرثية ، اقتصر الأمر على بسط السيطرة الرومانية على المدينتين اللتين سبق ذكرهما والطرق التجارية الرئيسة[2].

وهناك من يرجح أن الإمبراطور تراجان لم يرغب في أن يلفت الأنظار إلى عمله في العربية إلى أن يكتمل ، وأن هذا ربما كان السبب وراء تأجيل إعلان الضم إلى ما بعد عام ١١١ميلادية. ويؤكد أصحاب هذا الرأي أن الرومان كانوا خلال خمس السنوات السابقة لإعلان عملية الضم منشغلين بتعزيز سيطرتهم على المملكة النبطية السابقة ، وأبرز شاهد على ذلك هو الطريق الكبير الذي يمتد جنوبا حتى رأس خليج العقبة على طول خط الملك ، والذي عرف منذئذ باسم طريق تراجان الجديد(Via Nova Traiana) . وتم تخليده بمعالم عدة تؤرخ جميعها إلى سنة ١١١ميلادية وهي السنة نفسها التي صدرت فيها نقود تراجان معلنة ضم العربية إلى الامبراطورية الرومانية[3].

أما تداول نقود أقليم العربية فلم يبدأ قبل عام ١١٢ ميلادية واستمرت عملية التداول حتى عام ١١٤م . ومن المحتمل أن عملة هذا الأقليم سكت أما في أنطاكية

1- Bowersock, op.cit.p. 82. Longdon . **The Wars Of Trajan**. p. 237. Rostovtzeff , **The Social** . p. 354 . 355
سيد الناصري ، **الرومان والبحر الأحمر**، ص٦٣.

2- Bowersock.**Roman**. p.82 .84

3- Longden . **The Wars of Trajan** , p238. Bowersock. **Roman** .P.83.84

أو بصرى . و تظهر على أحد وجهيها رأس وصدر تراجان وعلى الوجــه الآخــر صورة شخص يقف إلى جوار جمل إشارة إلى إقليم العربية . ومــن الملاحــظ أن النقود التراجانيــة تســمي الإقلــيم الجديــد " الممتلكــات العربيــة " Arabia a dguisita،وليس المستولاة العربية Arabia cpta . ويضاف إلى ذلك أن تراجــان نفسه لم يُذكر بلقب المسيطر على العربية Arabicus ضمن ألقاب الشــرف التــي يحملها و التي تضمنت لقب Dacius (ويعني المسيطر على أو المحارب في داشيا) ، والذي أضافه تخليدا لضم منطقة داشيا والتي كان بداية تحركه نحوها فــي عــام ١٠٦ ميلادية[١].

غير أن الذكرى العظمى لتراجان في العربية الرومانية تتمثل بإقامــة قــوس النصر[٢] (أو بوابة النصر). على مقربة من مدخل البتراء المباشر، وعليــه نقــش يبجل الامبراطور ، ويشير إلى البتراء على أنها عاصمة الإقليم ، وهو اللقب الــذي يرجح أن تراجان منحها أياه في عام ١١٤ ، الأمر الــذي يؤكــد أن الإمبراطــور الروماني لم يكن يفكر البتة في وضع عاصمة الأقليم في مدينــة بصــرى . فعلــى الرغم من أنه كان قد أمر بإعادة تأسيس المدينة الأخيرة وأصبح لقبهــا الرســمي المدون على عملتها " بصرى تراجــان الجديــدة Nova Trajana Bostra إلا أن البتراء ظلت عاصمة الإقليم في الحقب التي تلت حكم تراجان[٣] ، وذلك ماتشــهد عليــه وثــائق باباثــا اليهوديــة المؤرخــة إلــى أعــوام ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ميلادية،والتي يذكر في أولاها أن مكان صدورها كان البتراء عاصمة إقليم العربية . وتذكر وثيقة السنة التي أعقبتها (أي ١٢٥ م) أن باباثا استدعت أحد خصومها إلى البتراء ليحاكم أمام حاكم إقليم العربية يوليوس يوليــانوس Julius Julionus

---

1- Bowersock.**Roman**.p 81.83

سيد الناصري ، **الرومان والبحر الأحمر** ، ص٦٣.

٢ – أنظر اللوحة الرابعة.

3- Bowersock. **Roman** .p. 84 . Longden , **The Wars of Trajan**. p.238

إحسان عباس ،**تاريخ الأنباط** ، ص٦٩.

،وتؤكد وثيقة ١٢٧م أن البتراء كانت ما تزال المقر الرسمي لحاكم إقليم العربية الروماني،وأن مسؤولية حكم الإقليم قد آلت إلى أنينوس سيكتوس فلورنيتوس Aninius Soxtius Florentius[1] . وهو الوحيد – تقريباً – الذي ظل مقيماً في البتراء إلى حين وفاته . وذلك ما يستدل عليه من النقش اللاتيني المدون على ضريحه (قبره) ، والذي يصفه بأنه "الوالي المعين من قبل أغسطس حاكم مقاطعة بلاد العرب" . ويرجح هاردنج أن تاريخ هذا النقش يعود إلى عام ١٤٠م[2] .

وتوضح الإجراءات والتنظيمات التي أتخذها الرومان بعد ضم أراضي الأنباط إلى جملة الأملاك الرومانية ، أن تراجان كان يحلم بتكرار غزوات الاسكندر الأكبر ، وإنجاز ما لم يتمكن الأباطرة الذين سبقوه من إنجازه إلى درجة أنه كان يتمنى أن يتم له الاستيلاء على الهند ليربط بين المحيط الهندي والخليج العربي[3]. ومن المحتمل أن نجاحه في دخول العاصمة الفرثية طيسفون ، كان أحد الأسباب الرئيسة التي ساهمت في تعاظم طموحاته إلى هذا الحد. وبرغم أن قيامه بإعادة حفر القناة التي كانت تصل النيل بالطرف الشمالي الغربي الأقصى للبحر الأحمر ، بالقرب من كلوسون (عند خليج السويس) ، والتي عرفت بعدئذ باسم بحيرة تراجان River of Trajan ، قد ساهم في إيصال تجارة البحر الأحمر إلى داخل مصر نفسها [4] . إلا أنه يمكن القول إنه لم يكن أكثر من مستثمر جيد لجهود الذين سبقوه ، أو الذين كانوا يأتمرون بأمره . وفي مقدمة هؤلاء والده (تراجان الأب) الذي كان من بين الذين ساهموا في تمهيد الطريق أمامه لغزو العاصمة الفرثية . ويتمثل مجهود تراجان الأب ، في إقامة الطريق العسكري الكبير

---

1 - Bowersock.**Roman**.p.85 . 86

٢ – هاردنج ، آثار الأردن ، ص١٥٧، ١٥٨.

The Biblical . p.106.

3 - Bowersock. **Roman**. p. 85 .

سيد الناصري ، الرومان والبحر الأحمر ، ص٦٣.

4 - Adris Bell. H: **Egypt, Crete and Cyrenaica** - C.A.H-vol.XI- Cambridge 1965 .p.650.

سيد الناصري ، المرجع السابق ، ص٦٢. فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان ، ج١، ص٣٢٩.

الذي ربط تدمر بمدينة سورا Sura ، الواقعة على ضفة نهر الفرات. ويعود إنشاء هذا الطريق إلى عام ٧٥م[١] .

أما العبء الأكبر في التنظيمات التي قام بها الرومان بعد سقوط البتراء،فقد تحمله كلاوديوس سفيروس (١١١-١١٥م) Claudius Severius ، والذي ارتبط ذكره في بردية كارانس – سابقة الذكر – بالإشارة إليه على أنه حاكم إقليم (العربية) ابتداء من عام ١٠٧م . وتذهب معظم الأراء أيضاً إلى أنه تولي مهمة حكم الإقليم بشكل رسمي بين عامي ١١١-١١٤م أو ١١٥م [٢] .

وأهم إنجاز ارتبط باسمه ، هو إنشاء الطريق الكبير الذي عرف فيما بعد باسم طريق تراجان الجديد Via Nova Trajan . ويستشف من رواية بردية كارانس أن مدينة بصرى كانت نقطة البداية في إنشاء هذا الطريق ، وامتداده بعد ذلك نحو دمشق ، وميناء إيلة الواقع على خليج العقبة ، والذي كان يمثل نقطة البدء الجنوبية في مسار هذا الطريق نحو مدينة بصرى باتجاه الغرب ، ثم الجنوب نحو مدينة فيلادلفيا (عمان الحالية) ، ومنها إلى بصرى، ودمشق ، وبعض المراكز السورية الرئيسة الأخرى [٣].

وبرغم حالة السلم التي سادت إقليم العربية بعد ذلك إلا أن الحاجة اقتضت إقامة مجموع من القلاع لحماية القوافل من خطر الغارات التي كان يقوم بها البدو. وأبرز مثال يوضح هذه الحالة ، يتمثل في خط القلاع الصغيرة التي أنشئت ما بين خليج العقبة والبتراء ، وبقيت خرائبها في أيل ، وصدقة ، والحميمة،وقويرا، والخالدة ، والكثارة[٤]. وإضافة إلى وضع الفيلق الروماني الثالث القيريني في بصرى الشمالية ، وإنشاء معسكرين لقوات الفيلق الرابع (مارتينا) في أذرح القريبة من البتراء ، وفي منطقة اللجون القريبة من الكرك تم وضع الحاميات على طول الطرق الرئيسة ، والتي كانت تعرف باسم الحدود العربية Limes Arabicus.

---

[1] Franz .C: **The Frontier Provinces of the East** - C.A . H-vol.XI- Cambridge 1965.p. 619, 859.

[2] Bowersock. **Roman**. p.83.87 cf: Longden. **Nerva and Trajan**. p.221. Craf. **Nabataean Settlements**. p.256.

[3] Longdon **, The Wars**. p.238. Bowersock. **Roman**. p.83. 84. Craf. **Nabataean**. p.256
هاردنج ، آثار الأردن ، ص٥٢.

[4] Craf . **Nabataean**. p.259. Longden , **The Wars**. p.238.

كما قام الرومان بإصلاح وتجديد الطرق والقلاع التي كانت مستخدمة من الأنباط قبل عام ١٠٦م. وأهمها الطريق الذي كان يربط بصرى بمدينتي جرش وفيلادلفيا [١]. وقد مكنت هذه الطرق القوات الرومانية من بسط سيطرتها على المراكز النبطية الشمالية، وتدفق كافة أنواع تجارة البحر الأحمر (من ميناني لوكى كومى وإيله) على دمشق ومدن الشمال الأخرى. ولحرص تراجان على إكمال السيطرة الرومانية على البحر الأحمر والخليج العربي وتأمين التجارة البحرية من مخاطر غارات القراصنة ، أصدر أمره بوضع أسطولين حربيين في مياه البحر الأحمر والخليج العربي [٢]. ولعل هذه الإجراءات تتزامن مع قيامه بإعادة حفر القناة الواصلة بين النيل والبحر الأحمر ، والتي كان اتساعها يقدر بـ ١٥٠ قدماً ، وكانت قادرة على استقبال أكبر السفن التجارية في ذلك الوقت [٣] .

أما الأجزاء الجنوبية من بلاد الأنباط ، فيرى بعض المؤرخين المحدثين أن تراجان كان مسئولاً عن إرسال فرقة رومانية إلى هناك. ويرجح هؤلاء إمكانية استعانته في هذه المهمة بإفراد الجيش النبطي السابق ، ولاسيما أفراد سلاح الفرسان النبطي ، الذين كانوا يتميزون بقدرتهم على رمي السهام من على ظهور الخيل ، واستخدام الجمال في المهمات التي كانوا يكلفون بتأديتها. ويرى أصحاب هذا الرأي أن اقتران اسم أولبا Ulipa بالفرق والوحدات الرومانية التي خدمت في بعض أجزاء الصحراء ، يؤكد أن تراجان طبق هذه الاستراتيجية بعد مدة قصيرة من سقوط البتراء وبصرى بيد قواته ، وأن الأباطرة الذين خلفوه اعتمدوا في مد سيطرتهم داخل الصحراء على هذه الاستراتيجية [٤].

وعلى الرغم من إمكانية قبول بعض جزئيات الطرح السابق إلا أن الأكثر ترجيحاً أن الإنشاءات الرومانية التي أقيمت شمال وادي السرحان ، تعود إلى حقبة لاحقة لعهد الإمبراطور تراجان ، ولاسيما أن الجزء الأكبر من اهتمام كلاوديوس سفيروس ، كان مرتبطاً ببناء وتأمين طريق تراجان الجديد ، وتمهيد الطريق أمام

1- Franz. **The Frontier**. p.618. 619. Craf. **Nabataean**. p259. Cary. **the Geographic**. p.187.

هاردنج ، أثار الأردن ، ص٥٢. إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٧٠. جواد علي، المفصل،ج٣، ص٥٨.

2- Rostovtzeff. **The Social** p.606.

سيد الناصري ، الرومان والبحر الأحمر ، ص٦٢. جواد علي، المفصل ، ج٣، ص٥٨.

3- Adris. **Egypt**. p.650.

سيد الناصري ، الرومان والبحر الأحمر ، ص٦٣.

4- Bowersock. **Roman**. p.157. 158.

سيده ، لغزو الدولة الفرثية . وليس ذلك وحسب ، بل إن هنـــاك مـــن المـــؤرخين المحدثين من يؤكد أن بعض المناطق الشمالية الرئيسة كالحورانية ، والطرخونيه ، والبثنية ، ظلت خارج إطار إقليم العربية حتى عهد الإمبراطور الكسندر ســـفيروس Alexander Severus (٢٢٢-٢٣٥م) [١]. غير أنه ربما كان في هذا الطرح بعض المبالغة ؛ لأن الجزء الأكبر من هذه المناطق كانت قد ضمت إلى حاكمـــة ســـورية الرومانية بعد وفاة أجريبا الثاني[٢]. ولعل هذا الأمر لا ينطبـــق إلا علـــى الأجـــزاء النبطية من المناطق السابقة .

١- إحسان عباس ، تاريخ الأنباط ، ص٦٩، ٧٠.

Rostovtzeet. **The Social**. p.753.

2- **The Biblical** .p.103. Ronald . **Flavian Wars**. p.138

جونز ، مدن بلاد الشام، ص٨٦، ٨٧.

الخاتمة

الخاتمة

نخلص مما سبق عرضه ،إلى أن موقع وطبيعة البتراء الجغرافية والطبوغرافية كان لها الأثر الأكبر في احتراف الأنباط مهنة التجارة بشكل أساسي ، وتحديد طبيعة علاقتهم بالقوى الكبرى التي توارثت السيطرة على مصر وسورية وفلسطين .

وقد أظهروا منذ بداياتهم الأولى مهارة فائقة في التعامل مع القوى السياسية الكبرى . فبرغم أن اتخاذهم جانب البطالمة والسلوقيين كان أحد العوامل التي دعت انتيجنوس المقدوني إلى مهاجمة بلادهم إلا أن الطريقة التي تعاملوا بها مع الحملتين الحربيتين اللتين أرسلهما هذا القائد المقدوني تؤكد أنهم كانوا على قدر كبير من الحنكة السياسية ، وأنهم كانوا مهرة في توظيف تضاريس بلادهم الطبيعية في المواجهات العسكرية .

ومعرفة البطالمة بهذا الأمر دفعتهم إلى اتخاذ وسائل أخرى في محاولتهم انتزاع تجارة الجزيرة العربية من يد الأنباط . غير أن الأنباط أظهروا مقدرة على المقاومة ، سواء من خلال استخدام القوة ، أو عقد التحالفات السياسية الضامنة لتحقيق مصالحهم . ولعل ما يؤكد قدرتهم على التعامل مع المتغيرات الطارئة ؛ أنهم لم يترددوا في استخدام القوة البحرية ضد سفن البطالمة التجارية ، والدخول في تحالف وثيق مع السلوقيين .

وإذا كانوا قد خسروا الجولة الأولى في صراعهم مع البطالمة ، فقد مكنهم نجاح حلفائهم السلوقيين في استرداد سورية من أيدي البطالمة ، من أن يحققوا الجزء الأكبر من الطموحات التي كانوا يحلمون بتحقيقها . فإضافة إلى معاودتهم نشاطهم التجاري مع المراكز السورية التي آلت إلى السلوقيين ، لم يترددوا في استثمار تغير موازين الصراع في التوسع نحو النقب ، ومنطقة الحجر ، ووضع أيديهم على الطرق والمراكز التجارية المؤدية إلى مصر وشمال الجزيرة .

وبرغم التقلبات التي شهدتها علاقتهم بالقوى السياسية المختلفة في المرحلة الهلنستية إلا أنهم لم يسمحوا لهذه التقلبات بأن تهدد مصالحهم ونفوذهم السياسي. وغالباً ما كان النصر حليفهم في الحروب التي خاضوها ضد المكابيين والسلوقيين.

وقد جاء انتصارهم على السلوقيين في معركة موتو ، وتمكنهم بعد ذلك من دخول دمشق ليؤكد بأنهم أصبحوا القوة الرئيسة في سورية. ولو لم يبادر الرومان بالتحرك نحو سورية لكانت السيطرة النبطية طالت جميع أجزائها .

وبرغم محاولة المكابيين دفع الرومان للتحرك ضد الأنباط خلال هذه المرحلة إلا أن خلفاء بومبي لم يتمكنوا من المساس باستقلال المملكة النبطية. واقتصر الأمر على دفع الأنباط لبعض المال للرومان في مقابل عدم التدخل في شؤونهم ؛ وقد ساهمت الظروف بعد ذلك في تحول العلاقة بين الجانبين إلى علاقة تحالف وولاء كامل في عهد كل من يوليوس قيصر وأوكتافيوس (أغسطس). واللذين استمدا دعم الأنباط في أصعب مراحل الصراع على العرش الروماني في المرحلة التي سبقت تبني نظام الحكم الإمبراطوري في إدارة الدولة الرومانية .

وقد ازدادت العلاقات بين الجانبين توثقاً بعد انفراد أغسطس قيصر (اوكتافيوس) بمقاليد الأمور ، ودخول الدولة الرومانية في العهد الإمبراطوري. وكان للوزير سيلايوس النبطي الدور الأكبر في مشاركة الأنباط في الحملة الحربية ، التي أمر أغسطس قائده جالوس بقيادتها نحو جنوب شبه الجزيرة . وتناول هذه الحملة يؤكد أن هذا الوزير النبطي قدم مصالحه الذاتية على مصالح بني جلدته من نبط وعرب جنوبيين . ولم يكن أقل إخلاصاً لأغسطس من قائد الحملة الروماني أيلوس جالوس. وإذا كانت هذه الحملة قد حققت شيئاً يذكر من أهدافها فالفضل في ذلك يعود إلى سيلايوس ، الذي تكفل بمهمة إرشاد الحملة في البر والبحر ، وتوفير المؤن والمياه ووسائل النقل البرية . والاحتمال الأكبر أن هذه الحملة ردت على أعقابها بعد مدة قصيرة من مغادرتها ممتلكات الأنباط المؤدية إلى جنوب الجزيرة .والمرجح إنها لم تصل مطلقاً إلى مأرب ، ولم تتمكن

من الاستيلاء على أية مدينة جنوبية كبرى . ولو كان لسيلايوس والأنباط أي دور في إخفاقها ، لما تركهم الإمبراطور أغسطس دون عقاب . وإذا كان قد حدث بعض التبدل السلبي على طبيعة علاقة الأنباط بالرومان بعد زمن هذه الحملة ، فما ذاك إلا نتيجة لمحاولة سيلايوس تحقيق مصالحه الذاتية على حساب الملك عبادة والملك الأدومي هيرود "الكبير" .

وبرغم أنه حقق بعض النجاح في هذا الأمر إلا أن أغسطس اقتنع في آخر المطاف أن القلاقل والاضطرابات التي شهدتها علاقة الأنباط بكل من الرومان والهيروديين من صنع الوزير النازل في ضيافته . ومن ثم فقد آثر التخلص منه والموافقة على تولي حارثة الرابع مقاليد العرش النبطي. وقد كان للدعم الحربي الذي قدمه هذه الملك النبطي (حارثة) للرومان ، في عملية إخماد التمرد اليهودي الذي نشب ضدهم ، عقب وفاة الملك هيرود الكبير ، الأثر الأكبر في إعادة العلاقات النبطية الرومانية إلى حالة الوفاق التي كانت عليه سابقاً ، وإبقائها على هذا الحال إلى نهاية عهد الإمبراطور أغسطس .

وفيما يخص علاقات الجانبين من نهاية عهد أغسطس حتى عام ٧٠ ميلادي ، كانت أقرب إلى الاستقرار التام . ولم يعط الملك حارثة الرابع أي مجال لتعكير صفو هذه العلاقات ، وكان حكيماً في تعامله مع الأباطرة الرومان والملوك الهيروديين ، سواء باكتساب صداقتهم بواسطة الهدايا وإظهار الولاء للأباطرة،أو الدخول في علاقة مصاهرة مع الملوك الهيروديين . ولإدراكه بأن مطامع الرومان في السيطرة على مصادر الثروة في بلاده ستظل قائمةً استثمر حالة السلم الطويل في تقوية بلاده ، وإيجاد بدائل لمقر الحكم ، وطرق التجارة ، وموارد الثروة المادية . وبرغم أن تزويج إحدى بناته من الملك هيرود انتيباس الأدومي قد كفل له بقاء حالة السلم مع اليهود والأدوميين مدة طويلة إلا أن محاولة هيرود التخلص من ابنة الحارثه بعد العلاقة الزوجية الطويلة أعادت العلاقة بين الجانبين إلى حالة الحرب . وكان ذلك مدعاة لتدخل الرومان ووقوفهم إلى جانب انتيباس المهزوم،في السنة الأخيرة من حكم الامبراطور تيبريوس . غير أن وفاة هذا الإمبراطور جنبت الأنباط والرومان عواقب

الصدام . وساهمت سياسية الإمبراطور جايوس قيصر في إعادة العلاقات بين الجانبين إلى سابق عهدها. وتوجت بقيام هذا الإمبراطور بإعادة مدينة دمشق إلى الأنباط. ولم تشهد مرحلة حكم مالك الثاني أي تغير يذكر على علاقة الأنباط بالرومان. وكان ذلك نتيجة لتمسك مالك الثاني بسياسة حارثه الرابع. وقد أدت مساهمة مالك الثاني في إخماد الثورة اليهودية التي واجهها الرومان أواخر عهد الإمبراطور نيرون إلى تعميق العلاقات النبطية الرومانية ، والقضاء على التهديد المستمر الذي كان يشكله اليهود على كيان المملكة النبطية ، واستمرار حالة السلم بين الأنباط والرومان.

وقد كان في وسع الملك رب أيل الثاني السير على السياسة التي رسم خطوطها جده حارثه ، والتزم بمعالمها والده مالك الثاني ، والتي كان هدفها الأول تأمين كيان الدولة النبطية وتجارتها من مخاطر تقلبات السياسة الرومانية.غير أن حالة السلم الطويلة الذي شهدتها علاقة الأنباط بالرومان ، وتمرد أهالي الحجر في بداية حكمه دفعته إلى إهمال منطقة الحجر ، ونقل مقر الحكم من البتراء إلى مدينة بصرى ، المحادة لأملاك الإمبراطورية الرومانية في سوريه ، وتؤكد هذه الدراسة أن هذه الخطوة غير الحكيمة كانت في مقدمة العوامل التي شجعت الإمبراطور تراجان على وضع حد لاستقلال المملكة النبطية ، وتحقيق ما لم يتمكن من تحقيقه من سبقه من قادة وأباطرة ، من إغريق وبطالمة وسلوقيين ورومان .

وقد اهتمت هذه الدراسة بإزالة الغموض المحيط بعملية سقوط الدولة النبطية ، وتبيان الوسائل التي استخدمها الرومان في عملية الاستيلاء على كل من البتراء ، وبصرى . ومن أهم النقاط التي انتهت إليها هذه الدراسة ، أن السيطرة الرومانية اقتصرت على البتراء ، وبصرى ، ومراكز الأنباط الشمالية الرئيسة . وأن منطقة الحجر والمراكز النبطية القريبة منها ، ظلت بعيدة عن السيطرة الرومانية . وترجح لدينا أنها بقيت تحت سيطرة أحد أفراد الأسرة النبطية المالكة لمدة طويلة .

أما الترتيبات والإجراءات التي أتخذها الرومان بعد الاستيلاء على البتراء وبصرى ، فإن هدفها الأول كان فرض السيادة الرومانية الفعلية على الأجزاء النبطية التي تم الاستيلاء عليها . ولذلك اقتصر الأمر على إنشاء شبكة من الطرق الفرعية ، إلى جانب طريق كبير (حمل اسم طريق تراجان الجديد) ، يمتد من دمشق إلى ميناء إيلة على خليج العقبة ، واقتضت المصلحة أيضاً إنشاء مجموعة من القلاع على طول هذا الطريق ، وتجديد الطرق والقلاع القديمة التي كان يستخدمها الأنباط قبل خضوع بلادهم الشمالية للسيطرة الرومانية ، والتي ثبت لنا أنها (أي السيطرة) لم تؤكد رسميا إلا في عام ١١١م .

الملاحق

الملحق الأول

<u>نقش الوزير سيلايوس المدون</u>
<u>بالنبطية والأغريقية</u>

<u>" نقش مليطيه" (Miletus)</u>

قام الوزير النبطي سيلايوس (سلي) في طريق رحلته إلى روما لمقابلة الإمبراطور أغسطس بنصب نقشين في كل من مليطيه وجزيرة ديلوس Delos والنقشان مدونان بالنبطية والإغريقية .وفيما يلي نص النقش الذي أقامه سيلايوس في معبد أبولو بمليطيه[١] .

س ل ي ا ح م ل ك ا ب ر ت ي م [و] ... م د ت ا
ع ل ح ى ي ع ب د ت م ل ك ا ب ى رح ط [ب ت] س ن ت ...]
= سلي أخ الملك ابن تيمو . تقديراً لحياة عبادة الملك في شهر طبت سنة...]

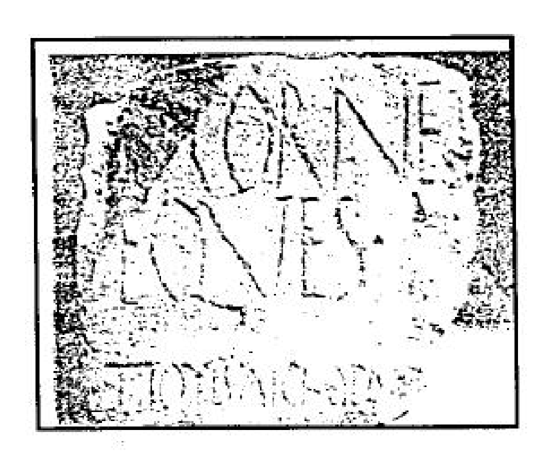
النص اليوناني : [[ΣΥΛΛ] ΑΙΟ Σ ΔΕΛφΟΣ ΒΑΣΙ [ΛΕΩΣ]
ΑΝΕ ΘΕΚΕΝ ΑΙΙ ΔΟΥ [ΣΑΡΕΙ] ΑΡΡΑ]

ترجمة النص : سلى أخ الملك / كرس : للإله ذو شرا اعرا[٢].

١- عجلوني ، **<u>حضارة الأنباط</u>** ، ص١٣١.
Bowersock, **<u>Roman</u>**. p.51.
٢- عجلوني ، المرجع السابق ، ص١٣١.

الملحق الثاني

نقش براقش المدون بالأغريقية واللاتينية[1] .



المحتوى: CORNE

EQVES

ΠΟΥΒΛΙΣ ΚΟΡΝ

التعليق :

أول ظهور لهذا النقش كان على يد باولوكوستا Paollo Costa ، الذي نشره عام ١٩٧٧م ضمن أبحاث سنمار الدراسات العربية السابع (P.69-72) . وتم نشره تحت مسمى نقش لاتيني – أغريقي من جوف اليمن . ومما نقله باورساك عن باولوكوستا قوله إن هذا النقش بيع من أحد رجال القبائل من بني أشرف. وإن مكان العثور عليه كان في مقبرة قريبة من مدينة براقش المعينية . والنص يحتوي كلمات مدونة باللاتينية والإغريقية معاً ، ويفترض باورساك أن النقش يعود لفارس روماني يدعى بوبليوس كورنيليوس Puplius Cornelius وهو يتجاوز بهذا النتيجة التي أنتهى إليها كوستا نفسه والذي يرى أن كلمة EQVES الواردة في السطر الثاني لا تعني بأي حال أن صاحب هذا النقش ينتمي حقاً إلى طبقة الفرسان وأن زمن كتابة هذا النقش يمكن أن يؤرخ إلى نهاية القرن الثالث أو بداية القرن الرابع الميلادي . وبرغم معرفة باورساك بهذه النتيجة يرى أن ملاحظات كوستا السابقة لا يمكن أن تغير قناعته التامة بأن كلمة EQVES المذكورة تعطي صاحبها صفة الفروسية. ولو لم يكن ينتمي حقاً لطبقة الفرسان بالمفهوم الطبقي. وبأن الطريقة الوحيدة

---

[1] – لمزيد من التفاصيل عن هذا النقش أنظر :

Bowerscok, **Roman** , Appendix I, p 148-153.

الممكنة لفهم وتحديد تاريخ هذا النقش تستلزم الربط بينه وبين ما ذكره سترابو عن قيام أيلوس جالوس بوضع حامية رومانية في أثرولا (يثل – براقش) قبيل توجهه لمهاجمة مارسيبا .

ويعلل هدفه من الربط بقوله : إن هذه الحادثة توفر المحتوى التاريخي الممكن والوحيد لهذا النقش ، لكونها المناسبة الوحيدة التي تمكنت فيها جماعة تتحدث اللاتينية والإغريقية من الوصول إلى منطقة الجوف. ومن ثم فمن غير المستبعد أن يكون كورنيليوس سابق الذكر ، أحد أفراد الحامية التي تركت في براقش ، وأن يكون الحجر المدون عليه النقش، جزءاً من نصب تذكاري جنائزي صغير ، تم وضعه على قبر كورنيليوس عقب وفاته (المفترضة) في ذلك الموضع من بلاد العرب[1] .

وبالرغم من وجاهة طرح باورساك هناك جملة من العوامل التي تقف حائلاً دون قبوله ، وأهمها أن عدداً كبيراً من العلماء والرحالة والغربيين الذين بحثوا في أثار اليمن القديم لم يجدوا أية نقوش مسندية أو أي نوع من الآثار يدل على حملة جالوس . وفي مقدمة هؤلاء المستشرق الفرنسي يوسف هاليفي Joseph Halevy ، والذي كان يأمل أن يتمكن أثناء بحثه في آثار الدولة المعينية في الجوف ، من العثور على آثار للحملة الرومانية . ولعل سعيه نحو تحقيق هذا الهدف كان السبب في انتقاله من الجوف إلى نجران . وبرغم أن رحلته قد كللت بالنجاح فيما يخص كشف الكثير من آثار ونقوش الدولة المعينية سواء في الجوف أو في أثناء مسيره نحو نجران ، إلا أنه لم يتمكن من العثور على أثر خاص بالحملة الرومانية . وهو هدف حاول آخرون تحقيقه غير أنهم انتهوا إلى النتيجة التي انتهى إليها هاليفي[2].

وعليه يبقى التساؤل قائماً عن سبب عدم العثور على نقوش مسندية جنوبية تلقي الضوء على هذه الحملة العسكرية الكبيرة .

1- Bowersock, **Roman** ، p.148-152 .

٢ – أنظر : الشيبة ، دراسات في تاريخ اليمن القديم ، ص١٣٨، ١٣٩، جواد علي ، المفصل ، ج٢،ص٥٨.

اللوحـــات والخرائط

اللوحة الأولى

- عثر على هذا الأثر النبطي في تدمر وهو محفوظ في متحف دير الزور بسوريا، وتفريغ النقش الذي بأسفله يقرأ على النحو الآتي:-

(١) ع ب د ت ب ن ع ب ي د = عبدة بن عبيد

(٢) ش ن ت ..... س ل ي س = سنة .... سيلايوس

(٣) [ع] م ل .... = عمل ....

ويرجح البعض أن سيلايوس المشار إليه في هذا النقش هو نفسه الوزير النبطي المشهور الذي جرى إعدامه في روما بأمر من أغسطس.

(قاسم السامرائي ، علم الاكتناه ، ص٥١٠)

اللوحة الثانية




العملة التراجانية الخاصة بإقليم العربية ، والتي يظهر على أحد وجهيها صورة واسم تراجان ويظهر على الوجه الآخر هيئة رجل يقف إلى جوار جمل.

(Bowersock, Roman, Plate 16)

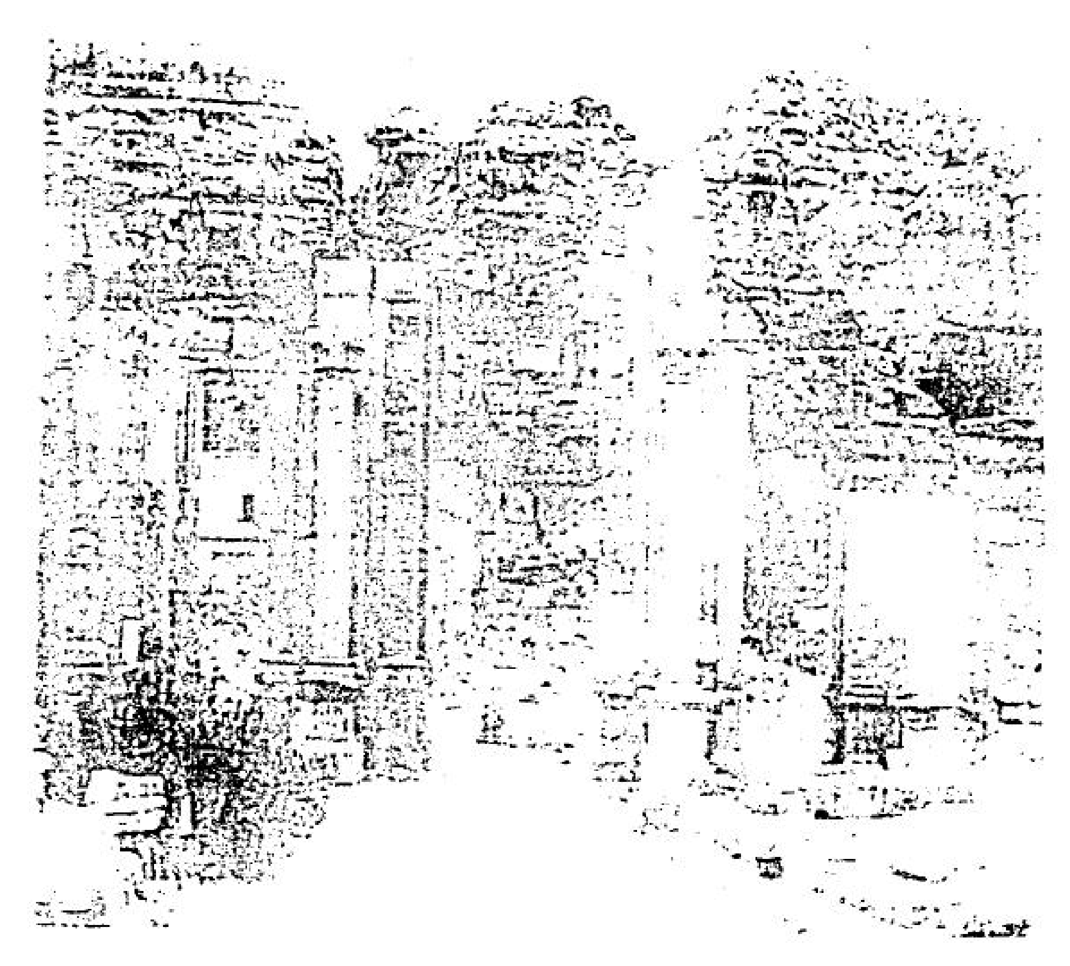
اللوحة الثالثة




العملة التراجانية التي حلت محل عملة إقليم العربية التراجانية مع بداية عام ١١٤م .

(Bowersock, Roman, Plate 16)

اللوحة الرابعة



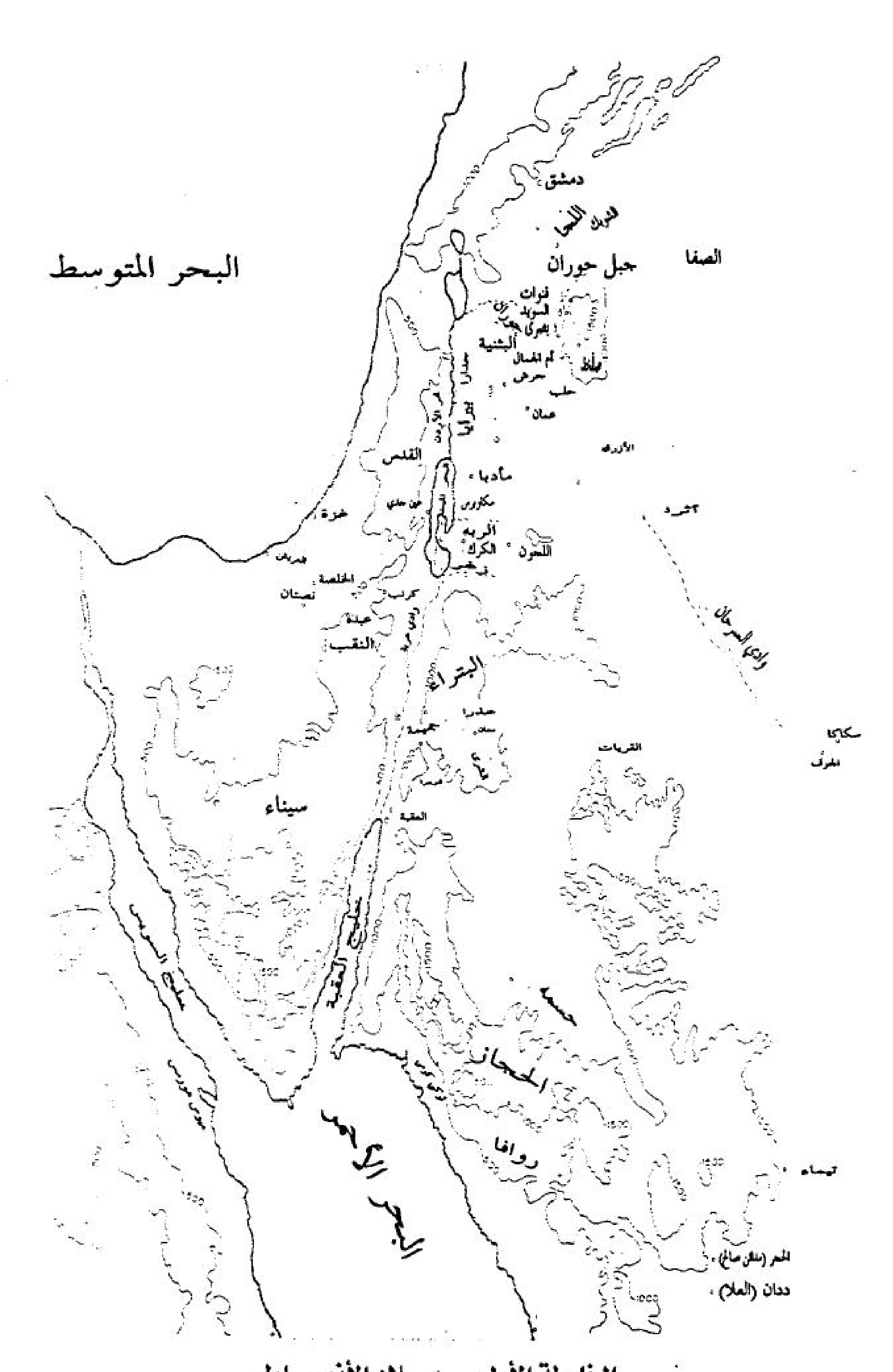
بقايا قوس النصر الذي أقيم في البتراء احتفاء بالإمبراطور تراجان

(إحسان عباس . تاريخ دولة الأنباط ، ص٩٧)

اللوحة الخامسة

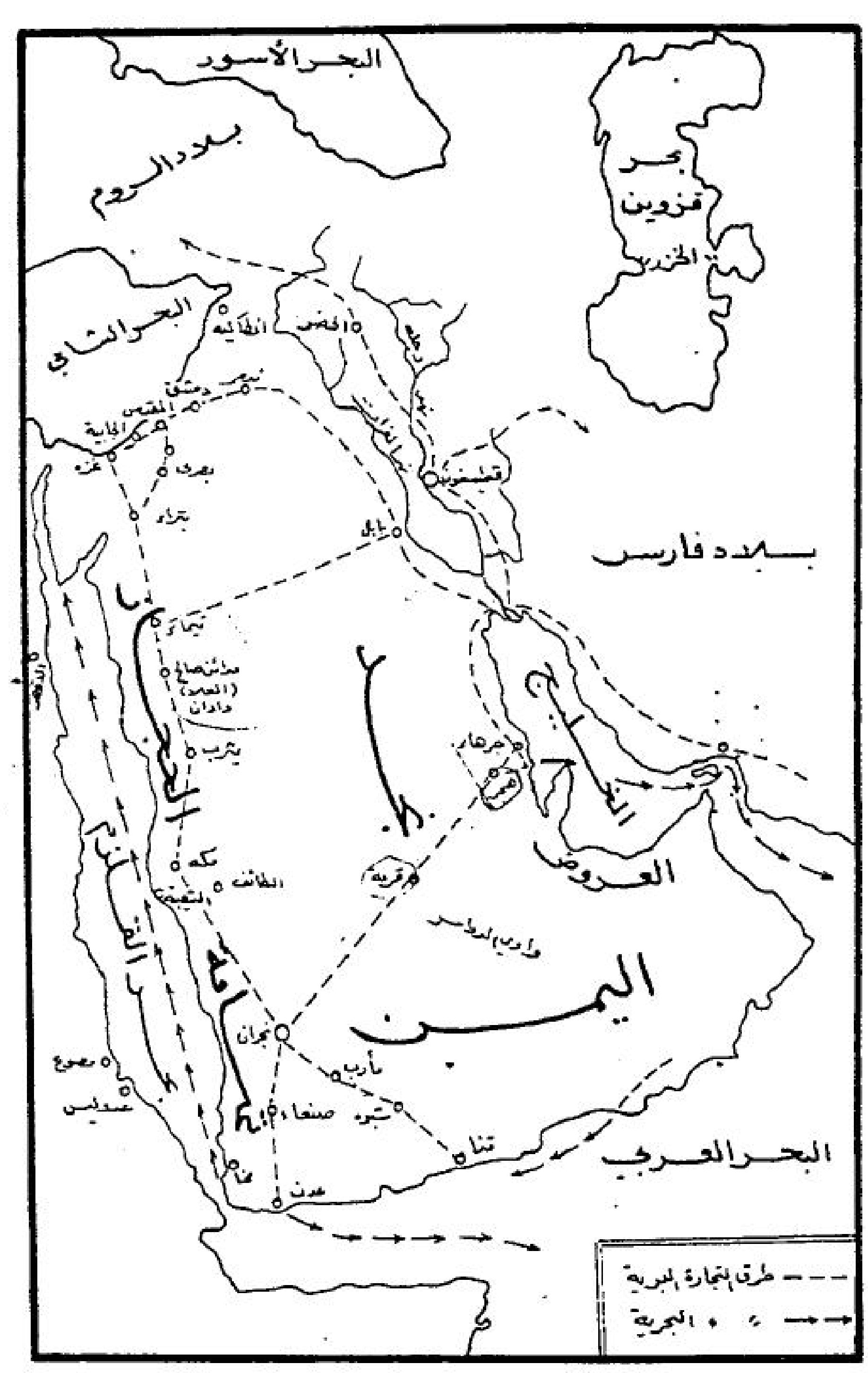


قبر الجندي الروماني (البتراء)
(عجلوني ، حضارة الأنباط ، ص٢٩٦.)



الخارطة الأولى- بــلاد الأنبــاط

نقلاً (بتصرف) عن : Bwersock, Roman Arabia



الخطوط التجارية البحرية والبرية وبعض المواقع الأثرية

نقلاً عن : الشيبة ، محاضرات في تاريخ العرب القديم.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الكلاسيكية:

- Appian:
  - The History of Roman . Book 2,Trans. by. H. Waithaignt- Loeb Classical Library- New York 1912.
- Dio Cassius:
  - Dio's Roman History.Book XXVI-XXX, LI,LIII. Trans. by. E.Cary-Loeb Classical Library, London 1968.
- Diodorus :
  - Diodorus of Sicily, Book. XIX,Trans. by.C.H.Oldfather Loeb Classical Library , London 1951.

- Josephus Flavius:
  - Antiquities of the Jewish - Book ،IV-IX-XVIII-Trans. by, Ralph Marcus- Loeb Classical Library . London 1976.
  - The Life (Against Apion) – Trans. by. J. Thackeray Loeb Classical Library , London 1976.
- The Periplus of the Erythraean Sea- Trans, by.G.W.B. Huntingford-London 1980.
- Pliny of Elder:
  - Natural History – Book V-VI-Trans. by.H.Rackam- Loeb Classical Library, London 1999.

- Strabo:
  - Geography of Strabo-Book XV-XVI Trans .by.H.Leonard Jones. Loeb Classical Library, London, 2000.
  - Geographie de Strabon – Trad. Amedee Tardieu , Paris 1880.

- The Bible : -

الكتاب المقدس : الطبعة البروتستانتية ، ط٦، (د.م) ١٩٩٥م .

الكتاب المقدس : الطبعة الكاثوليكية ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، بيروت ١٩٩٢م.

ثانياً: الدراسات والمراجع الأجنبية

- Adcock, F.E: The Civil War- C.A.H- vol.IX- Cambridge 1971.
- Adris Bell, H: Egypt, Crete and Cyrenaica- C.A.H- vol.XI- Cambridge 1965.
- Anderson, J.G.C:
  - The Eastern Frontier under Augustus – C.A.H-vol-X- Cambridge 1976.
  - The Eastern Frontier from Tiberius To Nero – C-A-H-vol-X- Cambridge 1976.
  - The Policy of Nero- C.A.H-vol.X- Cambridge 1976.
- Bevan, E.R: The Jews- C.A.H-vol.IX- Cambridge 1971.
- The Biblical Archaeologist-A.S.O-V-XVI- New Haven 1955.
- Bowersock,G.W Roman Arabia – Princeton 1982.
- Cary , M:
  - The Geographic Back Ground of Greek Roman History-Oxford 1949.

- Rome and East-C.A.H-vol.IX-Cambridge 1971.
- Charles.Worth, M,P:
  - Gaius and Claudius-C.A.H-vol.X-Cambridge 1976.
  - Tiberius-C.A.H.vol.X-Cambridge 1976.
- De Morgan,J:Manuel de Numisme Orientale-2-1924.
- Franz,C: The Frontier Provinces of the East- C.A.H-vol.XI- Cambridge 1965.
- Graf, D,f: Nabataean Settlements and Roman Occupation in Arabia Petraea-S.H.A.J-IV Amman.
- Henry, S.J.G: The Princeps- C.A.H-volX-Cambridge 1976.
- Hugh last: Rome and The Empire – C.A.H-vol.XI – Cambridge 1965.
- Longden, R.P:
  - Nerva and Trajan C.A.H-vol.XI-Cambridge 1965.
  - Wars of Trajan-C.A.H-vol.XI- Cambridge 1965.
- Kammrer , A: Petra at La Nabataean – Paris 1929.
- Miller, M,J: Archaeological Survey of the Kerak Plateau – Atlanta- 1982.
- Momigliano, A:
  - Herod of Judae – C.A.H-vol.X-Cambridge 1976.
  - Rebellion within the Empire-C.A.H-vol.X- Cambridge 1976.
- Ortel, F: The Economic-C.A.H-vol.X- Cambridge 1976.
- Ronald , S,M,A: Flavian Wars and Frontiers – C.A.H- vol. XI- Cambridge 1965.
- Rostovtzeff, M :

- Cravan Cities- Trans . By. Talbotrice- Oxford 1932.
- The Sarmatae and Parthians – C.A.H.vol.XI Cambridge 1965.
- The Social and Economic History of Roman Empire- Oxford 1966.

- Stevenson,G.H: The year four Emperors-C.A.H-vol.X- Cambridge 1976.
- Tarn .w,w :
    - The triumvirs-C.A.H-vol,X- Cambridge 1976.
    - The War of east, against the West- C.A.H-vol. X-Cambridge 1976.
- Werner ,V: Studies on Nabatataean Archaeology and Religion –(P. C. C) – Amman 1990.
- Wilhelm Weber : Hadrian-C.A.H-vol.XI-Cambridge 1965.

ثالثاً : المراجع العربية والمعربة

- إحسان عباس : تاريخ دولة الأنباط – ط١ – دار الشروق للنشر والتوزيع – عمان ١٩٨٧م.
- أحمد عجلوني : حضارة الأنباط من خلال نقوشهم – أطروحة دكتوراه غير منشورة – كلية اللغات– بغداد ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ارنولد جونز : مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية – ترجمة إحسان عباس – ط١– عمان ١٩٨٧م.
- أسد رستم : عصر أوغوسطوس وخلفائه – جـ٢– بيروت ١٩٦٥م.
- أندريه دوبون : مقدمة ترجمة مخطوطات قمران – ترجمة موسى ديب الخوري – ط١– دار الطليعة الجديدة– دمشق ١٩٩٨م
- جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – ج/٢،٣ – ط١– دار العلم للملايين– بيروت ١٩٦٩م .

- خالد إسماعيل : الرقيم : البتراء (بطرا) - كليـة الآداب - جامعـة بغـداد (د.ت).
- ديتلف نيلسن وآخرون : التاريخ العربي القديم - ترجمة فؤاد حسين علـي - القاهرة ١٩٧٧م
- رضا الهاشمي : آثار الخليج والجزيرة العربية - بغداد ١٩٨٤م.
- سيد الناصري : الرومان والبحر الأحمر - القسم الأول من كتـاب البحـر الأحمر في التاريخ والسياسية المعاصرة - القاهرة ١٩٨٠م.
- سيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الإسلام - مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية (د.ت).
- عبد الرحمن الأنصاري وحسين بن علي ابو الحسن : العلاء ومدائن صالح (حضارة مدينتين) - دار القوافل - الرياض ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- عبد الله حسن الشيبة :
  - دراسات في تاريخ اليمن القديم - ط١ - دار الوعي الثوري للطباعة والنشر - تعز ٢٠٠٠م.
  - محاضرات في تاريخ العرب القديم - ط٢- مكتبة دار الآفاق- صنعاء ١٩٩٥م.
- فرج الله يوسف : مسكوكات ممالك الجزيرة العربية قبل الإسلام - مجلـة أدوماتو- العدد الخامس - ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- فوزي زيادين : تدمر ، البتراء ، البحر الأحمر وطريق الحرير - ندوة تدمر الدولية- دمشق ١٩٩٦م.
- فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - جـ١- ترجمـة /جـورج حداد وعبد الكريم رافق - بيروت ١٩٥٨م.
- قاسم السامرائي : علم الاكتناه العربي الإسلامي - ط١-نشر مركز الملـك فيصل للبحوث والدراسات - الرياض ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.
- لانكستر هاردنج : آثار الأردن - ترجمة سليمان موسـى - ط٢ - نشـر دائرة الآثار العامة الأردنية - عمان ١٩٧١م.

-لطفي عبد الوهاب يحيى : الوضع السياسي في شبة الجزيرة العربية حتــى القرن الأول الميلادي - بحث مقدم للندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية- جامعة الرياض ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
-محمد بافقيه : تاريخ اليمن القديم - القاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
-محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العــرب القــديم - دار المعرفــة الجامعية - الإسكندرية ١٩٩٣م.
- مصطفى عبد العليم : دور البحر الأحمر في تاريخ مصــر علــى عهــد البطالمة - القسم الأول من كتاب البحر الأحمر في التــاريخ والسياســة الدولية المعاصرة - القاهرة-١٩٨٠م.

الفهرست

الفصل الثاني

الفصل الثالث